رواية هندية
«ملايالم»

شمّين

تأليف

تكازى شيوا شنكارا پلاى

تعريب

محيى الدين الألوائى

كلمة المعرب

أما رواية "شمين" فصورة رائعة لأحسن الروايات المؤلفة في لغة "ملايالم" في الأدب الهندي. وقصة وفصولها مستمدة من الواقع الحي، وتزخر بالعواطف وتفيض بصور الآلام البشرية لمجتمع الصيادين في أحد سواحل ولاية "كيرالا" في أقصى جنوب القارة الهندية ويعرض فيها المؤلف الحالات الاجتماعية لهؤلاء الصيادين ومعتقداتهم وعاداتهم وطقوسهم بأسلوب متدفق بالحيوية والحماسة، ويصورها بأدق الانفعالات وخلجات النفس حتى صارت في مصاف الروايات العالمية الكبرى في دقة التصوير وحسن العرض.

وقد نالت هذه الرواية جائزة أكاديمية الآداب الهندية" لأحسن الروايات في عام ١٩٥٧، وهي من أحسن الروايات الهندية التي اختارتها منظمة "اليونسكو" لترجمتها إلى اللغات الأجنبية، وقد نشرت ترجمتها الإنجليزية في كل من أمريكا وانجلترا تحت إشراف "اليونسكو".

وقد أتاح لي مجلس الهند للروابط الثقافية مشكورا، الفرصة لنقل هذه الرواية الرائعة من لغتها الأصلية - ملايالم - التي هي "لغة مولدي" إلى اللغة العربية الحديثة، وحاولت قدر المستطاع أن تكون الترجمة طبقا للأصل والواقع

وأرجو مخلصا أن تقدم هذه الرواية للقارئ العربي لمحة عن تعبير الأدب الهندي المعاصر.

محيي الدين الألوائي

القاهرة ٢٨/١٢/١٩٦٥

شمين (1)

الفصل الأول

قالت كروتما :

- أنت تعلم أن أبى سيشترى عما قريب قارب صيد وشبكة .

فقال فريكوتى :

- يا بختك ياكروتما !

ولم تحر كروتما جوابا ، ولكنها تجاوزت فورا لحظة المفاجأة وقالت :

- لكن ليس عندنا ما يكفى من النقود ، فهل تعطينا بعض الروبيات قرضا ؟

فأجاب فريكوتى باسطا يديه :

- ومن أين لى بالمال ؟

وضحكت كروتما ، وقالت :

- فلماذا تدعى بنفسك أنك "كوشومودالالى" (2)
- لماذا تخاطبيننى "كوشومودالالى" ياكروتما ؟
- فبماذا أخاطبك إذن ؟
- فريكوتى .

ونطقت كروتما " فري ... " ثم قهقهت ، فطلب منها فريكوتى أن تكمل اسمه ، ولكنها تغلبت على الضحك وتظاهرت بالجد ، وهزت رأسها - لا - ثم قالت :

- لا أكمل الاسم ،
- فإذن أنا أيضا لا أخاطبك "كروتما" ،
- ثم بماذا تخاطبنى ؟
- أخاطبك " والياماراكاتى " (2)

فضحكت كروتما ، وضحك فريكوتى أيضا ، واستغرق كل منهما فى الضحك فترة طويلة !

(1) تطلق كلمة شمين فى لغة "ملايالم" بالهند على مايسم

(2) لقب يطلق على شاب مسلم تاجر فى منطقة "كيرالا" .

(3) يطلق على امرأة كبيرة السن من نساء صيادى الأسماك .

فلماذا هذا الضحك الطويل ؟ وما هو السر الكامن وراء هذا الضحك المستمر، وبدون انقطاع ؟
- طيب. عندما يأتي القارب والشكلة، فهل توصي أنت ما " والبيامازا كاتي " والدك ليبيع لنا حصيلة شباكه من الأسماك ؟
فأجابت كروتما :
- إذا دفعت الثمن المناسب نبيع لك الأسماك.
وضحكا مرة أخرى ! . فما الذي يدعو الى الضحك في هذا الكلام ؟ هل فيه نكتة مضحكة ... ؟
هل يستطيع الإنسان أنه يفرقه عند كل كلام ؟
وامتلأت عينا كروتما بالدموع من كثرة الضحك.
وقالت في صعوبة خانقة :
- لا تضحكني كثيرا يا كوشومودالالي ،
وظلت مثل كذلك فرنكولي ألا تضحكه .
- يا للعجب! ماذا حدث لكوشومودالالي ؟!
واستغرقا في الضحك . كأنهما يتبادلان المداعبات
وبعد هنيهة احمر وجه كروتما ، وبدا عليها الجد ، لا بل الغضب :
- لا تنظر إلي هكذا !
وغاب ضحكها ، وارتكب فرنكولي خطأ لا يعرفه ،
وقال فرنكولي :
- بعد أن أضحكتيني أولا يا كروتما .
- ما هذا ؟
ومسحت بيدها على صدرها ، كأنها ترسم علامة الحرب في الجانب ، ثم حولت ظهرها ، وانكمشت مرة أخرى ،
وما كانت تلبس إلا إزارا قصيرا .
- ما هذا ، يا كوشومودالالي ؟!
وسمعت كروتما نداء من بيتها ، وعادت حلمي ، أم كروتما من السوق ، ونادت على كروتما ، فهرولت الى بيتها ، وظن فرنكولي أنها عادت غاضبة منه ، وأصبح خائبا خجلا .

وشعرت كروتما أيضا أنها كانت قاسية في كلامها معه ولعل قلبه يتألم .. ولم تضحك مثل ذلك من قبل أمامه ، بل ولا أمام أحد غيره . وكانت هذه هي التجربة الأولى بالنسبة لها ، وكان الضحك يكاد يخنقهما ، وخيل الى كروتما أنها كانت تقوم عارية أمامه ، وتمنت أنه تغيب عن أنظاره .

ولم يسبق لها هذا الشعور قبل ذلك . وربما بدرت منها كلمة طائشة في قلبه في غمرة هذا الحوار وكيف تصور فريكوتي صدرها ؟ حيث يأخذ الثديان في النمو والتدوير ! وهل خيل إليه لما نظر إليها أن عروقها تحركتا وانتفختا .. ألهذا كان يضحك ؟ أم لأنها كانت تلبس رداء خفيفا بدون ملابس داخلية .؟

وخاف فريكوتي عما إذا كانت غاضبة منه لسوء معاملته إ .. وهل تعود إليه كروتما مرة أخرى ؟ وقال في نفسه :

- لابد أن أعتذر لكروتما عما بدر مني ! ولن أكرر أبدا مثل هذه المعاملة التي تسيء إليها .

وعزم كل منهما على تبادل الاعتذار .

بينما كانت كروتما وهي طفلة صغيرة يتراوح عمرها فيما بين الرابع والخامس تجمع الأصداف والأسماك المتناثرة من شباك الصيادين على الساحل ، كان لها في تلك الأيام صديق صغير يلعب معها ، وهو فريكوتي .

والآن تتذكر كروتما جيدا أنها رأت فريكوتي لأول مرة وهو طفل صغير أتى مع أبيه إلى الساحل لابسا قميصا مزركشا أصفر اللون ، وفي عنقه منديل حريري ، وعلى رأسه طربوش . وأنشأ أبوه دكانا صغيرا بجوار بيتها ، وما زال هذا الدكان موجودا ، وأن فريكوتي الشاب هو

الذي يشرف الآن على الدكان .
وهكذا نشأت في ذلك الساحل هاتان الصديقتان الجارتان . وكانت كروتما التي كانت توقد النار لإعداد الطعام مستغرقة في التفكير ، فاندلعت النار الى خارج الموقد ، ولما دخلت أمها إلى المطبخ استغربت مما رأته فرطاً من ذهول ، والنار تشتعل في خارج الأثافي وهي لا تدري وحملقت چكي لا يتطاير من ذهولها ، فسقطت كروتما من أحلامها ، وسألتها چكي غاضبة :

- فيمن تفكرين ؟

وهذا سؤال يتبادر الى ذهن كل من يرى حالتها حينذاك ، وليس فيه أي لوم على چكي ، ولم تكن كروتما في هذا العالم ، بل في عالم آخر . وقالت " بنجامي " الأخت الصغيرة لكروتما لأمها :

- أمي . كانت أختي تضحك مع كوشومودالالي وراء القارب المركون في الساحل ،

فاندهشت كروتما من إفشاء هذا السر الخطير الذي لم يعلمه أحد . ولكن بنجامي لم تكتف بذلك ، بل استمرت قائلة :

- هل تتصورين يا أمي كيف كانا مستغرقين في الضحك !؟ .

ثم خرجت بنجامي من المطبخ مشيرة بيدها إلى كروتما كأنها تنتقم منها .

ولم تصطحب كروتما معها بنجامي الى الساحل بل تركتها في البيت وحدها . ولهذا لم تستطع بنجامي اللعب مع الأطفال من الجيران ، وأجبر والدها "جيمبان كنجي" على أن لا يخلو البيت من أحد . وكان يجمع هنالك بعض النقود لشراء قارب الصيد والشبكة . ولهذا لم تغادر بنجامي البيت ، وكانت تنتقم من أختها .

هل تستطيع أم أن تسكت عن مثل هذا الكلام ؟
فسألت كروتما :
- ما هذا الذي سمعته الآن ؟..
ولم تنطق كروتما بشيء ..
- ماذا تطلبين يا بنت ؟ .
وأما كروتما فمسئولة عن الجواب ، فلا مناص لها عنه ، وعثرت عليه بعد تفكير عميق :
- عندما ذهبت إلى الساحل ... .
- عندما ذهبت الى الساحل ماذا حصل ؟
- كان كوشومودا للالى جالسا على القارب .
- إذن لماذا كنت تضحكين أنت ؟
واصطنعت كروتما جوابا على ذلك فقالت :
- كنت أطلب منه بعض الروبيات الناقصة لشراء القارب والشبكة على سبيل القرض .
- ما شأنك أنت لتطلبين منه الروبيات ؟
ولكن كروتما تمسكت بهذا الجواب :
- ألم يتحدث أبي معك يا أمي منذ أيام لسد قتراض الروبيات الناقصة من كوشومودا للالى لشراء القارب والشبكة ؟
ولكن كل هذا لم يكن جوابا مقنعا . وما كان إلا جوابا اصطنعته لتفرط ، ونظرت چكى إلى كروتما من رأسها الى قدمها .
وقد اجتازت چكى أيضا هذه المرحلة من العمر ولعل الشبان التجار الذين كانوا يلهون بين القوارب المركونة فى الساحل قد نظروا إلى چكى حينما كانت فى سن كروتما ، من وراء القوارب ليضاحكوها . ومهما يكن الأمر فإن چكى امرأة ولدت وترعرعت فى الساحل بين الصيادين وهى وارثة فلسفة تقليدية عميقة :
فلما ذهب أول صياد إلى عرض البحر فوق قطعة من الخشب واختفى فى الأفق بعيدا عن

الأنظار مقاوما الأمواج الزاخرة والتيارات
الجارفة ! كانت زوجته الوفية العفيفة تدعو
وتتعبد في الساحل مستقبلة إلى الغرب . وهاج
البحر ، وقربت منه أسماك ضخمة كادت تلتهمه،
وبدأت أذيالها تضرب القارب من جميع النواحي
وجرفه التيار إلى دوامة كبيرة ، ونجا بأعجوبة
من هذه المهالك كلها ، بل ووصل إلى الساحل
غانما بسمكة كبيرة صادها من أعماق البحر*

وكيف نجا من تلك العاصفة الهوجاء ؟
ولماذا لم تلتهمه السمكة الضخمة ، ولم يصب
القارب بسوء لضربات أذيالها ؟ وكيف
تفادى الدوامة المهلكة ؟ وكل هذا
وذاك لفضل تلك المرأة العفيفة التي
كانت تدعو له في الساحل !

وانتشرت قصة تلك الزوجة العفيفة
في أوساط سيدات الساحل ، وتمكنت في
قلوبهن . وأما حكى فقد تعلمتها منذ صغرها
وربما حدث مثلها في عنفوان شبابها ما حدث
مع ابنتها كروتما . ولعل أمها أيضا قد قالت
لها قصة الزوجات العفيفات ، وأسدت إليها
نصائحها !

وقيل إنه تحقق كثيرا في أخطاء كروتما قالت
لها حكى :

- يا بنتي أنت الآن لست طفلة صغيرة،
وقد أصبحت فتاة بالغة .

فتذكرت كروتما حينئذ لحظة أن ناداها فرملوتي
" والما ما را كاتي " . وأضافت حكى قولها :

- هل تعرفين يا بنتي كيف يعود الرجال
الذين يذهبون إلى أعماق البحر ويتعرضون
لأنواع من المخاطر في عرض الواسع سالمين
غانمين ؟ إنما هو بسبب عفة النساء

اللاتي في السواحل ، وحسن سلوكهن ، وإن لا
تبتلعهم الأمواج الزاخرة مع قواربهم وشباكهم ،
وإن أرواح الصيادين في عرض البحر أمانة في
أيدي نسائهم في البر .

وما كانت كروتما تسمع هذه القصة لأول مرة ، فإنها
قصة متداولة بين نساء الصيادين في كل حين ،
ولكن ما هو الذنب الذي ارتكبته بالضحك مع
نيكولي ؟ ولم تودع بعد في يدها حياة أحد
من الرجال الذاهبين إلى البحر ، وإذا أودعت
في يدها حياة أحد فستحفظها بكل أمانة وإخلاص .
وتعرف جيدا طريقة حفظها وصيانتها . ولا تحتاج
أية امرأة من زوجات الصيادين إلى أن يقصها
أحد هذه القصة . وأردفت جكي قائلة :

- ألا تعرفين يابنتي لماذا يزمجر هذا البحر
أحيانا ؟ وإذا غضب من أبنائه فيهلك
الجميع . والبحر يمنح أبناءه كل ما يحتاجون
إليه ، وفيه كل شيء من النعم والثروات !

ثم أسدت جكي لابنتها نصيحة قيمة :

- العفة هي كل شيء يا بنتي ! وإن رأس
مال الصياد هو عفة زوجته .

وتقدم بعض الشباب من صغار التجار الذين
لا أدب لهم ولا خلق يدنسون نظافة الساحل ،
وتأتي نساء من القرى المجاورة لشراء الأسماك
المجففة ، أو ليعملن في محلات التجفيف والتعبئة
وهل يعرفن شيئا عن قداسة الساحل ؟ وليس
من بنات البحر ، ولا تهمهن طهارته . ولكن
الصيادين من أبناء الساحل هم الذين يواجهون
نتائج هذه الأعمال الشنيعة ، ثم قالت جكي :

- إن هذه الأماكن التي وراء القوارب
المركونة في الساحل ، وهذه الأعشاب ، وتلك
الأكوام ، وكلها أماكن خطرة ، ينبغي الاحتراس

ثم وجهت جكى إنذارا شديدا إلى ابنتها:

- إنك يا بنتى قد أصبحت فى دور النمو الجسمانى، وأن التجار الصغار والشبان الذين لا أخلاق لهم ينظرون إلى صدرك وجسمك بإعجاب.

واندهشت كرونتما - لأنه فى الواقع حدث ذلك فعلا خلف وراء القارب المركون، وأن الاعتراض الذى صدر من كرونتما حينئذ كان ناتجا من العقدة المتمكنة التى توارثتها جيلا بعد جيل. فإن نظرة الرجل إلى صدورهن أو أجسامهن تعتبرها بنات البحر إهانة فى حقهن وخرقا لحرماتهن.

وقالت أمها:

- يا بنتى! لا تفعلين شيئا يهين كرامة البحر، فتحل المصائب على أبناء الساحل.

وتسرب الخوف والوجل إلى قلب كرونتما، وأضافت جكى:

- إنه من المسلمين. وهو لا يؤمن بمثل هذه العقائد، ولا يهتم بمثل هذه الأمور.

وكانت جكى تتكلم كأنها علمت كل شيء، ولم تنم كرونتما تلك الليلة مطلقا، ولم تضمر أى عداء لكوتيا من التى أفشت سرها، ولم تفكر فى ذلك وهل تعتقد أنها أخطأت فعلا؟ وهل تعلم تلك الفلسفة التى توارثها أبناء البحر جيلا بعد جيل، وتمكنت فى قلبها. وربما كانت تخشى أنها تنحرف عن الطريق السليم، فلا داعى لأن تشعر بأى كراهية أو حقد تجاه شيء ما.

وبينما كانت كرونتما سارحة فى تفكيرها سمعت من ناحية الساحل صدى نغمة بشققت أسماعها بحيث تقلعها من مكانها، وأنصتت إليها كرونتما وكانت فرتكوتى يردد هناك إحدى الأناشيد المعروفة بين الصيادين، وهو ليس بمطرب ولا مغن، ولكنه

كان يردده من فوق القارب المركون في الساحل ،
وكيف يستطيع أن يخبر من يريد إخباره بوجوده
هناك إلا بهذه الوسيلة ؟ وقد عرف فعلا
من كان يريده ! وأصاب حيثما أراد .

وأصبحت كروتما في قلق وحيرة ، فإذا نزلت
إليه ليلة فستظل في صدرها وحيرة . وتذكرت
كروتما كلام أمها . وأن الملاك وراء القارب
حيث يحيط بالظواهر ، وكما أنه من الملحدين الذين
لا يؤمنون بمثل هذه المعتقدات التقليدية .

وخافت كروتما أنها إذا استمرت في سماعها
فستنزل إليه ليلة ، وأن ستطرح إلى صدرها
النشوة الحية والحب اللذيذ .

وأدركت كروتما أنها تسقط في أذرعه وباتت
متمسكة على صدرها ، ولكن تلك الأغنية
ما زالت تردد صداها في أذنيها . وانتحبت
كروتما تبكي .

وهل في باب غرفتها المصنوع من الخوص
بشكل سرمولة . أو ينشر بنشيد ويتأثر ،
ولكنها تعيش في داخل الحيطان الأربعة
لحصن متين البنيان قوي الأركان ، ولكن
شيطان الفلسفة التقليدية المتركزة في قلوب
أبناء الدير منذ قرون عديدة ، وليس له
باب ولا منفذ ، ولكن هل يستطيع
الجسم الإنساني بمفرده وحده أن يكسر
هذه الحيطان ؟ أو لم تكن فعلا حيطان
من هذا القبيل ؟

واستمرت هذه الأغنية تركوك في الساحل
المركون ، ولم تكن هذه الأغنية موضوعة
لتخرج نساء الساحل من بيوتهن في ظلام
الليل ليلة ، وليس لأحد الحنين والحب .
وما كان صوت صاحبها جميلا ، ولكن لإبراز

نافذة ، أما كان عليه أن يخبرها بأنه ينتظرها هناك ؟ ويريد أن يعتذر إليها ، كما أنها تريد أن تعتذر إليه ، وكاد حلقوم فريكولى ينفجر لكثرة ترديد الأغنية ،

وأخرجت كروتها أصابعها من أذنيها ، وسمعت أبويها يتحدثان في الغرفة المجاورة في أمرها ، حتى بلغ الحديث حد الخصام ،

وقال جينان كنجي :

- إني أعرف كل شيء . ولا أريد أن تكلمي فيه ، فأنا إنسان أشعر بذلك جيدا ،

فأجابته جكى :

- يا إنسان ! معرفتك تكفي ! ولكن البنت ستفسد .

- أسكتي أنت فإني سأزوجها قريبا .

- وكيف ذلك ؟ وهل سيتزوجها أحد وليس عندنا مال ؟ ،

وبدأ جينان كنجي يشرح لزوجته برامجه في حياته ، ولكنها سمعت منه مثل هذه البرامج مئات المرات .

وقالت جكى في سخط وألم :

- ستظل طول عمرك تجمع الفلوس لشراء القارب والشبكة .

وأجاب جينان كنجي بحزم :

- مهما كان الأمر لا أصرف مليما من هذا المبلغ ، ولا تفكري فيه أبدا .

وقالت جكى غاضبة :

- سوف تفسد بنتك أحد هؤلاء الشبان المسلمين . هذا هو الذي سيحدث نتيجة لإهمالك .

وسكت جينان كنجي ، كأن مغزى كلامها قد نفذ

الى أعماق نفسه ، وقال بعد قليل :
- إني سأبحث عن عريس لها .
- بدون مال ؟
وأومأ جبنان كبير رأسه ، فسألته جلي :
- لعله يكون أحد من الأغنياء أو من السوقة ؟
- انتظري فسوف ترين بعينيك !
ولم تقتنع جلي بشيء من هذا الكلام . فقالت :
- وأنا أفضل لو نتركها في البحر .
فسر جبنان كبير وقال : " أف لك " .
وسألته جلي فورا :
- إذن لأجل من تشترى القارب والشبكة ؟
والتزم جبنان كبير الصمت ، وأن القارب والشبكة من أشواق حياته ، ولم يفكر مطلقا لأجل من يشتريها .
ثم قدمت إليه جلي اقتراحا : " بيلايودهان "
- ما رأيك في " بيلايودهان " عريسا للبنت ؟
- لا ، وهو غير مناسب .
- لماذا ؟ وما هو عيبه ؟
- هو مجرد سماك ... سماك من طبقة سفلى .
- ثم من تختاره زوجا لبنتك من غير السماكين ؟
ولم يكن على ذلك شيء .
وأما قول جلي بأن أحدا من الشباب المسلمين قد نشدها فقد نفذ إلى أسماع كروتما ، ولم تفهم أبوها مغزى هذا الكلام كما حققه . وارتجف قلبها ارتجافا عنيفا ، هل لم نشدها فلاشان مسلم ؟
وما زال صوت فريكوتي يدوي في أذنها .

الفصل الثاني

وفي اليوم التالي لم تخرج كروتما من بيتها قط.
ووصلت العاملات من الناحية الشرقية للساحل ... ليشتغلن مع فريكوتي في إعداد الأسماك الجافة وتصنيعها.

وخطر ببال كروتما في أوقات فراغها، هل فريكوتي ينظر بإمعان إلى صدورهن أيضا ؟

وأقبل المساء وعادت قوارب الصيد من أعماق البحار إلى الساحل، وتوجهت جكي مع السلال إلى الشاطئ لإحضار السمك. وقالت لابنتها قبل أن تغادر البيت، باهتمام بالغ:

- يا بنتي، اذكري دائما كلام أمك.

وتعرف كروتما جيدا ماذا ستذكره.

وعاد جنبان كنجي بعد قليل، وأحضرت له كروتما الطعام. ونظر إليها باهتمام على غير عادته. ولماذا كان هذا النظر الشرير مألوف؟ وخافت كروتما هل أبوها أيضا عرف خطأها؟ فإذا كان نظره إليها قاسيا. ولكنه لم يكن كذلك.

وذكرته جكي الليلة البارحة، أن في البيت بنتا بالغة. وكان منذ بدء حياته يسعى لشراء قارب وشبكة. وها هي الآن تذكره بمسؤولية كبرى أخرى. بنت بالغة في البيت! وتقول جكي، بأن أحدا من الشباب المسلمين قد يفسدها. وإذا فقط ألقى إليها نظرة عادية.

وإلى اليوم يشتغل جنبان كنجي في قوارب الآخرين، ويحصل على أجر محدود، وكان أولا يشتغل في مجاديف القوارب، والآن قد أصبح رئيسا. وكان جنبان كنجي الذي وضع نصف مبلغه الصيفي مشغولا، ليقوم بجمع كل ما يحصل عليه، ويجمع لديه الآن مبلغ من الروبيات.

ولكنه لا يكفي لشراء القارب والشبكة .
وبلغت البنت سن الرشد ، وحينما توجد البنات البالغات ، تخاف مغبة الفساد .
وهل يفضل شراء القارب والشبكة ؟ أو تزويج البنت ؟
هذا هو محور تفكيره الآن - وأراد جيبان كيجي أن يوجه كلمة الى ابنته :
- يا بنتي ، حافظي على نفسك !
وقال الأب هذا الكلام ، ولم ترد عليه كروتما
وما كان جيبان كيجي ينتظر منها الجواب .
وبعد انصراف العمال ذهب فريكولي كالمعتاد الى القوارب المركونة وجلس على درجاتها
وربما كان ينتظر كروتما اليوم أيضا .
وذهب جيبان كيجي الى فريكولي . ورآهما كروتما يتحدثان لمدة طويلة ، وفكرت في أي موضوع كانا يتحدثان ؟ ولعل الأب كان يستلف منه الفلوس .
وجرى كلام طويل بين الأب والأم في تلك الليلة ، وأرادت كروتما أن تقف على سر هذا الكلام .
وفي هذا اليوم أيضا ردد فريكولي أغنيته واستمعت اليها كروتما من قاع كوخها . وانما كانت تريد أن تقول لفريكولي بألا ينظر الى صدرها بإمعان ، والآن عليها أن تقول له أمرا آخر : ألا تغني !
وكانت الى يومين سابقين تلهو وتمرح مثل الفراشة الحرة . وما هو التغير الذي طرأ عليها منذ يومين ؟ وجعلها تفكر بجد واهتمام .
وبدأت تفهم تغيراتها بنفسها . والحب هذا تغير في مجرى الحياة كلها ؟ وهي تراقب كل خطوة من خطواتها . وهل تستطيع الآن أن تلهو وتمرح

كما كانت تفعل من قبل ؟ وتنظر الى صدرها رجل
في صوت امرأة كاملة النمو .

ولم تسمع في اليوم التالي أغنية فريكولي
وكان القمر يرسل ضوءه الفضي في الأفق
الواسع . وحملت الرياح التي هبت من خلال
غصون أشجار الجوز الهندي ، رنين الأمواج
الزاخرة الى ضواحي القرية .

ولما لم تسمع كروتما أغنية فريكولي - كالمعتاد
رهفت أذناها . وهلا يغني فريكولي بعد
الآن ؟

وخرج جنان كني من البيت بعد تناول
العشاء . وظلت جلي ساهرة ، وسألتها
كروتما : لماذا تسهرين يا أمي ؟ فأجابتها :
اذهبي لتنامي أنت . فذهبت الى سريرها
لتنام ... ولم يلبث أن غلبها النعاس فسمعت
صوت أحد يسأل !

- ألم تنم كروتما ؟

وبسبب الشوم الكامن في نغمة هذا الصوت ،
الذي تعرفه وحدها ، فهمت أنه صوت فريكولي ،
فأجابته جلي :

- إنها نائمة .

وفهمت كروتما أن في صوت جلي نوعا من
الامتعاض . وتصبب جسم كروتما كله عرقا ،
وقامت من السرير ، ونظرت من ثنايا خوص
حجرتها . فإن جنان كني وفريكولي يحملان
شيئا ثقيلا الى داخل البيت ، وكان عددا
من الشباك المليئة بالأسماك الحافة .

واطمأن قلب كروتما اطمئنانا بالغا . وكيف لا
فإنها ترى فريكولي وجلي وجنان كني يتبادلون
الأحاديث فيتمشى في فناء البيت ؟
وسألت كروتما جلي في الصباح الباكر عن

هذه السؤال . فأجابت جكى فى خبث :

- أعطى بل ~~التاجر الصغير~~ كوشومودا الالى ،

فسألت كروتما :

- لماذا لم تحتفظ بل فى محله ؟

- ما لك أنت ؟ [illegible]

وبعد قليل سألت جكى نفسه :

- وما شأنه بك ؟ حتى تبحثى عن هذا كله ؟ وقفى عند حدك !

وخطرت ببال كروتما أسئلة عديدة ، ولست لها أى صلة به ، ولكن أليست هذه سرقة ؟ وأليس هذا خضوع لفرنكولى ؟ وقال لها الشيخ من قبل لابد أن تحافظ على نفسك ، وكيف يتأتى ذلك مع مثل هذا الخضوع ؟ ولكن كروتما لم تقل شيئا .

وفى اليوم التالى بيعت تلك الأسماك الجافة ، وذهبت ~~قارب~~ جينان كنى الى البحر للصيد ، وتوجهت جكى الى الناحية الشرقية لبيع الأسماك ، ولعب بنجامى فى خارج البيت ، وبقيت كروتما وحدها .

وأتى فرنكولى الى البيت ،

وهرولت كروتما فورا الى داخل البيت ، وانتظر فرنكولى هنيهة فى فنائه صامتا . وأخذته أيضا حيرة ودهشة . ولكنه قال :

- أعطيت الروبيات ، لشراء القارب والشباك .

فلم يسمع أى جواب ، وأضاف فرنكولى قائلا :

- وهل تبيعوننا السمك الذى تصطادونه وندفع الثمن ؟

وكان من المفروض أن يكون الجواب : إذا دفعت الثمن المناسب .

وهكذا كان جواب كروتما من قبل ، ولكنه لم يرد اليوم ، وحصل الضحك بينهما فى ذلك اليوم

هذه السلال . فأجابت جكي في خبث :

— أتى بها التاجر الشيخ كوشومودا الآن ،

فسألت كروتما :

— لماذا لم يحتفظ بها في محله ؟

— ما لك أنت .

وبعد قليل سألت جكي نفسها :

— وما شأنه بك ؟ حتى تبحثي عن هذا كله ؟ وقفي عند حدك !

وخطرت ببال كروتما أسئلة عديدة ، ليست لها أي صلة به ، ولكن أليست هذه سرقة ؟ وأليس هذا خضوع لفرمكوتي ؟ وقال لها الأب من قبل لا بد أن تحافظي على نفسك ، وكيف يتأتى ذلك مع مثل هذا الخضوع ؟ ولكن كروتما لم تقل شيئا .

وفي اليوم التالي بيعت تلك الأسماك الجافة ، وذهب جينان كنتي إلى البحر للصيد ، وتوجهت جكي إلى الناحية الشرقية لبيع الأسماك ، وذهب بيجاهي في خارج البيت ، وبقيت كروتما وحدها .

وأتى فرمكوتي إلى البيت .

وهرولت كروتما فورا إلى داخل البيت ، وانتظر فرمكوتي هنيهة في فنائه صامتا . وأخذته أيضا حيرة ودهشة . ولكنه قال :

— أعطيت الروبيات لشراء القارب والشبكة

فلم يسمع أي جواب ، وأضاف فرمكوتي قائلا :

— وهل تبيعوننا السمك الذي تصطادونه وندفع الثمن ؟

وكان من المفروض أن يكون الجواب : إذا دفعت الثمن المناسب .

وهكذا كان جواب كروتما من قبل ، ولكنه لم يسمعه اليوم ، وحصل الضحك بينهما في ذلك اليوم

وراء القوارب المركونة على إثر هذا الكلام . وربما
كان فرمكوفي يتمنى تكراره اليوم أيضا ، ولكنه لم
يحدث شيء من ذلك . صمت رهيب !
فسأل فرمكوفي :

— لماذا لا تنطق كروتما لش ؟ وهل
أنت في خصام معي ؟

وأحس فرمكوفي كأنها تبكي ، وسأل فرمكوفي :

— وهل تبكي كروتما ؟

— الآن لم يعجبك حبي ، فأني ذاهب .

وطالما لم يسمع جوابا على هذا أيضا سأل فرمكوفي
مع ارتجاف في صوته :

— هل أذهب يا كروتما ؟

فقالت ، وكأن هذا الكلام قد وقع مثل الصاعقة
في مكان في قلبها :

— أنت فلم ~~ما تأخرنا الصغير~~ بالكوشومودالي

ولم يفهم فرمكوفي مرادها منه ، فسأل :

— فإذن ماذا ؟

ولم تحر جوابا . وتساءلت بنفسها أيضا ، فماذا
إذا كان مسلما ؟ وبادرت إلى سائل جملة :

— اذهب ~~يا ابن الصغير~~ بالكوشومودالي ، وانظر إلى صدور
وأجسام النساء اللاتي يعملن معك .

وظن فرمكوفي أن كروتما وجهت إليه تهمة خطيرة
وأنها فهمت أن له صلة بالعاملات معه ، وقد
اندهش بسبب هذا الفهم ، ولا يدري فرمكوفي
كيف يثبت أمامها ~~[illegible]~~ حقيقته ، فإنه لم ينظر مطلقا
إلى واحدة منهن ، وقال بكل صدقه وإخلاصه :

— والله لم أنظر كذلك !

وما يعجب كروتما جدا أن يثبت أن فرمكوفي رجل
طيب ، ولا شك في ذلك . ولكن الذي يجب
على فرمكوفي أن يفعله من ~~[illegible]~~ أجل كروتما ،
~~ليس أمر هدم الشر إلا يش~~ ، لا يرضي كروتما

كيف تفهمه ما ينبغي أن يفعله من أجلها. وكان عليها أن تقول له كل تفاصيل تلك الفلسفة التقليدية التي سوف تتبعها في حياتها، ولكنها ليس لديها المقدرة الكافية على ذلك ولا الجرأة.

وساد الصمت لفترة طويلة، ثم تكلمت كروتما كأنها شعرت بما قد فكرها أن الصمت سوف يطول لفترة أكثر:

- أمي تعود الآن.

- وماذا يحدث لما تحضر؟

- ما ويحك! هذا خطأ:

- كروتما في الداخل، وأنا في الخارج. فماذا إذن وإذا أرادت أن تفهمه فتحتاج إلى تفاصيل طويلة لساعات عديدة، فما حيلتها أن تفهمه ذلك كله!

وسأل فريكوتي:

- هل تحبينني يا كروتما؟

وأجابت فورا:

- إني أحبك.

فسأل فريكوتي فرحا:

- ثم لماذا لا تخرجين يا كروتما من حجرتك؟

- لا - لا أخرج.

- إني لا أضحكك، وأريد أن ألقي عليك نظرة وأعود.

وقالت بأنة مضطرة: أرجو ألا تفعل ذلك.

وقال فريكوتي بعد الفترة:

- فإذن أنا أذهب.

فسمع صوتا من الداخل كأنه جواب لقوله هذا:

- ستكون محبوبا عندي دائما.

وهل ينتظر وعدا أكثر من هذا؟

وذهب فريكوتي، فحينئذ فقط تذكرت كروتما بأنها لم تذكر له ما كانت تريد أن تذكره من قبل، بينما قالت له كلاما ما كان ينبغي أن تقال.

ورأت كروتما في تلك الليلة بعينها أن جينان كنجي وحكي يعدان النقود التي عندهما، ومع أنها لم تبلغ المقدار المطلوب، فإن جينان كنجي شعر بارتياح بالغ، فقال:

- جمعنا هذا المبلغ بدون التجاء إلى أويسي أو غيره من المرابين.

وارتاحت حكي أيضا لذلك.

- وإذا اقترضناه من هؤلاء الذين يمشون بجيوب مليئة ~~...~~ بالروبيات ليخدعوا الصيادين.

- فإذن لا يبقى لنا القارب ولا الشبكة ولا المبالغ التي دفعناها.

وكان أويسي وجوبيندان يسألان جينان كنجي من قبل عما إذا كان يحتاج إلى نقود، فكان يجيب بعدم الحاجة إليها. وإذا اقترض منهما أحد نقودا فلا يتخلص من القرض أبدا، بل وتكون القوارب والشباك بعد مدة ملكا لهما. وهذا هو الذي يجري عادة في الساحل. ولكن المبلغ الموجود لا يكفي لشراء القارب والشبكة. وما هي الوسيلة للحصول على بقية المبلغ؟ فقال جينان كنجي:

- فلنطلبه أيضا من ~~التاجر الصغير~~ كوتشو مودالالي، أليس كذلك؟

كرهت كروتما ~~هو~~ الدين لأول مرة في حياتها، وكرهت أمها أيضا لأنها لا تعارض هذا الاقتراح.

وفي اليوم التالي أيضا جرى في دكان فركوزي تجفيف الأسماك وتشتغل في الساحل، وتعرف كروتما جيدا ... هذا كله. وفي غضون بضعة أيام أصبحت كروتما تفهم الأمور وتميزها.

وقالت حكي لكروتما وهي في غاية الغبطة والفرح من التطور السار المتقدم الذي سيحدث في مجرى حياتهم!

- يا بنتي! إننا عما قريب سنملك القارب والشبكة، ولم ترد كروتما بشيء، أي أنها لم تستطع الاشتراك

فى ذلك الفرح . وكان ذلك هو التحول الخطير الذى
حدث فى حياتها .
وقالت جكى بنفسها :
- إن البحر الذى لا يسبغ علينا بركاته .
وخرج من كروتما أثر الكراهية الكامنة فى قلبها :
- أليس البحر الذى تفضت من خداع الناس ؟
ونظرت جكى شاخصة إلى وجه كروتما ، ولكنها
لم تتكلم ، وأرادت تسأل :
- لماذا نشترى القارب والشبكة يا أمى بعد
أن نخدع ذلك المسكين ؟ وهو امرؤ طيب .
- ماذا تقولين يا كروتما ؟ هل تقولين
إننا نخدع ؟
- نعم
- لمن ؟
وسكوت كروتما كان هو الجواب عليه ،
فقالت جكى :
- فإذا اقترضنا من أوسيب فسيكون
القارب والشبكة ملكا له بصدده .
- لا يا أمى ، فإذا اقترضنا مبلغا من
أوسيب فيجب أن نرد إليه .
- ألا نرد هذا كذلك ؟
فقالت كروتما :
- هذا ، هذا ، هل أخذتموه لنرد إليه ؟
كان هذا سؤالا قذفت به إلى وجه جكى ،
وأدهشت جكى أن الأسماك المجففة التى
اقترضوها من فريكوك معاملة عادلة لا خداع
فيها ، ولديه حساب كتبى بدون أى احتياج ولا
خداع ولا مكر ، وهو سيرد هذا المبلغ حتما .
فسألت كروتما :
- ويأتى بالسلال فى ظلام الليل ، هل
هذا ليرد ؟ ولماذا لم يحضرها فى النهار ؟

وأردفت تقول مسرعة :

- وهذا هو البحر الأم يبكي ويتموج ؟

ليس معنى هذا أنك تقول أن أمك وأباها ارتكبا أعمالا شنيعة تغضب البحر حتى يبكي !

وثارت جكي غضبا :

- ماذا تقولين ، هل أبوك سرق ؟

لم تقل كروتما شيئا ، وسألت جكي بسلطة الأم :

- ما شأنك بذلك الولد المسلم ؟ حتى تتألمين له إلى هذا الحد .

وأشاق لسان كروتما لتقول إنه لإنسان آخر ولكنها لم تنطق بذلك ، ولماذا تقول إنه لإنسان آخر ؟ وكان ذلك تعصبا منها . أليس لي شأن بصعلوك ؟ وخطر ببالها حينذاك أنه بالنسبة إليها كل شيء .

وقالت جكي غاضبة :

- كأنك تقصد الساحل وأهله !

وعارضت كروتما هذا الكلام بكل فهم وحكمة :

- إني لن أتنحى أبدا عن طريق الاستقامة والنزاهة

- ثم لماذا تتألمين إلى هذا الحد بشأن ذلك الرجل ؟

- وإذا كان الأمر كذلك فربما يصفي دكانه ويسافر .

ثم صبت جكي اللعنات والشتائم على كروتما ، واستمعت إليها صامتة ، ولم تكن عليها ملاطفة ، واستمرت جكي في كلامها . ولما رأت كروتما أنها تتعدى حدها في ذلك ، نظرت إلى وجه أمها وقالت :

- هل هو أغاثنا وأنقذنا في الوالد ؟

- وهل أنت في شك من ذلك ؟

فتذكرت جكي على الفور طلب كروتما منه النقود ، وظنت أن البنت تشير بهذا السؤال إلى ذلك :

- وهل تظنين أنه مناد على طلبك ؟

وما كانت تستطيع كروتما أن تقطع بأنه يبني سؤالها

فقط ، ولكن فريكوتي مجيبا ، وقالت كروتما :
- يا أمي ، لا تجعليني أتكلم شيئا في الموضوع !
- لماذا ؟ وما تقصدين ؟
وأردفت جيكي السؤال لبعد برهة :
- وهل أنا فارقت معه لآخذ منه الفلوس ؟
وماذا عندك أن تقوليه ؟
فانفجرت كروتما ~~نظرة~~ ، وسألت ~~بحركة~~ :
- بعد ما نصحتني بهذا كله ، لماذا نقترض منه الروبيات يا أمي وندين له ؟
واختلج صوتها فلم تستطع أن تستمر في الكلام ، وطرأ انتباه في ذهن جيكي ، وفي كلامها حقيقة وصدق ، وسرحت جيكي بذهنها لفترة قليلة ! وقد حدث فيما خطأ ما ، وكأن هناك خطوة إلى الخطر ، فسألت جيكي :
- ماذا حصل يا بنتي ؟
وكروتما غارقة في البكاء :
- ~~ه~~هل هو حضر هنا ؟
ونطقت كروتما بكذب صريح :
- لا
- ثم ماذا يا بنتي ؟
- وإذا حضر هنا ماذا أعمل ~~يا~~ يا أمي ؟
واستعجلت جيكي ذو شمات براونها ، ولم تفكر جيدا . وطلبت منه المساعدة ووافق فريكوتي على ذلك فورا ، وما كان هذا القرض إلا أن يرد إليه ، ولم يكن سؤال كروتما في غير محله ولا شك في أنه ليس سيء الأخلاق ولكن الميس هو شاب صغير ؟
واضطربت طمأنينة قلب جيكي ، وكادت تظن أنه كان من الأحسن ألا تأخذ منه الفلوس ولكن حينما أن لكي لا تعرف شيئا من هذا

وفي تلك الليلة أيضا ألحت جكي على جيتان كني موضوع زواج كروتجا، فلا بد أن نسأله ولا نؤذها في هذا الأمر، فهذا هو المهم أولا، وأما القارب والشبكة فبعد ذلك. ولكن جيتان كني لا يوافق عليه، وقد قرر على شرائها أولا، وهو أمر مفروغ منه.

وهل يمكن أن يفاتح بكل شيء، وقالت جكي في غمرة القلق والغضب:

- وكنت الى الآن أعمل السلال لو ما لبيع الأسماك لشراء القارب والشبكة، ومن الآن فلا انتظر لهذا المكسب.

ونظر جيتان كني الى جكي وتستفسر عما تريده، فقال:

- ماذا تقولين بدون تفكير؟

وأصرت جكي فقالت:

- هذا أقوله أنا أيضا.
- ماذا؟
- أريد أن أحافظ على بنتي،
- ماذا تعنين بذلك؟
- قد كبرت وبلغت سن الأنوثة، وقلبي لا يطمئن على أن أتركها وحدها في البيت

وقد عقدت جكي عزمها على ذلك، وأضافت تقول:

- والآن عليك أن تزوج بنتك،

وسكت جنتان كني كأنه قد فهم قصدها، وإذا لم تذهب جكي لبيع الأسماك، فيترتب على ذلك خسارة كبرى، وسألها:

- وهل حصل أي أمر سوء؟
- لم يحصل شيء الى الآن. وإذا حصل في المستقبل فماذا يكون؟

وهذا أمر يستحق كل اهتمام واحتياط، ولكن

الفصل الثالث

واكتمل المبلغ المطلوب لجنبان كنجى، وذهب به لشراء القارب والشبكة، وشاع هذا الخبر بين أهالى الساحل، وحتى قال البعض أنه حصل على كنوز من البحر، وروى البعض أنه لما ذهب يوما إلى ساحل البحر رأى فى شاطئه قطعة من حجر أسود، وأخذه فوجده من الذهب الخالص. وقال آخرون أنه من كسب يده. ولكن ما كان الكثير يعتقد ذلك، فكل واحد منهم يعمل ويكد مثله، ولم يستطع أحد أن يوفر شيئا بعد نفقات يومه، وكيف توفر له ذلك؟

وكان "أجاكيتى" من أقران جنبان كنجى، وبيته يجاور بيت جنبان كنجى، وكانا صديقين منذ الصغر، وبدأ الناس يسألون أجاكيتى عن مقدار الروبيات التى أخذها جنبان كنجى معه، وعن الأشخاص الذين سيعملون معه، ومن أين حصل على هذه الروبيات، وغيرها من أسئلة حب الاستطلاع!

وما كان أجاكيتى يعرف شيئا، ولكنه تظاهر بالعلم به، وإذا ثبت أن جنبان كنجى أصبح ثريا، ألم يرتفع بذلك شأن صديقه الحميم أيضا؟ وأجاب أجاكيتى إجابات مناسبة لهذه الأسئلة كلها، وشعر المسكين لنفسه أيضا بعلو مركزه.

وسأل "كوجو ويلو":

- إنى سمعت بأن العم أجاكيتى أيضا شريكه فى ذلك.

وكان ذلك سؤالا حمل أجاكيتى فى مأزق
ولكنه لم يتخل عن ذلك أيضا فقال:

- لا أقدر أن أقول نعم أولا،

وكان هذا السؤال موجهاً إليه استهزاءً به لسبب غروره وتفاخره ، وضحكوا جميعاً عندما سمعوا منه هذا الجواب ، واصفر وجه أجاكنجي خجلاً ، وسأله أحد المستهزئين : لماذا تضحكون ؟

- ألا يستطيع أجاكنجي أن يشتري قارباً وشبكة لنفسه ؟ ولماذا يشترك مع الآخرين ؟

وانبعث صوت سريع من شفة أجاكنجي وخجل :

- إذا اشترى كل واحد قارباً وشبكة فمن الذي يعمل فيه ؟

وقال كوجو ويلو مكتماً ضحكه :

- هذا صحيح ، ولهذا لا يشتري العم أجاكنجي .

وحينذاك فقط فهم أجاكنجي أن زملاءه كانوا يستهزئون به عمداً ، ومنذ ذلك اليوم إذا تكلم أحد عن قارب جديد كهذا ، ينتهره أجاكنجي غاضباً ، ثم بدأ الناس يوجهون إليه مختلف الأسئلة ليروا طريقة غضبه وسبابه .

وفي يوم من الأيام كان محصول الصيد ضئيلاً جداً ، ولم يستطع أجاكنجي أن يحصل إلا على ثلاث روبيات ، وكان عليه دين للقهوجي أحمد كوتي ، وكان ذلك ديناً قديماً ، وفي ذلك اليوم حصل عليه أحمد كوتي من أجاكنجي بالقوة .

وهكذا عاد أجاكنجي في ذلك اليوم إلى البيت خالي اليد ، بينما كانت زوجته "ثلاثين" في انتظار عودته لشراء اللوازم لطعام العشاء ، فنشبت المشاجرة بين الزوجين ، فتقول له "ثلاثين" : إنك صرفت مكسب اليوم في الخمور والملذات ، وعدت إلى البيت خالي اليد ،

ولا تصدق قول أجاكنجي ، وفتح فاه ووضعه في فمها لتشمّ أنه لم يشرب الخمر ، ولكن كل هذا لا ينفع لدفع الاتهام عنه ، فقالت :

- كل ما تكسبه طول اليوم لا يكفي لشرب الخمر
فكيف نستطيع أن نعيش إذا لم نجد شيئا
يوما ما ؟
- هل شربت اليوم ؟ حذار من أن
تتهميني بدون حق !
- يمكن أنك لم تشرب اليوم ، ولكن ألم يكن
من عادتك الاستمرار في الشرب
كلما كان معك الفلوس ؟
وقالت ربة البيت هذا الكلام متضايقة لعدم
وجود شيء في البيت للعشاء . ولكن أجاكنجي
غضب من ذلك ، وقال بسلطة وكبرياء :
- لا تتكلمي معي بهذا الأسلوب المتغطرس .
- هل هذا كلام الغطرسة ؟ والذي كان
زميلك من الصغر أصبح يملك القارب
والشبكة ، أما عندنا فلا يوجد حتى قوت
اليوم ، هل هذا هو كلام الغطرسة ؟
أما أجاكنجي فلم يرد على ذلك بلسانه ، بل
أعطاها ضربتين عنيفتين على ظهرها . و[illegible]
جار أجاكنجي ؟ فيشتري حسبان كنجي القارب
والشبكة ، وبذلك يصبح أجاكنجي عرضة لاستهزاء
أهالي الساحل كلهم ، وفي البيت أيضا ملاقي
المتاعب والمشاكل .
- إذا اشترى أحد القارب والشبكة
فما دخلي في ذلك ؟ وماذا جنيت
أنا لأتحمل هذه المسئولية ؟
وقد جمع حسبان كنجي الفلوس مضنيا بقوته ، ولا
يقدر على مثله أجاكنجي أو غيره من أهالي الساحل .
وأما كروتما وأم جكي فكانتا تسمعان هذا
الحوار الذي جرى في بيت الجيران . فقالت جكي
بصوت مرتفع :
- عمنا أجاكنجي ، إذا كنا نمضي بقوتنا

فهل أمثالك مسالمين ؟

وتوجه أجاكثي أيضا إلى جكي ، وأجابه قائلا :

- إني أعرف جبنا نكثي جيدا . أنا أعرفه منذ صغره .

ولم تترك جكي بل واحتدت في الكلام :

- ماذا تعرف عنه أنت ؟ وهل أوقدت النار في بيتك اليوم ؟ أليس هذا بسبب سوء ضمير لك أنت وزوجك ؟

ولما جاء ذكرها في الكلام تحسست زوجته نبرة رضا فسألت :

- إني أحذرك من أن تذكري اسمي ،

وماذا عملت زوجته ؟

وسأل أجاكثي جكي :

- ما هو سوء ضميرنا يا امرأة ؟

- الحقد والحسد !

- لمن ؟ ، هل لزوجك ؟

وبصق أجاكثي بملء فمه محتقرا :

- هل يحقد الرجال لهذا الحقير يا امرأة ؟

واشتد غضب جكي :

- خذ حذرك من مثل هذا الكلام يا رجل ؟

وسأل أجاكثي :

- فماذا تعملين إذن ؟

- هل تسأل ماذا أعمل ؟

- لما وجد بعض الملاليم تكبرت !

وخافت كروثما أن يشتد النزاع ، وكممت بيدها فم أولي ، وجذبت كروثما جكي إلى داخل البيت ، ولما هدأت حدة الغضب بدأ أجاكثي يفكر جيدا ، وأزعجته هذه المشاجرة أكثر مما أزعجه عدم وجود شيء في بيته ليقتاتوه .

وكان يحدث أحيانا مشاجرات عادية بين النساء ولكنه لم يتشاجر أبدا من قبل حبنان كثي أو جكي ،

وقد حصل هذا أيضا اليوم . ولم يتم أجاكيجي
عمله .
وفي الصباح الباكر قبل أن يذهب الى البحر اقترض
روبيتين من مالك القارب وأعطاهما في البيت .
ولما عاد من البحر ظهرا أعطى كل ما كسبه في ذلك
اليوم إلى نلابن ، وقال لها بأنه يبدأ عهدا جديدا
منذ الآن :
- يا نلابن اسمعي ، من اليوم أعطيك كل
ما أكسبه من عملي ، واحتفظي به جيدا ، وكريب
هل يمكننا أيضا أن نجمع بعض النقود ؟
وسرت نلابن بهذه الفكرة ، فقالت :
- بهذه الطريقة على الأقل نستطيع أن نتغلب
على الفقر والجوع ، ولو لم نشتر القارب والشبكة
- من قال إننا لا نستطيع شراء القارب والشبكة ؟
ولا تيأسي من ذلك ، وربما يمكن ذلك أيضا .
وهذا أيضا صحيح ، وعزمت نلابن أيضا على القيام
بمحاولة جديدة ، وقالت :
- ألم تر حالة أولئك الذين كانوا يحي
الأمس القريب يعيشون بيننا ، ومن الآن
سوف لا يتكلمون معنا .
ولم يعجب أجاكيجي هذا الكلام فقال :
- لماذا تتكلمين عن عيوب الآخرين ؟ ودعينا
نفكر في شؤوننا !
- لا ، وإن جلي قد أصبحت الآن تتكبر ،
وهذا يبدو واضحا كلما نتقابل .
وتضرع أجاكيجي ، وقال :
- احفظي لسانك دائما .
- هذا هو الأحسن . ونقوم أيضا بمحاولة
جديدة حتى نصل الى غرضنا .
وما كانت نلابن تأسف إلا على أمر واحد :
ليت هذه الفكرة قد بدأت من قبل !

وأمّن أجاكنجي على كلامها، وكانت على حق هي أيضاً، ولكن أجاكنجي قد قال على سبيل ترضية الفتى:

- يا ثلاثيين، لماذا يجمع الصياد المال؟ وثرواته منتشرة في الغرب (البحر)، وأما المثل القائل إن القارب والشبكة من لوازم الرجل فقد مضى عهده، ومن الذي لا يستطيع أن يشتري القارب والشبكة إذا سعى في ذلك؟

- ولكن قد أصبح زملائي من عهد الطفولة ملاك القارب والشبكة.

وقال أجاكنجي:

- كان جبنان كنجي [illegible] جداً، وكل همه في ذلك.

وأكد أجاكنجي عزمه مرة أخرى:

- سأسعى بكل جهد.

وكان هذا الكلام بمثابة عهد أخذه على نفسه

وذهب أجاكنجي مساء إلى الشاطئ لترقيع شبكته التي تآكلت جوانبها، ولما وصل إلى هناك كان العمال الآخرون منهمكين في أعمالهم، وكان الكلام يدور بينهم حول جبنان كنجي.

فقال أجاكنجي:

- يا زملائي أليس عندكم عمل آخر إلا مثل هذا الكلام؟، لماذا تبحثون عن شئون الآخرين؟ والله فاستمروا في كلامكم هذا، حتى تغفر خطيئاته!..

وسأل "أمياك كنجي":

- لماذا أسف عليه إلى هذا الحد؟

وأجاب أجاكنجي هادئاً:

- وهل كان سؤالي خاطئاً؟

وأثار «رامن موبان» سؤالاً قانونياً في هذا الموضوع:

- أليس لنا حق لأن نتكلم عن جبنان كنجي؟

- وما هو الحق؟

وأبدى رامن موبان استغرابه :

- طيب ، يا أجاكنجي إذا كان هذا السؤال من صغار الشباب ، فليس فيه حرج ، ألست أنت صيادا كبيرا مجربا ؟

ولم يفهم أجاكنجي مراده . ولم يطلب منهم الآن لغوا عن ذكر فتاوى الناس . أليس لكبار المجربين الحق في ذلك ؟ وما هو إلا أمر مرغوب فيه .

وسأل أجاكنجي :

- لماذا قال موبان هكذا ؟

ووضع رامن موبان ما كان في يده من الخيوط في الأرض ، ثم وجه سؤاله إلى إجاكنجي :

- يا أجاكنجي ، أليس للساحل آداب وتقاليد ؟

وأجاب أجاكنجي بنعم . ووجه رامن موبان سؤالا آخر :

- وهل هذه الآداب والتقاليد موجودة في جنان كنجي ؟

ولم يفهم أجاكنجي فحوى سؤاله ، ووضع رامن موبان سؤاله مرة أخرى :

- هل جرت العادة عندنا في الساحل ، قديما أو حديثا ، بأن توجد فتاة بالغة بدون زواج ؟

ولكن أبان كنجي بدوره مقصود هذا السؤال :

- كان في الزمن القديم في كل بيت رب أسرة شرف عليها .

وسأل رامن موبان :

- ومن الذي يفكر في شراء القارب والشبكة ما دامت في البيت بنت بالغة تنتظر الزواج ؟

وفي الأيام الماضية ما كان رب الأسرة يوافق على ذلك ، وكل هذا من التقاليد المتبعة بين أهالي الساحل ، ولا يجوز انتهاكها ، ووراء كل هذه التقاليد أهداف ، وهذه التقاليد ستقدم البركات على الصيادين .

وسأل أبان كنجى :
- وما هو سن الزواج التقليدى عندنا ؟
وقال الصياد العجوز رامن موبان :
- فى السن العاشرة .
وسأل " ويلا ميور دهان " :
- وإذا بقيت البنت بدون زواج بعد هذا السن ؟
ولم يكن ذلك سؤالا موجها ليعرف جوابه . والذى ظهر من هذا السؤال هو مدى خطورة انتهاك التقاليد المتبعة . وعلق رامن موبان بنفسه على هذا السؤال
- إن هذا السؤال لا معنى له مطلقا ، فإنه لا يمكن أن تبقى البنت فى آسام هنا أكثر من هذا ؟
ووضح ويلا ميور دهان ما فى ذهنه بقوله :
- وماذا يكون موقف رب الأسرة فى هذه الحالة ؟ يقاطعه المجتمع ، ولا يستطيع أن يقيم فى الساحل .
وقال الشاب " بونيان " :
- إن هذا كان فى الزمن القديم .
وقال أبان كنجى متحمسا :
- لا يا رجل . وفى هذا الزمن أيضا ، وإذا كنت تريد أن ترى ذلك ، فانظر فترى كيف يقع جيشان كنجى فى مأزق شديد لا مفر منه .
ووافق رامن موبان على ذلك الرأى . ثم أشار إلى موضوع آخر
هل كان من المفروض أن يكون القارب والشبكة للجميع ؟
وأجاب أبان كنجى بالنفى القاطع ، ووضح رامن موبان هذا التقليد كما حققه ، وإن أبناء " البحر الأم " قد ورثوا ثروات ضخمة ، وتدر الأم عليهم منحا كثيرة ويكون فى مكنة الجميع أن يملك القارب والشبكة ، ومتى إذا كان كل واحد يملكها فمن الذى يشتغل فى البحر ؟ فقال :

- ومن الذي لا يستطيع من أهالي الساحل أن يشتري القارب والشبكة إذا أراد ؟

هذا كلام صحيح . وألقى أيان كتبي أمامهم سؤالا محيرا :

- ثم لماذا لا يملك الجميع القارب والشبكة ؟

ولهذا سبب خاص . إن الصيادين ينقسمون إلى ثلاث طبقات : بائع السمك ، صاحب القارب والآلات العامل بالشبكة ، المحترف للقارب . وهناك طبقة أخرى خاصة . وليس لأحد منهم حق امتلاك القارب والشبكة إلا للطبقة الثانية . وفي الزمن القديم ما كان يسمح زعيم أهالي الساحل بشراء القارب والشبكة إلا لأفراد هذه الطبقة ، بعد أن قدموا إليه الهدايا والتحيات المعروفة .

وسأل ويلا يورهان :

- إلى أي طبقة ينتمي جنبان كتبي ؟

وقال رامش مومان :

- إنه من الطبقة الثالثة - أي من العاملين بالشبكة .

وقال يونيان بكل دهاء :

- يجري الكلام التحقيق عن الطبقة التي ينتمي إليها جنبان كتبي .

وسأل أجاكتي :

- لماذا ذلك ؟

- لأنه يفكر في أن يتزوج تلك البنت

وقال أجاكتي :

- إن هذا أمر حسن . وهي فتاة طيبة

ولم يعجب أيان كتبي هذا الكلام ، وقال :

- إن أجاكتي معجب دائما بكل شيء ، يتعلق بجنبان كتبي .

ثم أسدى أيان كتبي نصيحة إلى ويلا يورهان :

- إنك لا تحصل على مليم من ذلك البخيل

اذكر ذلك جيداً، وأما البنت أيضاً فمتكبرة
وفضب ايان كيي على هذا الكلام
- ماذا تقول يا رجل؟ إذا تقدم أحد لخطوبة
بنت، فهل من الأخلاق محاولة عرقلة
تلك الخطوبة؟ وهل هي من تقاليد
الصيادين؟
وأجاب أيان كيني:
- أنا ما قلت إلا الحق،
وان سؤالاً وجهه "آ نيي" قد غير مجرى الحوار إلى
اتجاه آخر. وهل جرى تقليد سابق بأن يشتري
أحد القارب والشبكة من الذين ليس لهم الحق
في ذلك؟ نعم هناك تقليد سابق. ولكن
لم يعش طويلاً الانتفاع بها. وبعد ذلك
سأل ايان كيني عن الطبقات التي ينتمي اليها
الصيادون في مختلف المراكز في الساحل،
وأجاب راهن موبان:
- وأن صيادي "جيرمال" ينتمون الى الطبقة
العاملة في الشباك. وأما الذين في
ساحل (آ لي) فمن الطبقة العاملة
في القوارب، وينتمي راهن كيني إلى
هذه الطبقة، وهكذا.
وسأل يوشان عن الهدايا التي تقدم إلى زعيم
الساحل ليسمح بشراء القارب والشبكة. وهي
ثمن عشر روبية وسبعة أعداد من التبغ للمضغ
ويجب على المشتغلين بالشباك أيضاً تقديم
هذه الهدايا.
ثم انتقل الكلام إلى حقوق وسلطات زعيم
الساحل. ولهم سلطات واسعة، وسأل ويليكا
ويليو دهان كأنه يتحدى هذه السلطات:
- عندما يشتري أحد القارب والشبكة من
ماله الخاص، فلماذا يقدم شيئاً إلى زعيم
الساحل؟

وعلق على ذلك يوشيان :

- انظروا إلى قوله هذا ، وقد أصبح فعلا صهرا للعم جنيان كتي .

وقال أيان كتي مضيفا على ذلك الكلام :

- إذا لم يكن لزعيم الساحل أي حق فليقم الصهر وعمه بمخالفته عندما يأتي القارب والشبكة . فنرى ماذا يحدث إذن !

وكان ذلك بمثابة تحد صريح . ووضح أيان كتي بأنه لا يمكن لجنيان كتي عندما يأتي القارب والشبكة أن ينزلهما إلى البحر إلا بإذن من [illegible] وتحدى هو أيضا بأننا نرى ماذا سيحدث في حالة محاولته لاستعمالهما بدون إذنه . وأراد ويليودهان قبول هذا التحدي . ولكن ما حقه في ذلك ؟ ومع هذا عارض ويليودهان :

- أنتم تحقدون ؟

- هل تحقد صيادون يا رجل ؟

- ثم ما هذا ؟

ولما رأى أيان كتي أن هذا الحوار يؤدي إلى خصام ، نصح ويليودهان ليسكت ولا يتكلم شيئا . وساد الصمت لفترة قصيرة ، ولم يتكلم فيها أحد .

وبينما كانت الأحداث تتطور ، والكلام متنوع من أهالي الساحل بصورة غير متوقعة ، كانت بنكي تقضي الأوقات في أحلام الغرام ، وسوف تصبح في خلال أيام قليلة مقبلة زوجة صاحب قارب وشبكة . وكان حلما من أحلام حياتها على وشك أن يتحقق . وبذل الزوج والزوجة في سبيل جهودا متواصلة منذ مدة طويلة . وستكون لها أيضا عزة وكرامة لدى جاراتها . وربما تجد كروتما عرليا أحسن مما هو متوقع الآن عندما يملكه

لقارب والشبكة ،

وقالت الأم لابنتها :

- يا بنتي ! إن أباك له برامج عديدة في ذلك ، فيشتري الأرض والبيت بجانب العام الأول ، ثم يزوجك بعد ذلك .

ولم تبد كروتما أي رأي على هذا الكلام ، وقالت حكي من عند نفسها :

- بفضل كرم الله الأمر لا يزال ميسرين للأبد . ولم يبق عندنا الحظ في أن نكسب من جديد العام القادم ، فعلى الصوم لا يملك أحد شيئا .

وقبل أن تفرغ حكي من كلامها سألتها كروتما :

- كيف تعرفين يا أمي بأننا سنظل ميسرين للأبد ؟

وفهمت حكي فورا أن سؤال كروتما يشير إلى فرض في ذلك . ولم تجد حكي جوابا . ووصلت إلى الاختلاق برد مناسب للوقت :

- لا ، لا تعتبري فرضا .

فقالت كروتما ، وهي مستاءة من هذا الرد :

- أليس هو واجب الدين ؟

- ليس هذا هو قصدي يا بنتي . ولكن إذا تأخرت في الزواج ، فلا بد لنا من أيام الفقر والشك .

- لأن هذا ~~التاجر الصغير~~ لوسنسو الذي طيب القلب .

وسألت حكي متظاهرة بالغضب :

- ماذا يا بنتي ؟ لماذا يذكر اسم ~~التاجر~~ لوسنسو الذي ~~الصغير~~ ليس من قبل ؟

ولم تتكلم كروتما شيئا . ولم يظهر عليها الصبر وإنما ينتظر سؤال أمها . وأضافت حكي تقول :

- يا بنتي إذا سرت في الطريق المستقيم فيأتي أحد من الشباب المحترمين ليخطبك .

ووصلت جكي الى هذا النظر . وسدت كروتما فم امها بيدها :
- ما هذا الجنون يا أمي !
ونظرت جكي الى بنتها نظرة العطف والحنان ، ثم طلبت منها :
- لا تخبري شيئا يا بنتي !
ومع هذا كله لم تصرح كروتما بأنها لا تحب ذلك الشاب المسلم .
وفي مساء ذلك اليوم حضر أحد الكنبي الى بيت جنبان كنبي ، وحكى لجكي كل ما جرى من الكلام بين الناس في الساحل ، ويريد بعض الناس من أهالي الساحل خلق المشاكل والمتاعب ، وعلى رأسهم أبان كنبي ورامن موبان . وأول ما يجب عند ما يعود جنبان كنبي أن يجد حلا لهذه المشاكل ، وقال هذا الرجل :
- كنت زميلا لجنبان كنبي منذ الصغر ولا يمكنني أن أسكت على مثل هذا الكلام
فطارت البقية الباقية من طمأنينة قلب جكي ، وتعرف مدى خطورة مخالفة طبقة الصيادين ، وما هو ذنبه المؤدي الى هذه المخالفة ؟ أليس هو التأخر الذي حدث في تزويج بنته ؟

الفصل الرابع

توجه رامن موبان وأيان كنجي واثنان آخران إلى زعيم الطبقة كممثلين لصيادي الساحل، وأخذوا معهم الهدايا والتحيات المتبعة. [redacted] يريدون أن يشكوا إليه أمراً خطيراً يؤثر في مستقبل رخاء الساحل كله.

وإن [redacted] الجنيان كنجي بنتا بالغة. ولم يزوجها بعد، وتقدم في السن كله. ولهذه هي شكواهم الأساسية. واستمع زعيم الطبقة إليهم باهتمام بالغ ووعدهم باتخاذ الإجراءات اللازمة فوراً.

وبدا لأيان كنجي أن هذه الشكوى لم تؤثر أثراً، وأن الزعيم لم يتحمس كما ينبغي. ولقد كانوا هذه بدون انصراف حتى بعد جوابه هذا فسألهم:

- لماذا تنتظرون، هل عندكم أمر آخر؟

فعرض أيان كنجي شكوى أخرى:

- بينما تسبب تلك البنت الارتباك لأهالي الساحل، ذهب جنيان كنجي ليشتري القارب والشبكة.

وما كان يعرف [redacted] زعيم الطبقة ذلك الخبر من قبل:

- من أين له المال لهذا كله؟

ولا يعرفون شيئاً عن هذا. وقدم أيان كنجي استفساراً متواضعاً:

- هل صرحت له شراء القارب والشبكة؟ ونحن من طبقة المشتغلين بالقارب.

- لا .. لا أبداً حتى [redacted] هو لم يسألني شيئاً.

- وما علينا من الإجراءات في مثل هذه الحالة؟

وفكر مليا، ثم قال:

- إنه يظن أن العالم قد تغير.

وأجاب أيان كنجي بنعم، وأصدر الزعيم حينئذ أمراً:

- عندما يأتي بالقارب، فلا يذهب أحد منكم للعمل فيه إلا بإذن مني.
وأكد أيان كنجي بأنه لن يحدث إلا ذلك.
- لكن هنالك بعض الشبان الطائشين، ولا نعرف شيئاً عن موقفهم في مثل هذه الأمور!
وكان أيان كنجي يقصد بذلك ويلايودهان.
وأما الزعيم فلم يهتم بذلك كثيراً. ويعرف أنه لم يأت بعد، الوقت الذي يجرؤ فيه أحد لتحدي سلطاته.
- إلى كفهل بهذا الأمر. وأخبروا أهالي الساحل بأني لم أصرح بشراء القارب.
وانصرف رامن موبان وأيان كنجي كأنهما انتصرا. ودخلا كل بيت في الساحل لإبلاغ أمر الزعيم. وفي رأي أيان كنجي أنه لا يجرؤ أحد على مخالفة هذا الأمر إلا ويلايودهان، وسيعرف عاقبة ذلك.
وعلمت چكي كل شيء.
وهناك سوابق لتعرض بعض العائلات لأنواع من المتاعب والمشاكل بسبب غضب زعيم الطبقة عليها، واضطرت عائلات لمغادرة البلاد نهائياً. بل ولا يستطيعون في هذه الحالة أن يعيشوا في أي مجتمع آخر من الصيادين، وما كان لهؤلاء بد في تلك الأزمان إلا تغيير الأديان.
وأما الزمن فقد تغير، وتسرب الوهن إلى أواصر مثل هذه الرابطة. ولكن إذا أصدر زعيم طبقة من طبقات الصيادين أمراً بمقاطعة شخص فلا يجد أحداً ليعمل معه. وكذلك ربما لا يشاركه أحد أفراحه وآلامه.
وما زالت هذه العادة متبعة ونافذة المفعول.
وكان من المستحسن أن يقدم الهدايا إلى زعيم الطبقة ويستسمح منه قبل الذهاب لشراء القارب والشبكة!
وما الذنب الذي ارتكبوه؟ وليس بين أهالي الساحل حديث إلا موضوع أمر زعيم الطبقة بالمقاطعة وتقول النساء إن الذنب الكبير الذي ارتكبوه هو التأخر

من زواج البنت البالغة ، وتمنت كروتما أنها لم تولد ، وأنها تسبب المتاعب لوالديها . وهل هي المسئولة لأن تولد وتكبر وتصبح فتاة بالغة ؟ ولم ترتكب شيئا يدنس حرمة الساحل . وما هو الضرر الذي يصيب الآخرين بتأخر زواجها ؟ [illegible] ولكن هذه الأفكار الفلسفية لا تجدي شيئا .

وكانت الأم والبنت تنتظران عودة چمبان كنجي بفارغ الصبر ، واجتمعت بعض السيدات في منزل "كالي كنجي" ودار الحديث بينهن حول عائلة چمبان كنجي ، وسمعته چكي خفية ، فقالت إحداهن ، إن كروتما على علاقة حب مع فرنكوتي ، ورأتهما بنفسها يضحكان ويمرحان وراء القارب ، ولعله هو السبب في تأخير زواج كروتما !

وهل هذا كلام تستطيع أم أن تتحمله ؟ واندفعت چكي نحوهن مثل الأسد المفترس ، وصارت عرضة لألسنتهن الطويلة ، ولما قلن في شأن چكي أنها كانت أيضا في صغرها قد فعلت ما يخالف تقاليد الساحل ! وسألت چكي بدورها من هو الوالد الحقيقي لأحد أولاد كالي كنجي ، ألم يكن ذلك الرجل الذي كان يدخل البيوت لشراء الأسماك الجافة ؟ وفي حياة كل منهن حوادث مماثلة . وهكذا نشب نقاش مرير بين چكي وبين هؤلاء النسوة .

واندهشت كروتما التي كانت تستمع لهذا النقاش من هذه القصص المثيرة . أما كانت أمها أيضا تحب في شبابها رجلا أجنبيا ؟

فهل لكل منهن قصة في شبابها في تدنيس حرمة الساحل ؟ وما هي إذن قيمة هذه التقاليد القديمة الموروثة لأهالي السواحل ؟ وهل هي مجرد كلام ليس إلا ؟ وعلى رغم وجود قصص مثيرة وراء هؤلاء النسوة جميعا ما زال البحر يدر كنزا تحت

بدون انقطاع . وتروح إليه القوارب وتعود
مليئة بالأسماك . وما زال صيادو الأسماك
يعيشون كالمعتاد . وما هي قيمة هذه الأساطير ؟
واشتد حماس النقاش بينهن ودخلن في
موضوع كروتما من جديد ، وأصبحت كروتما
ذميلة ، ولم تستطع الاستماع الى هذه الأقاويل
الكاذبة ، ولم يتناقشن حتى من القول أن تقش
ع فرنكوتي . ولا يقدر أحد أن يسيطر على هذه
الشابة الرعناء إلا الصمود . ويتآمر زواجها خوفا من
ضياع هذه الفرصة للكسب .

وربما تكون القصص التي تداولت بين أورا وبين
عوائد النسوة هي أيضا كاذبة لا تمت الى الواقع بصلة
وأخيرا قالت كالي كنني مخاطبة جكي :

— انتظري ماذا سيحدث لكم ! وأن زعيم
الساحل قد قرر اتخاذ اللازم ضدكم !
وازداد حماس جكي قوة ، ولا تريد أن تتراجع
وتتخلى عن ادعاءاتها ضدهن :

— وماذا يقرر الصمود يا امرأة ؟ وما الذي
سيتخذه زعيم الساحل ضدنا ؟

فقالت "كروتمابن" :

— سيعلم زعيم الساحل جيدا الإجراءات
اللازم اتخاذها ضد الخارجين على التقاليد
والمخالفين للآداب !

وقالت جكي بجرأة ودهاء :

— وماذا يستطيع أن يفعل ؟ ونحن نعتنق
الإسلام ونصبح مسلمين ، فماذا يعمل
الزعيم حينذاك ؟

وقالت إحداهن : لم

— قولي ذلك صراحة ، فإنك تتركين بنتك
مع شاب مسلم الأعن محمد سابق :

ثم قالت أخرى :

— هذا هو الأحسن للأم والبنت .

وسألت جكي :

- وما هو السبب الذي ترين فيه بالمرأة ؟

واضطربت كروتما من هذا الكلام اضطرابا لم يسبق له مثيل . ولا يمكن أن يقال إنه من ألم أحست به من جراء هذا الكلام . ولم يكن أيضا من تفرج شعرت به عندئذ . ونادت كروتما أوما في ألم بالغ لكن تعود الى البيت . فعادت جكي إليه . ولعلها أحست بإعياء شديد بسبب هذا النزاع الطويل . وظلت جكي تتمتم .

وأرادت كروتما أن تسأله عن أشياء كثيرة ولكنها لم تجرؤ على ذلك . وحلق في ذهنها كلمة " اعتناق الاسلام " وشعرت بقشعريرة في جسمها ، وسخونة في أعصابها .

أليس ذلك من طبيعة الانسان ؟ فانها تعيش في حصن حصين من التقاليد الموروثة ، والمعتقدات الراسخة ، وشعرت بنفسها ، أن طريقا يبدو في الأفق لتخرج من حدود تلك القلعة الحصينة ، وكذلك كانت طريقة حياتهم المتبعة . وخطر ببال كروتما أن اعتناق الاسلام هو أحسن الوسائل للتخلص من كل هذه القيود الشديدة . وإذا اتخذوا قرارا في هذا الشأن فكل شيء يتم على ما يرام . وكيف يكون ~~التحول~~ هذا التحول الى الدين الاسلامي ؟ وما هي التغيرات التي تحدث فيها بعد ذلك ؟ فاذن هي تذهب الى فريكوتي لإقامة مسلمة ، وترتدي بلوزة بيضاء فوق إزار طويل ، وأذناها مزدانتان بأقراط ذهبية ، وما أحب ذلك إليه !

ويمكن لفريكوتي حينئذ أن يحلق إليها بدون حرج ، ولو لم تكن تستطيع أن تستسيغ معنى هذا التحول الكلي ، ولكن هذا هو السبيل الوحيد الذي يمكنها من أن تتخلص من موقفها المتأزم الراهن

ولم يكن لها إذ ذاك أن تقضي حياتها كزوجة الصياد يغدو ويروح يوميا إلى البحر .

وكانت تقول لفريكوتي إذا حضر عندها في تلك اللحظة :

— إننا سوف نعتنق الإسلام .

فلا يلبث أن يرقص فريكوتي طربا !

ولكن هل كانت أمها جادة في كلامها ؟ . وربما حدث هذا الكلام أثناء حدة ثورتها . وخافت من أن تستفسر أمها عن حديثها . وربما نسي الفهم عنها بأنها ترغب في ذلك .

وهكذا تراكمت الأفكار العديدة في ذهن كروتما .

وبعد بضعة أيام وصل إلى الساحل القارب الذي اشتراه جيبان كنجي ومعه شبكة الصيد . وهو القارب الذي كان يملكه " بالي كونات كانتان كوران " وإن كان مستعملا فإنه من أشهر القوارب في ساحل " جيرتلا " . ولماذا باعه كانتان كوران ؟ إن حالته المالية حرجة جدا . وهو صاحب عيال وذو مصاريف باهظة .

وشهد الجميع القارب . ولم يبد أحد رأيه فيه صراحة ، ولكن الأحقاد قد تسربت إلى قلوبهم لحصول جيبان كنجي على هذا القارب الميمون . وقال أحد الكنجي لرفقائه :

— إن رخاء " بالي كونان " قد انتقل إلى جيبان كنجي مع هذا القارب .

واستنكر أيان كنجي قائلا :

— وكيف ينتقل رخاء ذلك الرجل المحترم إلى هذا السماك العادي ؟ وهل يستوي هذا الرجل الذي نراه واقفا في الساحل عندما يصل القارب إليه لابسا الإزار الأبيض وعلى كتفه رداء ذو خطوط سوداء والذي هو في مستوى جيبان كنجي ؟

وأبدى إيمان موبان أيضا رأيه :

— فتصبح إذن حلي زوجة جيبان كنجي الزهيدة

السوداء مثل قرينة كنتان كوران الجميلة ، هل
رأيتها ؟

وقال أيان كيني :

– نعم ، إذا نظرت الى وجهها فيبهر جمالها عينيك ،

ولما عاد جينان كيني الى بيته صدم بما سمع من الأخبار الشائعات . وكان في غاية الغبطة والسرور بفضل حصوله على قارب الصيد . فكان يريد أن يحكي لزوجته قصة زيارته للفنان كوران وتناوله الطعام معه في بيته وعن أخلاقه وتصرفات زوجته الفاضلة . ولكنه صدم بما سمع من الأقاويل قبل أن يفتح فاه بشيء من ذلك .

ولم يصادف في حياته من قبل مثل هذه المنغصات وقد وضع مشروعا لمستقبل حياته ، ولما حان أوان تنفيذه لاقى متاعب وعراقيل في سبيله .

وأما ذنبه الوحيد فإنه لم يستأذن زعيم الساحل قبل أن يذهب ليشتري القارب والشبكة . وأنه خرق التقليد المتبع منذ زمن قديم . وما كان يظن أن هذا الأمر سوف يتطور الى هذا الحد الخطير . إنه قد جمع هذا المبلغ من عرق جبينه وقوت يومه وماذا يكون مدى صدمته عندما يواجه مثل هذه المشاكل بعد هذه الجهود كلها .

وسأل جينان كيني زوجته وهو في غاية الحزن :

– ماذا جنينا على هؤلاء الناس ؟

وأجابته جكي :

– وهل هذا يحتاج الى تفسير ؟ إنه مجرد حسد .

ولقد كانت جكي على حق . وكل شيء يستقيم على ما يرام إذا استطاعوا أن يدبروا حوالى خمسة وعشرين روبية ولكن أنى لهم هذا المبلغ ؟ ولا يستطيع جينان كيني تشغيل قاربه إلا بعد الحصول على بعض الأدوات اللازمة له ، وليس عنده الآن غير شبكة واحدة . وحكى جينان كيني لزوجته كل متاعبه ، ثم لمن يحكي هذه المتاعب ؟ وهل هناك أحد غيرها ؟

ليسمع الريح ؟ ولكن جكي لم تحاول تهدئته ولكنها واجهته بسؤال :

- ثم لماذا تحملت هذه المسئوليات التي لا تطيقها ؟

ولم يقل جنبان كيني شيئاً ، وربما أحس بنفسه أيضاً أنه قد تحمل مسئوليات فوق طاقته ، ولم يبق له حيلة ، وقد أصبح قومه أيضاً ضده ،

وأضافت جكي :

- إذا زوجنا البنت بالمبلغ الذي كان عندنا فهل كانت تواجهنا الآن هذه المصيبة ؟

وسكت جنبان كيني ولم يقل شيئاً ، وإذا كنت ذا مطامع كبيرة فلا تشعر براحة القلب وطمأنينته أليس من الأفضل أن يعيش الإنسان مقتنعاً بما في حوزته ؟

وكان من المفروض أن يحتفلوا بذلك اليوم الذي تحقق فيه حلم حياتهم ، ولكن الوجوم كان يخيم على البيت في ذلك الوقت ، ولما أظلم الليل قال جنبان كيني لزوجته :

- إذا استطعنا الحصول على خمس وثلاثين روبية فكل شيء يكون قد انتهى .

وسألت جكي :

- وكيف ذلك ؟

وأجاب :

- سأقابل زعيم الساحل غداً ، وبعد ذلك تسير الأمور في مجراها الطبيعي .

- وماذا تعمل إذن لشراء بقية الأدوات اللازمة ؟

- وكل هذا سيتم بدون صعوبة .

واستخرجت جكي المبلغ الذي كانت تدخره سراً في حصالتها الخاصة وقدمته لجنبان كيني ، وبعد أن أعطته آخر مدخراتها قالت له :

- أنظر كيف تتعب الآن ؟ ألم أكن

أقول لك دائما أن تصل إلى بعض الحلول، وإذا استمعت إلى كلامي حينئذ كلنا نستفيد من مثل هذه المحن، ولكنك لم تفعل ذلك. وافق جنبان كنجي على هذا الرأي.

- هناك وسيلة أخرى يا جكي!
- وما هي تلك الوسيلة؟
- هي ....

وسكت جنبان كنجي، وأمسك عن الدفع عنها. وألحت عليه جكي مرة أخرى فقال:

- إذا اتصلت بذلك الشاب ستحل المشكلة.

ووضعت جكي يدها على فمه، ولم تكن جكي متأكدة هل كروتما قد نامت أم لا. وأبعد جنبان كنجي يدها عن فمه وسأل:

- مالك؟
- اخفض صوتك!
- نعم، ماذا؟

ولا يعرف جنبان كنجي شيئا من هذه الأمور، وهي أمور لا ينبغي لوالد أن يعرفها) ولكن الظروف تحتم على جكي أن تقول له شيئا عنها. وكرر جنبان كنجي سؤاله. وقالت جكي في أذنه:

- تقول كروتما أن هذا عيب، وهي سوف تغضب إذا علمت ذلك.
- ثم ماذا نفعل الآن؟
- هذا ما أفكر فيه أنا أيضا.

وبعد هنيهة سأل جنبان كنجي:

- هل هو موجود هناك الآن؟
- ربما.
- سأذهب إليه الآن وأرى ماذا سيتم.

ولم تقل جكي شيئا، وخرج جنبان كنجي من البيت أما كروتما فقد كانت نائمة، ولم تعرف شيئا عما دار بينهما.

وعاد جنبان كنجي بعد قليل وملامح وجهه

تدل على الانشراح؛ وأن غرضه قد تحقق.
- شاب طيب، كان عنده ثلاثون روبية، أعطاني إياها فورا.
ولو أن جكي قد شعرت بالراحة فإن قلبها كان يؤنبها، أن ما قالته كروتما في شأن الاقتراض من هذا الشاب ... ... تخلدها، ولماذا سارع إلى دفع كل ما طلبت منه؟ ... كان ذلك سؤالا ذا معنى عميق، ولم تكن ذلك ... لا للأهل كروتما.
وذهب جنبان كنجي في صباح اليوم التالي لمقابلة زعيم الساحل، فثار عليه في بادئ الأمر، ثم هدأ غضبه ووعده جنبان كنجي بأنه سيزوج بنته في أسرع وقت ممكن لأنه تعهد بتقديم قطعة إلى الزعيم من مكاسبه اليومية من ذلك القارب، ثم شكا جنبان كنجي إليه أحقاد أهالي الساحل وإشاعاتهم الكاذبة، فوعده بالنظر في هذا الموضوع.
وهكذا ساد نوع من الهدوء على الجو غير أنه يحتاج إلى خمسمائة روبية أيضا لاستكمال الأدوات اللازمة لإنزال القارب إلى البحر، وكان عليه أن يدبر هذا المبلغ وسألت جكي:
- وكيف ذلك؟
وقال جنبان كنجي:
- لابد أن يدبره فرمكولي.
واندهشت جكي. ودار نقاش حاد بينهما بدون أن تسمع كروتما شيئا عنه. وأمر جنبان كنجي بسلطته الزوجية:
- لابد أن تطلبي منه هذا المبلغ
- لا - لا أطلب منه
- إذن فليتعطل القارب.
- فليتعطل
وما كانت جكي تريد من قلبها أن يتعطل فعلا، وأدركت أن جنبان كنجي مصمم على ألا يفعل شيئا بنفسه، وكان جنبان كنجي بدوره يريد أن تشعر زوجته بهذا التصميم

وسألت جكي :

- حسنا ، هل ترد إليه هذه المبالغ كلها ؟

ووعد جنبان كنجي بردها إليه مع الفائدة .

وذهبت جكي الى فريكوكي ، وطلبت منه النقود ، وجرى في تلك الليلة بيع كميات كبيرة من الأسماك المرهونة مبكرة . وهكذا استعد قارب جنبان كنجي للتشغيل بجميع لوازمه .

ثم برزت مشكلة تدبير العمال الذين سيعملون معه في القارب . وأن زعيم الساحل قد استدعى كبار الصيادين واتخذوا الاجراءات اللازمة لتدبير العدد المطلوب من الأشخاص ليعملوا مع جنبان كنجي .

وفي الواقع لم يكن لهذا الموضوع الا مشكلة بسيطة ، إذ أن الجميع كانوا يتمنون العمل مع جنبان كنجي [illegible] أو قارب الجديد ، وأن اجاكنجي كان متوقعا أن يستشيره جنبان كنجي ويدعوه للعمل معه . وقد حدث [illegible] نزاع شديد في بيت أجاكنجي بسبب جاره . وقد [illegible] أجاكنجي استعداده حتى لمواجهة الزعيم من أجل الدفاع عن صديقه ، حيث أن الصداقة كانت تربط بينهما منذ الطفولة . ولكن جنبان كنجي قد اجتمع معه [illegible] مرات ولم يفاتحه بشيء في هذا الموضوع . وأخيرا [illegible] تم اختيار اثني عشر شخصا ليعملوا في القارب ، ولم يكن من بينهم أجاكنجي .

ومن العادات المتبعة لدى أهالي الساحل أن يقام حفل صغير عشية إنزال قارب جديد الى البحر . اشترى جنبان كنجي الأشياء والأدوات لإعداد الحفل من محل "حسن كوتي" قرضا ، وأرسل بنته كروتما [illegible] بعض أقاربه المقيمين في القريتين المجاورتين ، "كالا تام" و"بونا باما" لحضور الحفل .

بينما كانت كروتما تسير بحذاء الشاطئ غارقة في الأفكار إذ سمعت صوتا مألوفا :

- هل تتعاملون معنا في تجارة الأسماك ؟

وتوقفت كروتما مندهشة ، فرأت فريكوكي واقفا

لها . وكيف ؛ ومن أين وصل هناك في هذه اللحظة ؟
لم تقل كروتما شيئاً حتى الرد الذي أجابته به من
قبل بأنهم مستعملون معه إذا دفع لهم الثمن المناسب
ولم تعد هي الآن كروتما التي كانت كعهده بها
من قبل . ووقفت مطرقة رأسها . فسألها فريكوتي
- هل كروتما غاضبة مني ؟
ولم تجب كروتما بشيء . وكان قلبها يدق وقالت
- إن كنت راغبة عن الكلام معي فلا أريد
أن أتحدث معك .
وفي الحقيقة أن كروتما كانت تريد أن تقول له
عدة أشياء وأن تستفسر منه عن أشياء أخرى هامة
ألم تكن تريد حتى أن تسأل عن فكرة اعتناقه الاسلام
وظلت واقفة في ظلال القارب المركون في الساحل
ملتزمة الصمت التام ؛ ولعله كان ينتظر الى صدرها
المتزهد . ولم تقل له ألا يحملق إليها هكذا ،
ورفعت رأسها وقالت :
- دعني أذهب يا مولاي .
هل تحتاج كروتما الى إذن من فريكوتي للانصراف ؟
أما كانت تستطيع أن تذهب بدون أن تستأذن ؟
وقالت متزعجة :
- لعل أحداً يرانا .
ومشت خطوات قليلة ، فسمعت فريكوتي يناديها :
- كروتما !
وكان لهذا النداء ؛ وذلك الصوت معنى خاص .
وشعرت كروتما بإحساس لم تشعر بمثله من قبل ،
واستوقف كروتما هذا الصوت كأنه يجذبها الى الوراء
ولم يتقدم اليها فريكوتي . وربما كانت تتوقع أن
يقترب منها .
ولم يدر كل منهما كم من الوقت قد مضى على
هذه الوقفة . وماذا عسى أن تكون الخواطر التي
قد مرت على تلك الفتاة حينذاك ؟
ولم يغضب البحر الآن ، ولم تهب الأعاصير ، ولكن

ولكن البحر قد ابتسم بأمواجه الراقصة المتكسرة على صفحة الماء ذات الرغوة البيضاء،

هل هذه هي الرواية الغرامية الأولى التي تحصل له هل؟

ويلخص كل ما كان يريد أن يقوله فريكوني، يسأل هذه كروتما في كلمة واحدة:

- هل تحبينني يا كروتما؟

وجاء الرد من كروتما بدون أن تشعر:

- نعم

وبدر منه سؤال آخر:

- هل تحبينني وحدي؟

وجاء الرد على سؤاله هذا أيضا على الفور:

- نعم، أنت وحدك،

وكان لصوتها هي وقع الصاعقة في نفسها، وربما تنبهت إلى حقيقة الأمر، وفهمت كل معاني ما قالته، كأنها ترى تلك المعاني في صور مجسمة أمامها.

ونظرت إلى وجه فريكوني. وقد ابتسمت الأزهار، أفصح كلاهما عما كان يريد أن يفصح عنه، وفتح كل منهما قلبه للآخر. ومشت كروتما.

...

الفصل الخامس

اجتمع أهالي الساحل في ساعات مبكرة من اليوم التالي في شاطئ البحر بمناسبة إنزال القارب الجديد لجنبان كنجي . وحسب التقاليد السائدة يجب أن تنزل جميع القوارب معا إلى البحر يوم إنزال قارب جديد . ووصلت جكي ، وكروثما ، ومنجاه إلى الشاطئ ، وأشارت منجاه إلى فريكوتي الذي كان واقفا على مقربة منهم . ووكزت كروثما بأصبعها لتسكت . وكان رامان موبان ينادي الناس ليسرعوا بالحضور إلى مكان الاجتماع بينما كان إيان كنجي يلوم المتأخرين بالحضور وقال :

– لماذا يتأخر هؤلاء مع أنهم يعرفون أن قاربا جديدا سينزل اليوم إلى البحر ؟

وحضر جميع العمال الذين اختارهم جنبان كنجي ليعملوا في قاربه ، وأنشد واحد منهم نشيدا كان يردده فريكوتي . وكان ذلك نشيدا ملائما للغاية في تلك اللحظة .

وكان القمر يتلألأ في الشرق ويطل عبر أوراق أشجار النارجيل الباسقة على قارب جنبان كنجي ، وابتسم البحر الأم بهجة وسرورا . وتجمع الناس حول كل قارب ، ولابد أن ينزل قارب جنبان كنجي أولا وفقا للتقاليد المتبعة وأخرج إيان كنجي الأغاريد ، وتبعه الآخرون واهتز الساحل بصدى الأغاريد المتتالية .

وقال رامان موبان :

– فليحمل جنبان كنجي المجذاف !

وحمل جنبان كنجي المجذاف ووضعه على رأسه ، ورتل بعض التراتيل الدينية ، واشترك الحاضرون جميعا في دفع القارب ، وتحرك عبر الرمال المصففة ، ونزل إلى الماء رويدا رويدا . ووقفت جكي وكروثما بجواره في غاية الخشوع ، وضمتا أيديهما ضمة ، وأغمضتا

بعونهما دعاء . ولما فتحنا العيون وجدنا القارب الجديد يرقص فوق الأمواج الزاخرة ، ويتحرك متوطا إلى قلب البحر بخفة وسرعة . وأن لاتجاهات القارب وتحركاته دلالات ومعاني ، ووقف راهان موبان وأبان كنجي متفرسين في تحركات القارب .

وسأل راهان موبان :

- ماذا رأيك عن الاتجاه ، أبان كنجي !

وقال أبان كنجي :

- أليس الاتجاه نحو الغرب ؟

- نعم ، ولكن الميل إلى الجنوب .

وتقربت جكي إليهما ، وهي تواقة لمعرفة النتائج ، وسألت :

- كيف الحال يا عم أبان كنجي ، هل هي تبشر بالخير ؟

وقال أبان كنجي متظاهر العلم بكل شيء :

- هي مبشرة بالخير ، يا جكي ! لا يصيبكم الضيق في العيش أبدا .

ورفعت جكي يديها مضمومة ودعت " إله البحر " ، وأسرع القارب إلى عرض البحر ، وكأنه في موعد مع النجاح التام الباهر .

وقالت كروتما :

- إن لقاربنا حركة وسمتا ، أليس كذلك يا أمي !

وقالت جكي ناظرة إلى البحر :

- إن لاتجاهه طريقة خاصة .

وقال أبان كنجي :

- فلا غرو في ذلك ، يا جكي ! أليس هو قارب " بالي كونات كاننان كوران " ؟

هل يوجد قارب ميمون الطالع مثله في الساحل كله ؟ وكل ما ينتمي إلى " بالي كونات كاننان كوران " فهو بذر الخير والبركة ، فإن زوجته مثلا ذات خلق كريم ، ومن النادر وجود مثلها بين طبقات صيادي الأسماك ، وأما داره فدار يمن وبركة .

والآن قد انتقل إليهم قاربه . وهذا مبشر بخير
لهم ، وحظ سعيد لمستقبلهم يا جكي ، فلا شك
أن لكم مستقبلا زاهرا بفضل هذا القارب .
ثم نزلت القوارب كلها إلى البحر ، وبدأت
تنشر شباكها في اتجاهات مختلفة ، ولم يبق في
الشاطئ إلا جكي وأولادها وفريكولي ، وارتعد
فريكولي من الرياح الباردة ، ومشى فريكولي
مشيا وئيدا نحو جكي ، وتحركت كروتما إلى الخلف
ووقفت وراء أمطي ، ولكن "بنجلي" ظلت تحملق إلى
وجه فريكولي ، ولم يلبث فريكولي أن وجه
سؤاله المعتاد ، ولكنه في هذه المرة وجهه إلى
أم كروتما ، وسواء أكان جديا ~~أو هزليا~~ في
سؤاله، فما كان يصدر منه إلا هذا :
- هل تتعاملين معنا في تجارة الأسماك ؟
وقالت جكي :
- نعم يا بني ، وهل نبيع لأحد غيرك ؟
ولم تفهم جكي فحوى هذا السؤال ، ولم تفهمه ، وهل
كان سؤاله عاديا ؟ أليس وراءه عالم كامل
من العواطف والمشاعر ؟
وقالت كروتما من خلف أمطي :
- إني أحس ببرد شديد يا أمي !
وما كانت تستطيع جكي في ذلك اليوم الذي نزل
فيه قاربهم الجديد إلى البحر أن تنصرف بدون أن
تقول شيئا لفريكولي :
- يا بني إن الفضل كله يرجع إليك في إنزال
هذا القارب إلى البحر اليوم ، ولولاك ما كان
يحصل ذلك .
ولم يرد فريكولي بشيء على هذا ، وشعرت كروتما
بارتياح على أن أبدت أمطي بعض العرفان بالجميل
وأضافت جكي قائلة :
- إننا نرد مبالغك بعد موسم صيد الجمبري .
- وإن كنت لا أريد ذلك ؟

- ولماذا لا تريد ؟ وما هو السبب ؟
فقال فريكولى :
- أنا ما أعطيته لا أسترده .
ولم تفهم جكى معنى ذلك . ولكن كروتما قد فهمته جيدا ، وقد دبت في جسمها قشعريرة عنيفة ، وتسرب إلى ذهن جكى أيضا نوع من الريب والشكوك :
- لماذا ذلك يا ابنى ؟
وأكد فريكولى قائلا :
- لا . إنى لا أريد استردادا هذه المبالغ .
وأضاف فريكولى بعد هنيهة :
- طلبت منى كروتما بعض المال لشراء الحمار والشبكة ، فدفعته ، ولا أريد رده .
وأظلمت الدنيا في عينى كروتما ، وشعرت بدوار في رأسها ، وسألت جكى فريكولى في شيء من الامتعاض :
- لماذا تدفع المال لكروتما يا ابنى ؟ وما علاقتها بك ؟
ثم أردفت جكى كلامها في حدة أكثر :
- لا . لا نريد ذلك ، ولا بد أن تسترد هذه المبالغ .
وأحس فريكولى أن جكى تتكلم معه غاضبة ، ولم يقل شيئا .
وأضافت جكى قولها كالأم النصوح :
- اسمع منى يا ابنى ، أنت من المسلمين وأما نحن فمن طائفة الصيادين ، وكنتم تلعبون معا في الساحل كأطفال صغار ، وقد مضى هذا العهد ، ونريد أن نزوجها لشاب محترم من طبقات الصيادين ، وعليك أن تتزوج فتاة حسنة من طائفتك وتعيشون سعداء .
واستطردت قائلة :
- أنتم صغار لا تدركون الأمور على حقيقتها ،

ولا تفعل شيئاً يسمعك ، وإذا رأى
الناس حتى هذا المنظر فسيظلون يقولون
الأقاويل ، انظر إليهم الناس قادمون
ونهضت جكي في الانصراف مع أولادها ، والتفتت
إلى فرنكولي ، وقالت في رفق وحنان :

- اسمعني يا بني لا بد أن تترك مبالغك

ومشت جكي ووراءها كروتما ونجاهي . وظل
فرنكولي مراقبهن واقفاً في مكانه .
وكل ما قالته جكي كلام صحيح ، وهذا هو حق
واجب على كل أم أن تقوله ، ولكن هذا الكلام
أصاب قلب كروتما كالسهم النافذ ،
وبعد أن مشت قليلاً التفتت كروتما إلى الوراء
في حركة لا شعورية . ولما وصلن إلى البيت
سمعن ذلك النشيد الأخاذ لجامع القلوب
يردده فرنكولي من الساحل :

وقالت جكي :

- هل ينام هذا الولد ؟

ثم قالت جكي لكروتما :

- إننا نريد بأي طريقة أن نزوجك ونبعدك
من هذا الساحل .

وكان كلام أمها هذا يضمر أثراً ما ضدها وأثار
سببت لهم المشاكل ، ويصلى الجميع اضطراباً في
قلوبهم وعدم الاطمئنان . وسألت كروتما
متضررة من حزن وغضب :

- وماذا فعلت ؟

وسكتت جكي .
وبعد طلوع الشمس توجهت جكي وأولادها إلى
الشاطئ لانتظار عودة القوارب من البحر .
وما زالت القوارب كلها في أعماق البحر ، ويبدو
من حالة المياه أنه يوم صيد فالح . وسألت
كروتما جكي عن نوعية السمك الطالع في مثل
هذا اليوم ، وقالت إنه من الأغلب أن يكون

"زنكة" أو "رنجة" فسألت كروتما في غاية الفرح
والسرور:
- يبدو من هذا كله أن بدايتنا طيبة جدا.
- هذا من عناية البحر الأم يا بنتي!
وقالت كروتما كأن طفلا بريئا ينشد شيئا من
أمه الحنون:
- أمي، علينا أن نبيع ما صاده قاربنا
من الأسماك لكوتشومو والالي.
ولم تثر جكي على هذا الرأي، ولم تسأل عن
صلتها بكوتشومو والالي، وأن جكي تفضل
تريد ذلك. ولكن في قلبها شك في ذلك:
- ولا أدري هل يفضل ذلك الولد أم لا؟
وأبدت كروتما للأم رأيا في هذا الشأن:
- عندما يصل القارب إلى الشاطئ فلا بد
أن نكون بجواره. ثم تتولين الأمر
لكي يتيسر الوصول إلى كوتشومو والالي.
ووافقت جكي على هذا. وهو أمر مهم لا بد
أن يتحقق. وانتظرت منجاميس في الشاطئ
نفسه لتخبرها عن وصول القارب إليه.
ونشأت هناك مشكلة أخرى. وأتت
إلى الشاطئ من نساء جيران جسان كنجي،
نلاين، وكالي كنجي، وكنجي بن، ولكنجي
وسألت كنجي بن: هل محصولات قارب
جسان كنجي يبيعها بالجملة لأصحاب محلات
التجفيف والتمليح، أو يبيعها بالقطاعي؟ ومن
عادة هذا الساحل بيع المحصولات اليومية
من الأسماك لأصحاب المحلات بالجملة.
ولذا يصبح النساء اللاتي يذهبن لتجارة الأسماك
إلى القرى والمدن تحت رحمة أصحاب التجار
الكبار. وقالت كنجي بن:
- لا داعي لأن تقول شيئا في هذا الأمر
وأن جكي لتعرفه جيدا.

وفهمت جكي مطالبهن كما جمعته. وإذا اشترين الأسماك من هؤلاء، ثم يبعنها فلا يكسبن شيئا يذكر. وإنهم يبيعون بأسعار غالية، وفوق هذا وذلك فتصبحن عرضة لسبابهم.

وقالت جكي:

- وماذا أفعل لذلك؟

وقالت تلاين بصراحة:

- لا بد أن تعطوا محصولات قاربكم لنساء الساحل ليبعنها في الخارج.

ولم تجب جكي بالجواب فورا، وهي من الجيران، وتقول الحق، ولا تستطيع أن تعدهن بذلك، ولا تدري هل يوافق عليه جنبان كنجي أم لا، وأن فريكولي قد طالب بذلك من قبل، ولكن هذا أمر لا يمكن أن تبوح به.

وسألت كاللي كنجي:

- لماذا لا تقولين شيئا يا جكي؟ وهل تشكين أن جنبان كنجي لا يوافق عليه؟ وعليك أن تصري على ذلك. ألم تري أنت أيضا في جمع الفلوس لشراء القارب والشبكة بجهودك اليومية في بيع الأسماك في القرى؟

ولم تعارض جكي بشيء على هذا الكلام أيضا.

ثم سألت لكشمي:

- وهل تريدين أن تستمري في الذهاب لبيع الأسماك من القرى أم لا؟

- لماذا تسألينني هكذا؟ وإن حصلنا على عشرة قوارب أخرى فإن جكي ستكون هي جكي دائما.

وقالت لكشمي معتذرة:

- ما كنت أقصد أنك قد تغيرت. وكل ما كنت أقصده أنك لو جمعت محصولات القارب جملة ثم وزعت علينا بالقطاعي!

وقالت جكي وهي تبدي عدم استطاعتها للبت في ذلك:

- لا أعرف عما إذا كان زوجي سيوافق على هذا أم لا .

وقالت نملاين :

- لا بد أن تفاتحيه في هذا الأمر ، فإنني متأكدة أنه سيوافق .

وهمست كالي كثير في أذن كروتما :

- عليك أيضا أن تكلمي والدك في هذا الأمر .

وأجابت كروتما بكل صراحة ووضوح :

- أنا لن أكلمه .

ولكن بنجاهي وعدت أمها أنها ستكلم والدها في هذا الموضوع ، لأن لها أيضا مآرب خاصة في ذلك ، حيث أنها عندما يصل القارب إلى الشاطئ ستجمع سلة من الأسماك التي تقفز وتسرع لتسقط . ولا يتحقق هذا المأرب إذا اشترى تجار الجملة محصولات القارب ، وقالت جيكو أيضا بأنها ستحاول ، وهي تعرف أن هذا الأمر سوف لا يتحقق . وهكذا تطور الأمر إلى مشكلة شائكة .

وحان وقت الظهيرة . وبدأ الصبيان والحمالون والتجار يتجمعون على الشاطئ . وظهرت القوارب من عرض البحر ، وأخذت الغربان تحوم فوقها . وتساءل الناس عن نوع الأسماك في ذلك اليوم . ولو توقع التجار " قادر " أنه سيكون من نوع الأسماك الصغيرة ، ومهما يكن من أمر فإن المحصول سيكون متوفرا . وفي هذه اللحظة أقبل غرابان تجاه الشاطئ ، وفي منقار أحدهما سمكة ، وهتف الجميع :

- سردين ، سردين .

وأسرعت بنجاهي إلى أمها وقالت :

- يا أمي ، إن محصول اليوم هو السردين !

وخرجت كروتما وجيكو من داخل البيت ، ودعت جيكو إله البحر وهي في غاية الخشوع والابتهال ، وهرولت الأم وبنتاها إلى الشاطئ لرؤية قاربهم الجديد ، وهو عائد بالمحصول الوفير . واتجهت أنظارهم

للبحث عن قاربهم بين القوارب الأخرى القادمة من عرض البحر. وعلت أصوات الفرح من المجتمعين على الشاطئ حينما علموا أن الموصول هو السردين

والتفتت كنجي بن، ونيلي بن، وكالي كنجي، وكلهم حول جكي، وكانت بنجامين تحمل في يدها سلة، وتجاه قارب يخترق الأمواج في سرعة الطير ويبدو من بعيد أنه مليء بالموصول، وبدت مجاديفه وكأنها مجداف واحد، حتى سألت بنجامين:

- هل لقاربنا مجداف واحد فقط؟!

وبدا قدوم القارب وكأنه في موكب رائع، حيث كانت تظلله أسراب من الغربان، وتتبعه قافلة القوارب الأخرى من الخلف، وهتاف الفرح يصدر من راكبي القوارب في عرض البحر عاليا مدويا.

وكان جنبان كنجي ممسكا بدفة القارب الأمامي وقد كان يدفع القارب دفعا شديدا الى الأمام متخطيا الأمواج وكأنه يطير، وكان ذلك منظرا مدهشا يبهر الأنظار،

وقالت كالي كنجي:

- إنه منظر جميل للغاية.

وأبدى الجميع إعجابهم بهذا المنظر الساحر، وناشدهم جكي:

- كفى، يا أصدقائي حتى نتقي أنظار الحاسدين!

ووصل القارب الى الشاطئ، وظهرت ملامح التغير على تصرفات جنبان كنجي وأخلاقه.

وقالت جكي:

- أنظر من التغيرات المعتادة على أبناء البحر.

وربط المجدفون مجاديفهم بجسم القارب، ونزلوا الى البحر، وسحبوا القارب الى رمال الشاطئ، وتجمع بعض الأولاد حوله، ومن بينهم بنجامين وقفز جنبان كنجي من على القارب غاضبا فتفرق

الخد وللإد صارخين ، ولكن بنجامين لم تتحرك من مكانها ،
ولماذا تخاف ؟
وصاح جنبان كنجي :
ـ لا يجمع أحد الأسماك من حول قاربي .
ثم دفع بنجامين دفعة شديدة القوة
بعيدا . فصرخت : يا أمي ، وانفجرت
جكي وكروثما بالبكاء من هذا المنظر المؤلم ،
وقال بعض الحاضرين :
ـ آه ، أهذا الرجل إنسان أم شيطان ؟
وكان لبنجامين أيضا مآرب خاصة في حياتها ، كما
كان لجنبان كنجي . وربما تكون النقود التي ستجمعها
بنجامين من بيع الأسماك المتناثرة كسبا نافعا في
مستقبلها . وقد ذهبت إلى قاربه أبدا لتجمع
ما تناثر منه من الأسماك . ولها كل الحق في
ذلك ، فهل أصبح جنبان كنجي الآن لا يستطيع
أن يميز بين الأمور ؟ وهل نسي نفسه ؟
إن المحصول الموجود في قاربه هو مما أنتجه البحر
ولم يزرعه أحد ولم يرعه ، وإن فيه حظا
للفقراء والمحتاجين الذين يحضرون ليجمعوا من حول
القوارب ما يتناثر منها ، وهذه هي شريعة البحر .
ورفعت جكي بنجامين من على الأرض صارخة :
يا للقسوة ! وبدأت جكي وكروثما تدلكان
صدر بنجامين ، وهي تشعر الآن بالحزن أكثر
من الألم .
واجتمع تجار الجملة حول القارب وفي مقدمتهم
فرنلوك . أما جنبان كنجي فكأنه لا يميز بين
أحد منهم . وسأل التاجر "قادر" : كم تريد من
الثمن لحصيلة اليوم يا جنبان كنجي ؟
وأما كنجي بي ولكشمي وغيرهما من تاجرات السمك
فيدرن حول القارب في تلهف . وأن بنجامين التي
وعدتهن بإقناع والدها ليبيع لهن الأسماك بالقطاعي
فتعاني ضيق التنفس من شدة الصدمة وبجوارها جكي .

والقوارب يابا وموتو مع جنبان كنجي .

وقالت كنجي من لرفيقاتها :

- فلنسأل جنبان كنجي وننظر ماذا يقول .

وردت عليه ثلاثتهن :

- وماذا نسأل الشيطان ؟

وإن القوارب الأخرى قد وصلت إلى الشاطئ وكان جنبان كنجي في استعجال لأن يتم بيع حصيلته قبل وصول مواصيل الآخرين .

وأخيرا سأله فريكولي أيضا :

- هل تبيع لي الأسماك ؟

وأجاب جنبان كنجي لأنه لم ير فريكولي من قبل في حياته

- هل عندك الفلوس الآن ؟ وأريد الثمن نقدا

وما لبث أن وضع " قادر " فئات من المائة روبية في يد جنبان كنجي . وتم البيع .

وأسرع فريكولي إلى القوارب الأخرى . وكان البيع قد تم في الجميع .

ولما هدأ بكاء بنجاهي قليلا رأت كروتما فريكولي أنه يعود إلى بيته خائبا . وما كان عنده الثمن نقدا لشراء الأسماك . وقالت كروتما للولد :

- كوشومود الحلي لم يشتر شيئا اليوم .

ومشت حكى إلى فريكولي وسألته :

- ألم تأت لشراء الأسماك يا كوشومود الحلي

- نعم

- وماذا حصل إذن ؟

ولم يقل فريكولي شيئا ، وفهمت حكى كل شيء .

ولأول مرة يعود فريكولي من الساحل بدون أن يشتري شيئا من حصيلة الأسماك .

وأدركت حكى ببعض التغيرات التي حدثت في طبيعة جنبان كنجي . وقالت غاضبة لفريكولي

- لما رأى الأسماك أصبح شيطانا يا مودلالي .

وقال فريكولي :

- كان عندي بعض المبالغ وأردت أن أدفعها، والبقية فيما بعد.
- ألهذا لم يتم البيع ؟
- ربما.

ثم مشى فريكوتي. وتمنت كروتما أيضا أن تقول شيئا. ولكن هل تستطيع أن تفعل ذلك أمام أبيها؟ وقد تحقق الآن فعلا معنى الحوار الذي جرى بينهما من قبل، ورنت في أذنيها تلك الألفاظ بوضوح في هذه اللحظة: هل تبيع لنا الأسماك عندما يأتي القارب والشبكة؟

"وإذا دفعت الثمن المناسب"

وتوجهت كالي كنتي وكنتي بن وغيرهما الى كل الجملة؛ وأمطرت وابلا من السباب واللعنات على جنبان كنتي.

ووزع جنبان كنتي الأجور على عمال القارب ونشر الشباك، ثم عاد إلى البيت وفي يده مبالغ كثيرة من مكاسب يومه وفي وجهه ملامح الابتهاج والفرح. وقد طلع في حياته فجر جديد ولا يشعر بتعب ولا إرهاق من جراء جهوده التي بذلها طول اليوم.

وبان الوجوم قد ساد البيت لأسباب شتى وأبدى النقود كلها لجكي، وهي لم تظهر أي ابتهاج بذلك، بل قالت:

- ولمن هذه النقود، وما الفائدة منها؟
- لماذا تقولين هكذا؟
- انظر إلى صدر بنيتي!

ورفع جنبان كنجو بنظره، ووجد صدرها مرضوضا وسأل:

- لماذا جئت هناك يا بنتي؟

وبيّنت له جكي فرحتها من المجهود هناك. ولما سمع ذلك ازداد حبه أكثر نحو بنته الصغيرة،

وكانت تريد أن تدخر لنفسها المال، وولدها أنه يعطيها كل يوم سلة من الأسماك.
ثم سألته جلى في شأن فريكوتي:
- هل كان من العرفان بالجميل [illegible]
أن تعامله هكذا؟ ومن ساعدنا على شراء القارب والشبكة؟
ولم يفهم جينان كنجي معنى الكفران بالجميل في معاملته هذه، وسأل:
- وكيف ذلك؟
- لماذا لم تبعه الأسماك؟
وأجاب جينان كنجي:
- فكيف أستطيع أن أدبر الأمور إذن،
ومن أين أدفع الأجور للعاملين؟
وأضاف جينان كنجي قوله:
- وإذا بعته الأسماك فربما يخصم ثمنها من الديون التي علينا له،
- وهل معنى هذا أنه خسر ماله وتجارته؟
وقد ثارت كروتما غضبا وامتعاضا من هذه المعاملة، وقالت:
- وربما كان الأمر فإن محل تجارته أولى.
وحدث شجار شديد في بيت أجاكنجي في تلك الليلة،
وسألته زوجته:
- ماذا عملت مع صديق العمر؟ لقد كنت تحلم بالعمل معه في قاربه؟
وسأل أجاكنجي بدوره:
- ولكنه أنت الأخرى دائما وراء جلى كأنما استغرقت منذ الآن؟
ثم قال:
- إن الإنسان لينسى كل شيء عندما يأتيه المال،
وأقرته زوجته على ذلك. وكرر أجاكنجي قراره السابق في المحاولة في شراء قارب وشبكة. ولكن زوجته تلابي لم تصدق

... لـ... ذهب
حسان كنجي الذي حظه سعيد. ولا يدانيه أحد من أصحاب القوارب
... الشباك. وإذا طرح شبكته فلا تخطئ. وصيده دائما
... يفيد الآخرين. وكان الناس كلهم يضربون من هذا
... وفير
... كانت حاكي تقول له كل يوم عند عودته إلى البيت مع
... اليومية!
- علينا أن نزوج البنت فورا.
... حينئذ كان كنجي يعتبر ردا حاسما في هذا الأمر، وكانت
... دائما [illegible]!
- وماذا تخشين؟ هل تريد أن تبقى البنت هكذا؟
... كان كنجي دائما يلتزم الصمت. ولعله لم يعتبر ذلك
... ربما في مقابل جمع المال. وقد كان يعتبر أمر الصبايا
... تحقيقه في أي وقت يشاء ما دام المال متوفرا.
ص١٢٨ ... كنجي جميع الشروط اللازمة لقارب الصيد
... ستضطره أن يذهب إلى الصيد في جميع المواسم،
... عملية التجارة على وشك التوقف في محل فريكوتي،
"عبد الله مودالالي"
... أبوه يؤنبه على ذلك، وقال إن فريكوتي أنفق
... من ماله كله على امرأة من الصيادين، واسمها كروثما
... بنت ...
... على أمر لرد ديونه، وقصته لا ما سمعناه من عبد الله
... الالي". وهل الإشارة أمر معيب إلى هذا الحد؟ وإذا لم
... الراقي من رأس ماله لامرأة من الصيادين؟
... انصبت على نظر حسان كنجي إلى هذا الأمر تستبطئ!
... سيزيد له المبالغ كلما انتظر قليلا.
... حسان كنجي يبدي آمالا جديدة رغما في تحقيقها. ولا بد
... يشترك في رحلة آخرين لتوسيع عملية الصيد. ويطلب
... والتجارة. ويفضل أن يكون في يده دائما مبلغ كبير
... المال. وقال:
- وما هو الحرج إذا اشتغل إنسان طوال حياته؟ والمهم
يستطيع حياة الهدوء والراحة في آخر أيامه مثل "بالي كونان"

يريد أيضاً أن يعتني بصحة جيلي اليوم [illegible] وقالت:

— هل تظن أن وزني سيزداد؟

— لا تشكي في ذلك، لأن وزنك سيزداد قطعاً

ولم ننس جيلي منه قبل أن يجد ما يكفي يتعلم عن التنجيم

في قرية مثل هذا. ونظر إليها أيضاً أبوه ١٤٣ تغير

[illegible] أثناء الحياة [illegible] مرة:

— وكيف تتعرض مثل هذه الأحوال من [illegible]

[illegible] هذا البحر؟ ومن أين لك هذه الأفكار

— [illegible] قد أخبرني [illegible]

[illegible] حينما [illegible]:

— [illegible] الدار [illegible]

[illegible] الشر [illegible] إلى [illegible]

[illegible] في مرح وسعادة.

ثم قال [illegible]:

— هل تعلمين أنت كيف تعيش زوجة بالكونان

[illegible] الحمراء [illegible] أحمق

[illegible] محررات

[illegible] الجبال [illegible]

[illegible] الزوجين [illegible] العمر

[illegible] أيها جيلي:

— [illegible] تتغير [illegible] أيضاً [illegible] صغيرة

— [illegible]

— ألا تخجل من ذلك؟

وقالت جيلي [illegible] من الاستياء:

— أنا لا يمكنني ذلك [illegible]

— أقول لك [illegible] يا جيلي؛ فقد رأيت [illegible]

[illegible] وتبدلات [illegible]

وتحلت من هذا المنظر.

وقالت جيلي:

— عيب.

وظل [illegible] كبير

- وما هو العيب في ذلك؟ ولعب يتداعبان ويمرحان
إنما مثل الشباب .
... سألت بولي :
- أليس لها أولاد ؟
- لا ، أنا ولد واحد فقط .
وقال جيمبا كيجي ناظرا إلى بولي :
- أريد أن تمنحي ولدا مثل زوجتي بالي كوتان ،
يتداعب ونلهو مثل الشباب .
ومن الواقع أنها أيضا ترغب في أن تجري نفسك
تتداعب وتلهو مع زوجها . ولذلك لا تريد أن تؤدي
إلى ذلك ، وقالت لجيمبا كيجي :
- عليك أنت أن تستر أولا .
وأجابت :
- ولو كان كذلك ، وستري أخيرا .
... جيمبا كيجي ، وكان أحلام وحدتنا مماثلة أعماقه
... بولي عاطفية !
- يبدو أن لم ... أصبحت متقمصة ... المرأة ،
... جيمبا كيجي بعد قليل :
- الواقع أن كل من ينظر إلى ... زوجي وأن
زوجها رجل محظوظ ...
... البحر الأحمر ،
... جيمبا كيجي من المستقبل ... وبيت ... من
... الزوجين ... حياة سعيدة مثل
الشباب بعد ... الوسائل اللازمة وتزوج
... ، ولكن ... قالت إنها ليست جميلة مثل
زوجة بالي كوتان . وأقول جيمبا كيجي بأنها ستتمتع
بالجمال أيضا حينذاك . فقالت له :
- وإذا مت قبل ذلك ؟
- أسكتي لا تقولي مثل هذا الكلام .
وحدث يوما أن تغير لون مياه البحر فجأة ، وبدت
بلون أحمر ، والصيادون يتقرون من مثل هذه الحال

أن البحر الأم قد حاضت، وأن الأسماك سوف تهجر
عرض البحر لعدة أيام مقبلة. ومضى يومان أو ثلاثة
وقد نفد صبر جيران النجار وفكر بعضهم لم لا نذهب
إلى أعماق البحر بعيدا عند الأفق لنرى إن كانت
الأسماك متوفرة. وجمع عمال القوارب وشاورهم
في هذا الأمر، فلم يستطع أحد منهم أن يقرر [illegible]
[illegible] في هذا الأمر.

ولم يذهب كثير من صيادي هذا الساحل إلى أعماق
البحر من قبل. لم يتعودوا النزول إلى البحر طلبا للصيد
عند [illegible] [illegible] وقال أحد جيران النجار بحزم!

— [illegible] الذين يريدون المجيء معي [illegible] أن [illegible]
[illegible] أني لا أستطيع أن أتعامل معهم [illegible]
يتجاهلون [illegible] [illegible] [illegible].

ومضت الأيام وحالة البحر لا تتغير وقد انطلق
[illegible] عدد من المراكب [illegible] وقام [illegible]
[illegible] القوارب إلى البحر على سبيل التجربة
[illegible] لم يحصلوا على شيء من الأسماك
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] القوارب
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وأوشكوا [illegible]
[illegible] على [illegible] الإفلاس.

ساد الفقر في الساحل كله. وكان أبا النجار
الذي حاول شراء القارب والشبكة يعاني
ضيقا شديدا في العيش لأنه صرف [illegible] [illegible]
الأولاد. وقد باع كل ما ادخره من
الأسماك المجففة والمملحة لشراء [illegible] [illegible]
[illegible] أولاده.

وذات يوم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] أبا النجار [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] أبا النجار [illegible] [illegible] ثم
خرج من البيت غاضبا. وقد كان يودع زوجته
~~أن تخرج من البيت مثله~~

عليها تقع مسؤولية هؤلاء الصغار. وعندما رأت أجاكنجي
يخرج من البيت قالت له غاضبة:
- إنني أعرف أنك سوف تذهب الآن إلى
الذي لتملأ بطنك. ولم يعبأ أجاكنجي بقولها وهي،
ربما كان خروجه من البيت للبحث عن وسيلة للحصول
على قوت للأولاد الصغار. ولما لم يعد أجاكنجي
حتى المساء أخذت نلدين وعاء من النحاس وذهبت
به إلى جلي وأعطته للرهن نظير روبية واحدة
ولما علمت لكشمي بهذا الخبر جاءت هي أيضا بدورها
بقرط من الذهب كان في أذنها وأعطته لجلي رهنا في
نظير بعض النقود. وعندما رأت جلي أن كثيرا من
الزوجات قد جئن لنفس هذا الغرض شعرت ببعض
الدهشة حيث أنها لا تملك نقودا كافية لإرضاء الجميع
ولكن الناس لا يصدقون ذلك. ولما جاءت كالي
كنجي صباح ذات يوم بسلطانية نحاسية اشترتها من
مدخرات عام كامل سألتها جلي:
- إذا جاء الجميع برهائنهم هكذا فمن أين لي النقود؟
هل أنا استخرجها من الأرض؟!
ولم تكن كالي كنجي تتوقع منها مثل هذا الكلام، وأنها
قد أتت بأغلى ما عندها من أشياء لتخفف وطأة الجوع
عن أولادها الصغار. وأضافت جلي:
- الآن يأتي الجميع إلى جنبان كنجي ويتحاموش إلى
توزه إ وعندما يكون في مأزق لا يعبأ به أحد.
وتساءلت كالي كنجي:
- ماذا فعلنا؟
- لا شيء. ولكن ليس لدينا نقود الآن.
- ولماذا تكلمينني بهذه اللهجة؟ كأننا لا نعرف بعضنا من قبل
- هذا هو الواقع، أليس كذلك؟
وغضبت كالي كنجي وجرى نقاش حاد بينهما، فتدخلت
مروتما لتهدئة الجو، فإنها كانت تخاف أن يتطور الأمر
إلى الكلام عن قصتها مع خريكونتي

حتى لروثما قدمى كالى لنجى محاولة إرضائها وناشدة
منها الإنصراف ، فانصرفت بسلطانيتها . ثم قالت كروثما لأمها :
— ما هذا يا أمى ؟ لماذا تتكلمين بهذا الأسلوب مع
الناس بدون تفكير فى النتائج ؟
— وماذا تريدينني أن أفعل ؟
— يبدو أنك والوالد قد تغيرتما منذ شراء
القارب والشبكة .
ولما عاد جنبان كنجى فى المساء حكت له جكى قصة
القط الشرير السائر فى بيوت الجيران وأنهم لم
يوقدوا النار فى بيوتهم منذ أيام . وقال جنبان كنجى
وهو يتناول طعام العشاء عندما سمع هذه القصة من زوجته :
— لابد أن يأخذهم القوط . نعم لا يأخذون العبرة
إلا إذا مروا بهذه المحن ، وعندئذ يفهمون .
وصدمت كروثما بهذا الكلام وكرهت أباها لهذه القسوة
وسألته جكى :
— وماذا يفهمون ؟
— لابد أن يقاسوا المتاعب ، لأنهم كانوا يسرفون
فى إنفاق كل ما يكسبونه بدون حساب سواء فى
الملبس أو المأكل . ويعتبرون أنفسهم كأنهم لا يسيرون
على الأرض . والآن يعدون النجوم .
وحكت جكى مثلا شائعا بين الصيادين :
— الصياد لا يحتاج إلى الإدخار .
ورد جنبان كنجى :
— وإن لم يدخروا فتكون النتيجة هى القوط
والجوع كما هو الحال الآن . وعلى البنت أيضا هذه
الفلسفة الجوفاء لتجعلها عرضة للمجاعة والإفلاس .
وقالت جكى مبتسمة :
— أنت صياد حليم .
— نعم ، إنى أسير بحكمة ، وفى يدى الأموال
الكافية لمثل هذه الظروف .
وقالت جكى :

— لا تقل لى هذا الكلام . إن ذلك الولد كوتى
قد أغلق دكانه . وبنتنا بالغة ولا تزال قابعة فى البيت .
وأرادت كرونما أن تأكل والدها : أليس فريكوتى أيضا
مستحقا للقحط والمجاعة ؟
واستفاد جنبان كنجى وزوجته كثيرا من هذه المجاعة
التى سادت الساحل ، فقد اشتريا بعض الحلى والأوانى
بأثمان زهيدة . وهذه الأشياء ستفيدهما عند تزويج
بنتهما . واشترت جكى يوما سريرا جيدا جميلا من أحد
الصيادين المنكوبين . ولما عاد جنبان كنجى أخبرته وهى تبتسم
— لقد اشتريت سريرا جميلا .
وسأل جنبان كنجى محاولا الابتسام :
— لماذا اشتريت هذا السرير ؟
— وما هو الغرض من السرير ؟ النوم عليه طبعا
— من ينام عليه ؟
— عندما يأتى عريس للبنت نعطيه لها .
— ألهذا فقط اشتريته ؟
— ثم لمن ؟ هل ينام عليه عجوزان ؟
وقال جنبان كنجى وكأنه يبدى الموافقة :
— إذن أشترى لنفسى سريرا مثل الذى رأيته
فى بيت كاتنان كوران .
وقالت جكى :
— وتحتاج إلى زوجة أيضا مثل زوجته لتنام عليه .
وأجاب جنبان كنجى :
— وأ جعلك مثلا
وبدأ جنبان كنجى يفكر جديا فى شراء قارب آخر وبدا
له أن هذا الأمر غير عسير التحقيق .
وفى صباح ذات يوم أتى رامان كنجى إلى بيته فأكرمه
جنبان كنجى ورحب به ، فهو من أصحاب الشباك فى الساحل
ويملك قاربين للصيد ، وقد عمل جنبان كنجى معه بنفسه
لمدة من الزمن . وجاء رامان كنجى إليه ليقترض منه
بعض المال ليوزعه على عماله الذين يعانون المجاعة

وكان رامان كنجي يقترض النقود دائما من أوسيب
أما الآن فهو مدين له بمبالغ كبيرة ولا يريد إحراجه
وقال رامان كنجي !
— إن الناس الذين يعملون معنا دائما يقاسون
الآن ضنكا في العيش . فكيف نصبر على هذه الحال ؟ لابد
أن ندبر لهم شيئا .
وأيده جنبان كنجي قائلا !
— نعم ، هذا لا يليق بمكانتكم أبدا .
ووافق جنبان كنجي بدون تردد على إعطائه القرض
وسأله !
— كم من الروبيات تريد ؟
— يكفي الآن مائة وخمسون روبية .
وأحضر جنبان كنجي النقود وسلم إليه فسأل رامان كنجي !
— ألا تعطى بدل الغلاء للعمال ؟
وقال جنبان كنجي وهو يحك رأسه !
— وكيف أستطيع ذلك وأنا أيضا عامل مثلهم ؟
وهل السنجاب يعطي غذاء مثل الفيل ؟
وضحك رامان كنجي وأوضح له جنبان كنجي قصده
مرة أخرى .
ولما ذهب رامان كنجي استغرق جنبان كنجي في الضحك
أمام جكي . ولم تره من قبل مسرورا ومبتهجا مثل
ذلك اليوم . وسألته !
— ما هذا ؟ هل أصبحت مجنونا ؟
فقال !
— ماذا تعرفين يا مغفلة ؟ إن قارب رامان
كنجي سيكون ملكا لي في غضون بضعة شهور ،
والآن أظنك قد عرفت فائدة وجود المال في يدي .
وبدأ عمال جنبان كنجي أيضا يقبونه لأجل بدل الغلاء
فسألهم !
— هل أنتم مستعدون للعمل ؟ وكان ردهم بالإيجاب
فقال جنبان كنجي !

ـــ إذن نذهب للصيد إلى ماوراء عرض البحر، وسألوه !
ــ وكيف نذهب للصيد إلى ماوراء عرض البحر في مثل هذه الظروف المشؤومة ؟
واستمر جنبان كبجو حيلة أخرى فقال لهم :
ــ إن كنتم غير مستعدين فإن سأجد عمالا آخرين ثم أحتفظ بكم للعمل معي في المستقبل
وقال :
ــ لدى القارب والشباك وجميع لوازم الصيد وقد أنفقت عليها مبالغ كثيرة ولا أستطيع أن أتركها معطلة .
وبعد يومين أنزل جنبان كبجو قاربه إلى البحر ومعه عدد من العمال الجدد وتوجهوا إلى أعماقه للصيد . ولم تعرف جلى وكروتما هذا الخبر إلا بعد أن رأتا القارب قد وصل إلى عرض البحر وفي زفته جنبان كبجو .
وتجمعت في ذلك اليوم في الشاطئ بعض النساء كما تجمع أطفال وشيوخ من ثلاثة عشر عائلة يبكون ويبتهلون إلى الله ، وقال الشيوخ إن حالة البحر لا تبشر بالخير وفي عرضه دوامات كثيرة ولم يعد القارب حتى بعد أن غربت الشمس وعلا العويل ولكن الابتهال في الشاطئ . وكانت أنظار الجميع متوجهة إلى البحر . وطلبت الوالدة العجوز للكونشان الصياد الشاب من جلى : أن تعيد إليها إبنها الوحيد وهكذا ساد الهرج والمرج في الساحل وعلت الصرخات في كل مكان .
وعند منتصف الليل سمعوا صوتا من عرض البحر . وصاح أحد الواقفين على الشاطئ :
ــ هاهو ذا القارب .
ووصل القارب إلى الشاطئ بسرعة خاطفة ، وكان فيه قرش كبير ما كانوا قد صادوا قرشا آخر ولكنهم لم يستطيعوا

أن يحملوا الاثنين في القارب نتركوه مع مرض البحر
وقطع جنبان كنجي القرش قطعا ووزعها على تجار
الأسماك، ووافقوا على دفع الثمن بعد بيعها. وحصل كل
من كالي كنجي وبكشمي وغيرهما على نصيبهم. وبفضل ذلك
أوقدت النار في كثير من البيوت في ذلك اليوم.
وبعد يومين ذهب جنبان كنجي مرة أخرى للصيد
وعاد من رحلته غانما أيضا. حتى في زمن جدب البحر
ما زال جنبان كنجي يكسب المال.... وفشل أصحاب التقاليد
ولم ينالوا شيئا. وقالت النساء إنهن يأكلن
العيش الآن بسبب جنبان كنجي. وقرر بعض أصحاب
القوارب الأخرى الذهاب للصيد أيضا في أعماق البحر.
وقد كان الجميع يعتقد أن الرخاء سيتبع هذا القحط
عندما يأتي موسم الجمبري. وكان اتجاه الجمبري في العام
الماضي نحو ساحل آلبي. فلا بد أن يتجه هذا العام
نحو هذا الساحل. وعلى الصيادين أن يستعدوا من
الآن لاستقبال الموسم الجديد بإصلاح الشباك والقوارب
ولكن أصحابها ما زالوا يعانون من الفقر والمجاعة وأصبحوا
حيارى.
ووصل المرابون إلى الساحل وجيوبهم مليئة بالنقود
للاستفادة من الحالة الاقتصادية الحرجة السائدة في الساحل
وكان في مقدمتهم أوسيب و"جوبندان". واستعد
الصيادون لقبول القروض بأي شرط. وتعاقد أصحاب
محلات التجفيف مع كبار تجار الجملة في مدن "آلبي"
و"كويلون" و"كوشين". وجاء تجار القطاعي ليقرضوا
النقود مقدما لشراء الأسماك التي تجففها وتخزنها
ربات البيوت والأولاد. وهكذا بدت آثار
الثراء في الساحل بفضل أموال المرابين والأثمان
التي قدمها التجار مقدما لأصحاب القوارب.
وكلما كان يجتمع رامان كنجي بجنبان كنجي كان يكون
خائفا من أن تطلب منه رد الدين. ولكن جنبان كنجي
كان يعرض عليه قروضا أخرى، أما بريكوتي فلم يقم

أي استعداد للتجارة في موسم الجبري ، وقد طلب منه والده إغلاق المحل وأراد أن يجنبه في أي عمل آخر بعيدا عن الساحل ، وما كان فريكوش يريد مغادرة الساحل وقال لوالده :

— تركتني في هذا الساحل للتجارة الأسماك وأنا صغير ولا أعرف الآن أي عمل غير هذا :

وسأله الوالد :

— وكيف بددت الأموال كلها ؟

وأجاب فريكوش :

— هذه هي طبيعة التجارة يا والدي ، فأحيانا تنجح وأخرى تفشل وربما تخسر رأس المال أيضا :

— وإذا خسرت مرة أخرى ؟

وما كان لدى فريكوش إلا جواب واحد :

— إعطني القسط الذي تقرره لي ، ولا أريد شيئا أكثر من ذلك

وقال الوالد :

— من أين لي هذا المال لأقسمه بينكم ؟

وقد كان لوالده عبد الله إلتزامات باهظة وله إبنة في سن الزواج . وكان ثريا بعض الشئ ، ولكن الظروف قد تغيرت . وهو يجتاز الآن حالة حرجة من الناحية الإقتصادية . وبين ذلك لابنه فريكوش ومع ذلك لم يغير رأيه .

وعلمت كروتما أن فريكوش لم يعمل أي استعداد لموسم الجبري القادم . فهو لم يصلح "التنور" ولم يشتر الحلل اللازمة لتجفيف وتمليح الأسماك وليس في دكانه حصر كافية لتنشيفها . وقالت لأمها إن هذا هو الوقت المناسب لنرد إليه ما علينا له من ديون . وإذا لم نساعده في هذا الوقت فهذا نكران لفضله علينا .

وبدأت جملة تلح على جنبان لكي يسدد الدين . ولكن بدون جدوى . فقد أدركت كروتما أن أباها لن يسدد هذا الدين لفريكوش . وقالت لأمها :

— ليس في وسعي أن أتحمل هذا العبء الثقيل، لكي
ولم تفهم أمها محتوى كلامها، وسألت:
— ما هو العبء الذي تتحملينه؟
وبكت كروغا وأخذت أمها تهدئها. ولكنها استطردت:
— سأقول لوالدي كل شيء وعندئذ سيكون عنده النقود!
وخافت أمها وناشدت إبنتها:
— لا تقولي له شيئا يا ابنتي!
ولقد كانت أمها تعرف جيدا ما يحدث إذا سمع جنبان كنجو كل ما سمعته هي من هذا الأمر. ولا تستطيع أن تتصوره. فضلا عن أنها فهمت من كلام كروغا أن هناك أشياء أخرى غير ما تعرفه هي.
وتمكن حب فريكوتو من قلب كروغا ولم يصبح فيه مكان لغيره، ولكنها ولدت لتكون زوجة لصياد! ويجب أن تنسى فريكوتو. وهذه الخواطر تشغل ذهنها ليل نهار، وربما كانت تظن أنها تستطيع أن تنساه إذا ردت إليه دينه، وعادت تجارته إلى مجراها الطبيعي. ولكنها لا تمكن أن تراه ضعيفا متشردا بسببها. وكانت هذه الأخيلة تطوف بذهنها دائما.
ومرت الأيام دون أن تبدو بادرة من جنبان كنجو لرد تلك المبالغ لفريكوتو.

الفصل السابع

كان الصيادون ينتظرون بفارغ الصبر موسم الجبري وتمضون الأيام على شوربة الأرز والخضروات، ويدعون إله البحر ليعيد إليهم الأيام التي يستطيعون فيها أن يتناولوا الوجبات الكاملة،

وعندما يمتنع أصحاب المحلات عن إعطاء الأشياء قرضا يقول لهم الصيادون: إن موسم الجبري سيأتي قريبا. ويقول الأزواج لزوجاتهم عندما يشتكين من عدم وجود الملابس لهن ولأولادهن:

— انتظرن إلى حين موسم الجبري فلا شيء سيتم إلا في أيامه

وخطر في ذهن كرونتا مشروعه، وصار يحاول أن تكسب بعض المبالغ في أيام موسم الجبري وتحصل بعض النقود التي تحصل عليها جنيات كثيرة يوميا ثم تعطيها لفريكوتي وقد فكرت جاك أيضا جمع بعض المال في هذا الموسم، ولكنها كانت تبغي من ذلك إعداد بعض المجوهرات لتقدمها لابنتها كرونتا عند زواجها، وقالت كرونتا:

— إنني لا أريد حليا ولا مالا، وكل ما أريده أن نسدد دين فريكوتي.

وسألتها جاك:

— وإن سددها والدك يا ابنتي؟

— لن يسددها أبدا.

ووافقت جاك على رأيها، وبدأت كرونتا تنفذ خطتها، وكانت تتعاون أيضا لادخار مبلغ خاص لها من الأسماك التي وعدها والدها بها.

أما والد فريكوتي فقد رهن داره وضيعته لأحد كبار التجار لتدبير ألفي روبية لفريكوتي. وقرر فريكوتي أن يواصل تجارته في هذا الموسم بتدبر وعناية لكي يستطيع أن يرد هذا الدين فورا، ويتخذ الإجراءات اللازمة لتزويج أخته.

كما أن أجا كبير، جار جنيات كثيرة، قد عقد عزمه لبذل المجهود لاقتناء قارب وشبكة من كاسب هذا الموسم،

واتصل بالمرابي الشهير أوسيب وقال له :
— أريد أن أشتري قاربا وشبكة . ولأن لزوجتي أيضا رغبة شديدة في انتظار عودة قارب زوجها محملا بالأسماك
وسأله أوسيب :
— كم عندك من النقود يا أجاكيجي ؟
ولما أجاب أجاكيجي بلا شيء فكر أوسيب في حيلة ، فطلب منه أن يؤجل شراءهما إلى ما بعد موسم الجبري حتى يجمع ما يستطيع من النقود في هذا الموسم والباقي يعطيه له ، ولكن أوسيب اشترط أن يكون القارب والشبكة باسمه هو ، وأن أجاكيجي يحصل على أسهم الصيد علاوة على حق المراكبي ، ووافق أجاكيجي على هذا الشرط . وهذه هي العادة المتبعة في الساحل ، وأخبر تلاميذه بهذا الاتفاق وقال لهم :
— إعطوني كل ما تكسبون من تجارتكم اليومية لكي ندفعه إلى أوسيب حتى نشتري لنا القارب والشبكة في أقرب وقت ممكن . وأخبر أجاكيجي الجميع بأنه سيشتري القارب والشبكة .
وبينما كان الجميع في انتظار موسم الصيد الجديد بشغف كبير ، بدأت علامات موسم الأمطار تظهر في الساحل . وهبت العواصف وبشرت بالخير . وتأكد الصيادون أن اتجاه حصيلة الأسماك ستكون إلى ساحلهم . وساد البشر وجوه الأهالي . ولبس الشاطئ ثوبا قشيبا من الدكاكين الجديدة ، محلات الأزياء والمجوهرات وجيء بمحرك لتوليد الكهرباء لإضاءة المحلات الجديدة بالمبات الكهربائية ، وهكذا سيصل نور الكهرباء لأول مرة إلى الساحل .
وبدأت القوارب تصل إلى هذا الشاطئ من الشواطئ الأخرى المجاورة . ونزل الجميع إلى عرض البحر وفي مقدمتهم چنبان كنجي مع قاربه الجديد وعماله المهرة . وكان المحصول ضئيلا في اليوم الأول لأن أسراب الجبري لم تصل بعد إلى عرض البحر . وكان معدل

واتصل بالمرابي الشهير أوسيب وقال له:
— أريد أن أشتري قاربا وشبكة، ولأن زوجتي ألحت رغبة شديدة في انتظار عودة قارب زوجها محملا بالأسماك.
وسأله أوسيب:
— كم عندك من النقود يا أجاكيجي؟
ولما أجاب أجاكيجي بلا شيء، فكر أوسيب في حيلة، فطلب منه أن يعمل شهرا أو شهرين إلى ما بعد موسم الجبري حتى يجمع ما يستطيع من النقود في هذا الموسم والباقي يعطيه له، ولكن أوسيب اشترط أن يكون القارب والشبكة باسمه هو، وأن أجاكيجي يحصل على سهم الصيد علاوة على حق المراكبي، ووافق أجاكيجي على هذا الشرط. وهذه هي العادة المتبعة في الساحل، وأخبر ... بهذا الاتفاق وقال لها:
— إعطي كل ما تكسبين من تجارتك اليومية لكي ندفعه إلى أوسيب حتى نشتري لنا القارب والشبكة في أقرب وقت ممكن. وأخبر أجاكيجي الجميع بأنه سيشتري القارب والشبكة.
وبينما كان الجميع في انتظار موسم الصيد الجديد بشغف كبير، بدأت علامات موسم الأمطار تظهر في الساحل. وهبت العواصف وبشرت بالخير، وتأكد الصيادون أن اتجاه حصيلة الأسماك ستكون إلى ساحلهم. وساد البشر ... وجوه الأهالي، ولبس الشاطئ ثوبا قشيبا من الدكاكين الجديدة، محلات الأزياء والمجوهرات وجيء بموتور لتوليد الكهرباء لإضاءة المحلات الجديدة بالمبات الكهربائية، وهكذا سيصل نور الكهرباء لأول مرة إلى الساحل.
وبدأت القوارب تصل إلى هذا الشاطئ من الشواطئ الأخرى المجاورة، ونزل الجميع إلى عرض البحر وفي مقدمتهم چنبان كنجي مع قاربه الجديد وعماله المهرة، وكان المحصول ضئيلا في اليوم الأول لأن أسراب الجبري لم تصل بعد إلى عرض البحر، وكان معدل

حصيلة جنبان كنجو يفوق الآخرين .

وتضاربت الآراء حول السبب الحقيقي لحظ جنبان كنجو . فقال أيان كنجو : إنه أول تاجر أولا ورأى "راماس سوبان" أنه اشترى حظا بالي كونات ، وفي الواقع أن جنبان كنجو كان بمثابة حافز لزملائه الصيادين . فتمنى كل منهم أن يكون حظه مثل حظ جنبان كنجو . وقال أيان كنجو لعماله :

— تعالوا مبكرين في الموعد المحدد ولا تتأخروا . ولابد أن تكونوا ذوي إرادة قوية .

وتنافس الجميع مع جنبان كنجو ، وفي اليوم التالي تجمع الناس في الشاطئ مبكرين بخلاف العادة ، وفتحت الدكاكين والمقاهي في الساعات الأولى من الصباح ونزل قارب جنبان كنجو متأخرا . ولم يكن يعرف منافسة الآخرين له . وعندما علم التجار أن الموسم مناسب أسرعوا إلى الشاطئ وفي أيديهم مبالغ ضخمة بغية شراء أكبر كمية ممكنة من حصيلة الأسماك .

وكان فريكوتش قلقا . ولم يصل بعد الرجل الذي وعده بإعطائه النقود . وليس لديه مال يكفيه للتجارة وهذه أكبر فرصة مناسبة ومتاحة للتجار لأن الموسم يبشر بحصيلة وافرة من الأسماك . كما أن التجفيف والتمليح سيكون سهلا حيث أن الشمس ساطعة ، وكانت الساعات تمضي بسرعة . والفرص ثمينة وساد فريكوتش القلق من تأخر وصول "باچوبلاي" وكيل التاجر الذي وعده بإيصال النقود إليه في الصباح واتجهت القوارب نحو الشاطئ واصطف عليه التجار وجيوبهم مليئة بالأموال . وعلت الضحكات والأصوات في الشاطئ . وجهزت المأكولات في المطاعم لأن العمال سيتدفقون إليها فورا . وأوقدت النيران في محلات التجفيف واستعد العمال في محلات التمليح والتعبئة . ودب النشاط في محل فريكوتش أيضا . وكان أول قارب يصل الشاطئ هو قارب جنبان كنجو . وقال التاجر قادر :

— لا يستطيع أحد أن يداني قارب جنبان كبير.
وأمن على كلامه ميدين لنجر. وقال صياد عجوز!
— إن المالك هو الذي يقود القارب.
وكان القارب مليئا بالجبري. واندفع فريكوس
إلى جنبان كبير وقد نسي تجربته الأولى معه. ومن
الطبيعي أن ينسى الجميع أنفسهم في مثل هذه الأوقات
وقال فريكوس!
— جنبان كبير، إعطني حصيلتك اليوم.
ونظر جنبان كبير إلى فريكوس وقال له بدون رحمة!
— هل عندك الثمن نقدا؟ وإلا فاذهب.
وقبل أن يجيب فريكوس، وصل التاجر قادر إلى جوار القارب
وتأكد فريكوس من أنه لن يحصل على محصول قارب جنبان
كبير، وتوجه إلى القوارب الأخرى. واشترى
بما عنده من النقود ثلث حصيلة قارب أحد الصيادين
وأعطى جنبان كبير الأسهم لعماله فورا وقال!
— ألا ترون أن هذا يوم مناسب جدا للقيام
برحلة أخرى للصيد. والأسماك متوفرة، والسماء
صافية، والشباك صالحة. فلماذا تضيعون هذه
الفرصة الذهبية؟ إذهبوا إلى المنازل وتناولوا
الطعام ثم ارجعوا فورا فإني على أتم الاستعداد
لأن أخرج معكم.
وسمع أبها كبير هذا الكلام وقال!
— أنا أقول لصراحة إنه ليس لك الحق في
أن تصف البحر كله لمجرد أنك تكسب النقود.
لقد ساد الفرح والمرح في الساحل كله، ودب النشاط
في كل مكان. وكانت الآمال معقودة في نفوس أهل الساحل
وعاد أبها كبير إلى البيت فسألته تلايبن!
— لماذا لم تخبرني عندما ذهبت في الصباح أنك
ستعود إلى البيت للغداء؟
— ألم نتفق على ذلك من قبل؟ فرد!
~~هذا صحيح، وهذا الآن ما عندي من النقود~~

سايحتاج إليه لوجبة الغداء من المطعم وأعطى الباقي
حتى أحفظه عندي، وتسلم المبلغ لحالي أو وسيت بعد ذلك
وقدم أجا لكبير أوراق النقود والروبيات لزوجته
وعاد جيبان لكبير بعد الغداء فورا إلى الشاطئ، ولكن
لم يعد أحد من عماله. وقد خاب حلمه في كسب مزيد
من المبالغ في ذلك اليوم الزاهر.
وفي مساء ذلك اليوم وصلت قوارب عديدة من الشواطئ
المجاورة، وبسبب الأمطار الغزيرة لم تنزل القوارب
بالليل إلى البحر حتى طلوع الشمس في اليوم التالي، ولام
جيبان لكبير عماله على تأخير نزول القارب. ولكن قاربه
كان في المقدمة،
ورأى الناس قاربا آخر جديدا ينافس قارب جيبان
لكبير: وتساءلوا فيما بينهم عن هذا القارب وعن صاحبه
وكان من ضمن القوارب الجديدة التي قدمتها "تريكونابوزا"
ويقوده شاب صغير يدعى "بالاني". وطار القاربان
بسرعة فائقة وهما في نهاية التنافس، بل وتقدم
بالاني بقاربه قليلا على قارب جيبان لكبير. وكان هذا
المنظر خلابا للغاية.
وساد القاربان أيضا بنفس روح التنافس. وكادت
مقدمتاهما أن تصطدما، وعندئذ خافت كروثا وقالت
لأولى نفزهم!
— لماذا ينافس أمر لهذا الحد؟
وشعرت حكة بالقلق والفزع، فلم يعد جيبان لكبير
شابا صغيرا، ولا يدري أحد ماذا سيحدث إذا تصادمت
مقدمتا القاربين. وأخيرا وصل القاربان إلى الشاطئ
بالمساواة في آن واحد.
وعلت أصوات الفرح والمرح في الساحل
ونظرت كروثا باهتمام إلى بالاني الذي قفز من القارب
وفي يده مجداف ضخم وعلى رأسه طرد كبير، وهو شاب
قوي العضلات، وعانقه جيبان لكبير وقال له:
— أنت ابن البحر الحقيقي!

ولم يقل بالاس شيئاً . وكانت القوارب كلاً مليئة بالمحصولات
ولكن قارب بالاس فاق الجميع وكان محصول جنبان كيجي
أقل بعض الشيء من محصول بالاس .
وسأل جنبان كيجي بالاس :
— ما اسمك يا بني ؟
وقف بالاس أمام جنبان كيجي في غاية الاحترام والخجل
دون أن يبدو عليه أنه البطل الذي كان يطير بقاربه
في سرعة البرق أمام جنبان كيجي . وبدا وكأنه طفل
بريء خجول . # أين غابت قوة عضلاته وفتوته ؟
وأجاب الشاب بصوت خافت :
— بالاس
— أنت تعلم طبيعة عملك جيداً يا بني . وهذا هو
أول الواجبات على كل صياد .
وسكت بالاس برهة ثم سأله جنبان كيجي :
— ما اسم أبيك ؟
— "ويلو" . وقد مات .
— هل والدتك على قيد الحياة ؟
— لا .
— ومن لك من الأقارب ؟
— لا أحد .
وسأله جنبان كيجي مستغرباً :
— أليس لك أحد من الأقارب ؟!
ولم يقل بالاس شيئاً .
ولما وصل جنبان كيجي إلى البيت عائداً من الشاطئ
سألته جيكو غاضبة :
— إني أعرف أنك تريد أن يعود إليك الشباب
ولكن هل هذه هي الوسيلة لإثبات الشباب ؟
فلم يعبأ جنبان كيجي بقولها وكأن أمراً هاماً قد خطر
بباله وقال لها :
— هل رأيت ذلك الشاب الذي كان يقود قاربه بجواري ؟
— رأيته .

- إنه شاب طيب، أليس كذلك؟
فسألته جكو :
- وماذا يعنيك من ذلك؟
- إني أريده للبنت :
ولم تقل جكو شيئا. وأضاف جنبان كبجر :
- سألته عن أهله فقال إنه ليس له أحد.
ومن رأيي أن هذا هو الأحسن.
وقالت جكو :
- فلماذا لم تدعه ليتناول الغداء معنا؟
- إنني لم أنتبه لذلك.
ومن الواقع أن جكو شعرت بارتياح في ذلك الوقت، لأن جنبان كبجر قد عثر على عريس لابنتها وهو شاب لطيف، ومن المتوقع أن يختاره أي أحد آخر. فلا بد من الإسراع في هذا الأمر. وفور تناول الغداء ذهب جنبان كبجي إلى الساحل. ووجد يالاش ورفقاءه يستظلون تحت ظلال أشجار الجوز الهندي. ولم يتحدث إليه جنبان كبجر في ذلك اليوم وجرى التنافس بين قاربيهما في اليوم التالي أيضا.
وكان يالاش هو الفائز كاليوم السابق.
وتحمس عمال جنبان كبجر فقال كرتا كبجي :
- لا ينبغي لهم أن يتناولوا في شواطئنا.
وأراد "كونجو باوا" أن يصادم قواربهم. وعلم جنبان كبجي أن معركة ستقع في هذه الحال، فقال :
- لماذا تحقدون على الشبان العاملين؟ فإن كنتم تريدون أن تهزموهم فتغلبوا عليهم بالعمل والجد.
ولكن عمال جنبان كبجي مصممون على الدخول في معركة معهم، ولما لم تكن في البحر فتكون على الشاطئ ومعارضهم. ولو تأخر ذلك فقال :
- الآن أتوا إلى شواطئنا وربما نضطر غدا للذهاب إلى شواطئهم.
ولكن البعض لم يستمع إلى هذا الرأي وأصروا على

الانتقام منهم بأي وسيلة، ولو أدى الأمر إلى الالتجاء إلى المحاكم. ~~ولكنهم~~ لا يخافون من شيء لو غرق كل السمك في هذا الموسم.

وعلم جنبان كنجي بهذا القرار، وانتشرت فكرة الانتقام في الساحل كله. وقد عارض هذه الفكرة بعض أهالي الساحل

وبعد بضعة أيام حدثت معركة حامية في الساحل بين عمال القوارب. وأصيب البعض بجراح خطيرة، ولم ينزل أحد إلى البحر للصيد خلال اليومين التاليين.

ووصل البوليس إلى الساحل بحثا عن المشاغبين، واختفى كثير منهم وألقى البوليس القبض على البعض الآخر، ولكن زعيم الساحل تدخل في الأمر وأخرجهم. وقابل عمال كلا الجانبين الزعيم على حدة، وقدموا إليه الهدايا والتحف. وهكذا هدأ الحال نوعا ما.

ولكن نفد من الجميع كل ما ادخروه من مكاسب ذلك الموسم

ولم يذهب "ديلا بو دهان" إلى زعيم القبيلة، فأوعز إلى البوليس للقبض عليه، وزج به في السجن لمدة أسبوعين. ومع هذا لم يعبأ بالزعيم وقال حين خروجه!

— إنني لا أعترف به أبدا.

وخسر جنبان كنجي من جراء ذلك مكاسبه لمدة أسبوعين في ذلك الموسم الوفير المحصول من الجمبري

ثم بدأ العمل في البحر.

وكانت جكي تقول لجنبان كنجي دائما أن يصطحب معه بالاني إلى البيت.

وذات يوم ذهب عمال القوارب جميعا إلى تريكونا بوزا لقضاء يوم للراحة. ولم يذهب بالاني معهم وسأله جنبان كنجي:

— لماذا لم تذهب معهم يا ابني؟

— أين أذهب؟

وكان على حق فيما يقول فليس هناك أقارب له ليزورهم أو ينزل عندهم. ودعاه جنبان كنجي إلى بيته لتناول العشاء، وقبل بالاني الدعوة، وأعدت

حليمة وجبة غذاء بشرية .

نشأ باولانن في ساحل تريكوتابورا لا يتذكر والديه ، ولا يدري كيف ترعرع ومن الذي رباه ولم يتحمل أحد شيئاً في سبيله وهو يعيش ويعمل بنفسه ، وكبر إنساناً باراً للبحر يكد ويجتهد ليل نهار ويكسب قوت يومه بعرق جبينه . ولم يحاول أحد أن يكفله أو يرعاه ولم يتقدم هو بنفسه إلى أي أحد ليساعده .

ولأول مرة أعدت له امرأة وجبة بشرية ، وقدمت إليه الطعام بكرم وحنان .

وكان هذا الحدث نقطة تحول في حياته وسألته حليمة أثناء تناول الغداء :

— كم عمرك يا ابني ؟

ولكنه لم يكن يعرف ذلك تماماً . ثم سألته عن محل إقامته ، وطبقته من الصيادين ووضعه ومكاسبه وما إلى ذلك من الأمور التي يجب أن تعرف حليمة لمقدمات المشروع الذي تحلم به هي وزوجها . ثم سألته :

— أين تقيم الآن ؟

— في بيت متواضع أملكه .

— وماذا تفعل بالنقود التي تكسبها ؟

— أصرفها طبعاً .

وقالت له حليمة ناصحة كأم حنون :

— يا ابني إنك وحيد وليس لك أحد للإشراف عليك ، وإذا أنفقت كل ما تكسبه فماذا تفعل إذا حدث شيء ولازمت الفراش لبضعة أيام ؟ ومن ينفق عليك ؟

لكن باولانن لم يكن يعبأ بمثل هذه الأمور ، فقد كانت حياته ونشأته أيضاً بيد القضاء والقدر ، ولماذا يفكر في المرض والعجز بعد أن كبر وبلغ .

وفهمت حليمة أنه شاب حازم وليس بماكر وأنه يبقى وحده في بحر الأقدار ، وليس هناك أحد يغذيه أو يرعاه . وقالت له كأم حنون :

— هل تريد أن تعيش هكذا دائماً ؟

- ثم ماذا أفعل ؟

أليس له هدف في حياته ؟ وفي الواقع أنه لم يكن يستهدف شيئاً معيناً . ولم يرشده أحد كذلك إلى هدف معين . وقالت جحكو :

- هذا لا يكفي يا بني .

ولم يجب يالاش بشيء . وأردفت جحكو :

- أنت الآن تقدر على العمل وتعيش بكسب يدك ولكن هذا الحال سيتغير لأن الإنسان يحتاج إلى عناية الآخرين ويحتاج إلى من يجهز له الطعام ، كما أنه يحتاج إلى بيت يأوي إليه ويستريح فيه .

وسكت يالاش ولم يقل شيئاً . وقالت جحكو :

- يا بني ، عليك أن تتزوج وتعيش مع شريكة لحياتك .

- نعم ، وليس لدي مانع .

- هل أدبر ذلك لك ؟

- نعم .

- هل تريد أن تعرف من هي العروس ؟

- من ؟

- بنتي .

ووافق يالاش على ذلك أيضاً ، ولكن جحكو مازالت ترى فيه عيوباً . فليس له أهل أو أقارب كما أنه غير مستقر ، وإذا زوجت ابنتها رجلاً مثله ثم هجرها فماذا تفعل إذن ؟ ولمن تشكو ؟

وقال جبان كبير :

- ولكنه شاب طيب .

- وعندما يسأل الناس عن المكان الذي يقيم فيه العروسان فبماذا نجيب ؟

- يستطيع أن يبني بيتاً خاصاً بهما .

- وإلى أية طبقة ينتمي ؟

- إنه إنسان يعمل في البحر .

- وإذا اختلفت طبقته عن طبقتنا فإن أقاربنا سوف يحاصروننا

- وهم يخاصموننا .

- وسيصرعون منا ولا يكون لنا أعوان .

فقال جيهان لهم بعزم أكيد :

- لا مانع لدي من ذلك ، وعلى كل حال فإنني قد عزمت على أن أزوج ابنتي منه يا لادن " .

...

الفصل الثامن

إستمر هطول الأمطار لمدة ثلاثة أيام، وكان الجيري وفيرا في البحر، ولكن الصيادين لم ينزلوا قواربهم للصيد بسبب شدة البرد.

ولما طلعت الشمس في اليوم التالي وصحت السماء طرح الصيادون شباكهم في عرض البحر، وعادوا إلى المنازل بحصيلة وفيرة من الجيري.

وعانى أصحاب محلات بيع السمك المجفف وتجار الجملة صعوبات عديدة بسبب رطوبة الجو، وأصبحت تجارتهم كاسدة، حيث أنهم لا يستطيعون أن يصدروا أسماكهم إلا إذا جففت تحت أشعة الشمس المحرقة.

أما فريكوتي فقد تكبد خسارة كبيرة في تجارته، لأن السلعة التي صدرها في الدفعة الأولى قد رفضها المستورد بحجة عدم جفافها تماما، وقال لفريكوتي:

— خذ أسماكك مرة أخرى ورد لي الثمن.

وعرض فريكوتي هذه السلعة على كبار تجار الجملة في مدينة آلبي فلم يقبلها أحد منهم. وأخيرا اقترض فريكوتي مبلغا من المال من أحد تجار الجملة الذين يتعاملون معه بضمانة «باچوپلاي» على أن يأخذ منه عمولة على هذه الضمانة. واشترى فريكوتي بهذا المبلغ كمية من الأسماك للتجفيف. ولكن سوء الحظ كان له بالمرصاد، فقد حالت رطوبة الجو دون جفاف هذه الأسماك أيضا. وإذا استمرت الرطوبة يوما آخر أو يومين فليس أمامه إلا الإنتحار حيث إنه سيفتقر حينئذ.

وهكذا عاد الفوط إلى الساحل مرة أخرى، ولم يشتكوا بعد من عناء المجاعة السابقة، فقد كسدت التجارة في الحوانيت، والمقاهي، والمطاعم.

وواجه أصحاب القوارب أيضا مشكلة أخرى. فهم لا يستطيعون أن ينزلوا قواربهم إلى البحر حيث أن محصولهم سوف لا يكون له تصريف بسبب الرطوبة.

وبدأ المرابي أوسيب بمطالبة رامان كنجر برد دينه
وما كان بوسع رامان كنجر أن يفعل شيئاً. واتجهت
أنظار أوسيب إلى جاريه.
وذات يوم حدثت مناقشات حادة حول سداد الدين
وحلف رامان كنجر أنه سيرد إليه المبلغ بعد أسبوعين
وذهب رامان كنجر إلى جيبان كنجر وطلب منه
سلفاً آخر على سبيل القرض، ولكن جيبان كنجر أبدى
بعض الامتناع ~~في~~ هذه المرة.
ولما أدرك رامان كنجر ما خفي وراء هذا الامتناع قال:
— كن صريحاً معي يا جيبان كنجر.
فرد جيبان كنجر بدون أي تحفظ:
— وكيف أعطي المال بدون ضمان؟
— وما هو الضمان الذي تريده؟
— ماذا أقول في ذلك؟ فأنت أدرى مني.
وأخيراً أظهر جيبان كنجر ما في ضميره، وطلب منه
القارب كرهن، ولم يجد رامان كنجر بداً من القبول
وأصبح جيبان كنجر صاحب قاربين
وفي نفس اليوم حدث شجار بين أجا كنجر، وسألته
زوجته قائلة ساخرة!
— هل تعتقد أنك تعيش في هذه الدنيا؟ أنظر
لقد أصبح لجيبان كنجر قاربين، فأين قاربك المزعوم؟
— هذا من حظه المحروس، وأين النقود التي
سلمتها إليك لكي نعطيها لأوسيب؟
— كيف نظل من غير ملابس مناسبة وأدوات للزراعة
لقد اشتريت ذلك بالمبلغ.
— لقد أخطأت في إعطائك إياه، فلو كان معي لظل
محفوظاً.
— لا، ولكن كنت تصرفه على الخمور.
ورد عليها أجا كنجر بلطمتين شديدتين على الفور.
أما جيك فقد فرحت فرحاً كبيراً حينما علمت بحصول زوجها
~~على قارب ~~جديد~~ آخر، ولكنها ما زالت قلقة لعدم قضاء~~

دين فريكوس . وكروتما تذكرها دائما بضرورة سداد هذا الدين . وقالت جيك لجنبان كنج :
— إن هذا ليس من العدل .
— ماذا تعنين ؟
— لماذا لا ترد إلى فريكوس دينه ؟ بعد أن حصلت منه على ما أردت ، لا تريد حتى الكلام معه .
فغضب جنبان كنج ولعنها . ثم واصلت كلامها :
— الغضب لا يجدي الآن ، فهذا المسكين في مأزق ، وهذا هو الوقت المناسب لرد المبلغ إليه .
— ومن أين لي النقود الآن ؟
وكانت كروتما تستمع إلى هذا الحوار . فقالت بدون أن تشعر :
— لا بد أن ترد إليه نقوده فورا يا أبي .
وسأل جنبان كنج مخاطبا :
— وما دخلك أنت في هذا الأمر ؟!
وأرادت كروتما أن تقول بصراحة أنها هي التي طلبت النقود أولا من فريكوس ، وقد أعطاها لهم من أجلها وقد كانت تعلم أن فريكوس هو السبب الأول في نجاحهم وكلما ازدادت ثروتهم كانت مدينة أكثر لفريكوس .
وخافت جيك أن تقول كروتما شيئا أمام والدها يؤدي إلى وقوع كارثة . فقالت لجنبان كنج :
— لماذا تغضب من كلامها بهذا الشكل ؟ أليس كلامها حقا ؟
— ولماذا تتدخل هي في هذا الموضوع ؟ وهل هي التي طلبت منه النقود ؟ وهل هو وسيط لها ؟
وقالت جيك قلقة للغاية :
— هي لا تقول ذلك ، ولكن أليس لها الحق في إبداء رأيها ؟
وقال جنبان كنج لكروتما ناصحا لها :
— ليس لك أي حق للتدخل في مثل هذه الأمور ، فهي أمور تتم بين الرجال وأنت على وشك

أن تصبحي زوجة ، وعليك أن تعلمي ذلك من الآن
ثم التفتت جيهان كبير إلى جيلكه !
— البنت تتعلم مثل هذه الأخلاق منذ صغرها يا أمك
ولم تقل جيلكه شيئاً من هذه اللحظة ، ولكن عندما
خلت بكروثما قالت لها !
— لماذا تنسين نفسك وتتكلمين مع والدك ؟
ولماذا تسرب إليه أي شك ؟ ألا تعرفين ماذا سيحدث ؟
ألم تسمعي إشاعات الناس ؟ وإذا وصلت هذه
الإشاعات إلى أسماع أبيك ---- ؟
ومع ذلك كله قالت كروثما للأم بإصرار !
— لابد أن نرد إليه نقوده يا أمي !
— وهذا ما يشغل تفكيري أنا أيضاً .
— لقد اقترحت عليك من قبل بعض الطرق
لتعطي زيكوتي ولو جزءاً من ديونه ، ولكنك
لم تقبلي يا أمي !
وأضافت كروثما بعد هنيهة !
— إن سداد هذا الدين يا أمي أهم من كل شيء .
وفهمت جيلكه ماذا تعني كروثما بهذا القول ،
وقد حاولت من قبل أن تعرف شعورها نحو زواجها
من ياديش ، ولكنها كانت تلتزم الصمت دائماً ، وكانت
جيلكه تفسر هذا الصمت بالخجل المعتاد لأمثالها من
الفتيات .
وأرادت جيلكه أن تستوضح رأيها عن طريق
بعض زميلاتها ، ولكنها خافت أن ينتشر الخبر بين الناس
والآن قد بدا من كلام كروثما أنها موافقة على الزواج
ولكن بشرط سداد الدين أولاً .
واستبشرت جيلكه بذلك وبدت على وجهها
ملامح السرور ثم سألت كروثما !
— أستطيع أن أفهم من ذلك أنك موافقة
على الزواج من ياديش ؟
ولم تنطق كروثما بشيء ، وأردفت جيلكه قائلة بإلحاح

على وجهها ملامح السرور!
- إنه شاب لطيف يا بنتي،
وسردت أمامها بعض ميزات يالاري وأخلاقه النبيلة
لقد كان لكروتنا كل الحق في أن تعترض على كلام
أمها عن يالاري، أليس لها أن تعرف شيئا عن أهله
وعائلته ونشأته ومركزه في المجتمع؟
ولما استمرت أمها في كلامها عنه بدون انقطاع قالت!
- كفى يا أمي، وكانت كروتنا تتمتم بكلمات لم
تفهم منها جيكي شيئا، ثم قالت جيكي مؤكدة عزمها!
- إن أمامك مستقبل لسداد هذا القرض
قبل الزواج،
وقالت كروتنا بصوت ملئ بالاستغراب والضيق!
- وإذا كان هذا صحيحا فلماذا لم تفعلي شيئا
إلى الآن؟
- من الآن سأصر على تنفيذ ذلك يا ابنتي،
وقالت كروتنا وهي تشعر باليأس!
- لا، إنني متأكدة أنه لن يحدث شيء من
هذا وأن الذي سيتم فعلا هو الزواج فقط!
وقالت جيكي في حزم أكيد!
- سوف ترين صدق كلامي،
- مهما يكن من شيء فإنني سوف لا أوافق
إلا بعد سداد هذا الدين، وإلا فإنني سأنهي حياتي!
- لا، لا تقولي يا ابنتي مثل هذا الكلام،
- وماذا غير ذلك؟ إنه على وشك الإفلاس
وليس لدينا النقود، ولا نريد أن نعطيه حقه، وأنت
أيضا يا أمي غير مهتمة بهذا الأمر،
وأقسمت جيكي أنها ستعمل بجد لسداد حق
شريكوتنا في أسرع وقت،
ثم قالت كروتنا!
- إنني سأصرح لأمي بكل شيء،
- لا، لا تفعلي ذلك يا ابنتي،

وأضافت كرمنا بعد قليل :
— الآن تريدون أن تزوجوني . وبعد الزفاف إذا اعترض فريكوش طريقنا إلى بيت الزوجية حتى نسدد له دينه ، فماذا تفعلون إذن ؟
ولم يخطر ببال جك مثل هذا الاحتمال من قبل وسأل كرمنا وعلى وجهه علامات القلق والاضطراب :
— ولماذا يعترض طريقك ؟
— لأنه أعطى المبلغ بناء على سؤال له .
— ولكن سؤالك كان على سبيل المزاح
— من قال هذا ؟
وبدأت صورة اعتراض فريكوش طريق كرمنا وزوجها تتجسد في ذهن جك .
ففريكوش قد أصبح الآن مفلساً ويائساً وليس ببعيد أن يقوم بأي مخاطرة بغية التخلص من المأزق الذي هو فيه .
ثم قالت كرمنا بعد قليل :
— سأتكلم مع والدي هذه الليلة في هذا الأمر
— أنصحك ألا تفعلي .
— سأقول له .
وأخذت جك تؤكد إيانا أن يسعى جاهداً لسداد هذا الدين قبل إتمام الزواج .
وأخبرت جك جنبان كيجر بأن كرمنا لا تمانع في الزواج . ولكنها لم تستطع أن تفصح له عن شرط كرمنا لإتمامه . وهل كان من السهل أن تفصح له عن هذا الشرط ؟
وما كانت موافقة كرمنا على الزواج ذات أهمية لدى جنبان كيجر .
ولم تستطع جك أن تلح على جنبان كيجر في سداد الدين لفريكوش ، وهي تعرف أن تجارة الأسماك راكدة وأن القلق قد ساد بين الصيادين والتجار في الساحل كله . كما أن تجارة الأسماك المجففة

كاسدة من المدن الأخرى . وقد خسر فريكوس نحو ألف روبية من تجارته .

وحدث تغير ملحوظ من خلق كروتما وتصرفاتها ، فهي قد بلغت سن الرشد وأصبحت تفهم الأمور على حقيقتها ، كما بدأت تتشجع على الكلام مع فريكوس وكانت تترقب فرصة مناسبة لتتحدث إليه عن أمور عديدة .

وذات يوم تم اللقاء بينهما وقد كانت داخل سور منزلها وكان هو خارجه ، وبدأ الحديث بينهما وكان حديثا جديا خلافا للأحاديث التي جرت بينهما من قبل ، وسألت فريكوس :

— إنني أعرف أن تجارتك كاسدة هذه الأيام أليس كذلك يا كوسوموداالان ؟

ولم يكن فريكوس يتوقع بداية للحديث بهذه الطريقة ولم يقل شيئا ، ثم أضافت كروتما :

— إنني سأرد دينك يا موداالان عما قريب .

ورد فريكوس قائلا :

— إنك لم تأخذي مني شيئا يا كروتما !

— ربما كان الأمر أنا المسؤولة عن رده

— وكيف ذلك ؟

— هو كذلك يا موداالان ، وكل شيء بعد هذا ...

وما كان في استطاعتها أن تواصل الحديث وكأن شيئا يسد حلقها ، وخارت قواها ، وترقرقت عيناها بالدموع . ولكن فريكوس أكمل حديثها :

— وبعد ذلك سيتم زواجك ، أليس كذلك ؟

وتساقطت الدموع من عينيها .

وواصل فريكوس كلامه :

— وهكذا تريدين أن تنقطع العلاقة بيننا ؟

وكان لهذا السؤال وقع الشهام على قلبها ، وهل كان فريكوس يعرف حقيقة موقفها ؟

وأدرك فريكوس أنها مغلوبة على أمرها . ولكنه كان

يتوقع منه جوابا على سؤاله.

وقالت كروتما وما زالت الدموع في عينيها:

— لا. لا أعني ذلك يا كوشو مودالالي.

فأنا أتمنى لك كل خير.

وقال تريكوتي وعلى شفتيه ابتسامة تهكمية:

— وهل سأكون بخير يا كروتما بعد ذلك؟

وفهمت كروتما معنى كلامه جيدا. وأنه سوف لا يشعر بسعادة بعدها.

ولم تتحمل أعصاب كروتما هذا الموقف، فانسحبت مسرعة.

ومكث تريكوتي برهة ثم انصرف.

وعاد چنبان كنجي سار ذلك اليوم مسرورا وقال لزوجته:

— إن بالاش لا يريد شيئا من المال من جانبنا.

ولم تصدق چكي هذا الكلام وسألته:

— وكيف ذلك؟

— إنه سيتزوج كروتما بدون مقابل.

وحملقت چكي في وجه چنبان كنجي مندهشة. فقال:

— أقسم بالله العظيم أنه قال ذلك.

وقالت چكي:

— حتى لو قال ذلك، أليس علينا أن ندفع لابنتنا شيئا؟

واستغرب چنبان كنجي من كلامها. فإذا كان الشخص يقول إنه لا يريد شيئا من المال فلماذا يجبرونه على قبوله؟

وقالت له چكي بلهجة حادة:

— إنه شاب طيب ولعلك أنت الذي حملته على أن يقول ذلك.

وأجاب چنبان كنجي على الفور:

— أؤكد لك أنني لم أقل له شيئا.

~~وقالت چكي~~

- وما هي الفائدة من جمع المال ؟
- وأين هو ؟
- لابد أن ندفع شيئا من أجل ابنتنا .
- وإن كان هو لا يريد ؟
وواصلت حكم كلامها :
- إنك تهتم الآن بتأثيث المنزل وشراء الأسرة والحشايا الفاخرة لتتمتع بها في هذا العمر ، ولكن يجب أن تعلم أن عليك واجبات كما لك حقوق في هذه الحياة . ثم أردفت قائلة ، غير مبالية بسلطته الزوجية :
- لقد جمعت كل هذا المال بفضل ما لديَّ لك :
وقال جنبان كبير مبتسما لتهدئة ثورتها :
- لا تخافي ، فأنا سأشتري لك سريرا جميلا ونستمتع سويا .
وازدادت ثورة حكم وارتفع صوتها ، وخاف جنبان كبير أن يسمع الجيران هذا الحوار ويعرفوا حقيقة الأمر ، وخرج من البيت قبل أن يشتعل النقاش ، وخرجت كروئما من غرفتها وقالت :
- إني لا أريد أي مال يا أمي .
- وكيف ذلك يا ابنتي . إنه من العيب أن تذهبي إلى بيت زوجك بدون مال . ولابد أن يكون لك رصيد خاص .
وقالت كروئما بعد لحظة صمت :
- أنتم سترسلونني إلى حيث لا توجد لي حماة ولا صهرات ، فلماذا تخافون من العيب ؟
وجعل هذا الكلام حكم تسائل نفسها : كيف ترسل ابنتها إلى حيث لا يوجد أقارب لزوجها . ولكنها قالت :
- أليس هناك جيران ومعارف ؟
- وما لنا والجيران . ثم أضافت :
- أنا مستعدة للذهاب بدون مال ومع أي شخص وإلى أي مكان . ونوفر هذا المبلغ ونعطيه للكونثو والإله

ثم أردفت بعد قليل بانفعال :
— إنه قد أفلس ، ولا أستطيع أن أذهب
وقد ضيعته ، وإن ذهبت فإنه سيموت .
ولكن هل فهمت جيك المغزى العميق لهذا الكلام؟
ولو فهمته لكانت وجهت إليها عدة تساؤلات . أو أنها
فهمت وتجاهلت ؟
وكررت جيك وعدها للصغيرة بسداد دين فريكوس
ولكن كروبتا صرحت بأن أباها لن يرده .
فسألتها جيك :
— وماذا باستطاعتي أن أفعل إذن ؟
— لابد أن تتصرفي ، ولو بسرقته من المال
الذي يحرزه والدي .
ولكن جيك لم تتعود على شيء من هذا قبل ذلك ،
فكيف تجرؤ على هذه الفعلة ؟
ولما رأت كروبتا آثار الخوف بادية على وجه أمها
سألتها :
— هل أنت خائفة من ذلك يا أمي ؟
نعم إنني خائفة ولهذا فإنني لم تستطع أن تفي
بوعدها لكروبتا .
وكان جنبان لكبير يكسب مبالغ ضخمة من سمكه الجبري
فلو كانوا قد عملوا حسابهم في تلك الأيام على أن
يأخذوا كل يوم شيئا من دخله لاستطاعوا
أن يدبروا مبلغ فريكوس بدون أن يشعر جنبان كبير .
وفي اليوم التالي بدأتا في تنفيذ هذه الخطة .
ولما ذهب جنبان كبير إلى البحر فتحت البنت والأم
صندوقه ، وأخرجتا منه مبلغا ضئيلا . وكان الخوف
يساورهما طوال اليوم ، وفي المساء عاد جنبان كبير
ووضع مكاسبه في الصندوق كالمعتاد .
وسألته جيك على خلاف العادة :
— كم حصلت اليوم من بيع السمك ؟
— ليس هناك سمك تحت الجبري .

ـ ولكن كم حصلت ؟

ـ ولماذا تريدين أن تعرفي ذلك ؟

وهكذا كانت الأم والبنت تأخذان مبلغا صغيرا كل يوم من مدخرات جيبان كبير.

وذات يوم أخرج جيبان كبير الصندوق وبه ما فيه من نقود، وكانت كريزنا وأمها تخشيان من أن ينتبه إلى النقص في النقود، ولم تطمئنا إلا بعد أن أعاد الصندوق إلى مكانه

وسألت كريزنا أمها

ـ كم بلغت حصيلتنا الآن ؟

وكان كل ما تحصلتا عليه هو مبلغ سبعين روبية، كما حصلتا على عشرين روبية أخرى من بيع بعض الأسماك المجففة، وقررتا دفع هذا المبلغ على ضمانة إلى فريكوتر

الفصل التاسع

تم تحديد موعد زواج كروشا من بالاش، وما كان هذا يحتاج إلى مشاورات واستعدادات كثيرة لأنه وحيد وليس له أقرباء لكي يؤخذ رأيهم أو تراعى موافقتهم، وأخبر بالاش صاحب القارب الذي كان يعمل فيه وذهب هو وجنبان كيمي إلى زعيم ساحل قرية بالاش، وقدما إليه التحيات واستأذناه في إتمام عمل مراسم الزواج، كما أن جنبان كيمي استأذن زعيم ساحله، فزال من ذهنه أن جنبان كيمي عزم على تزويج ابنته. ثم قال جنبان كيمي لزوجته:

— ألا ترين كيف أن جنبان كيمي سوف يتخذ جميع الإجراءات اللازمة بعد لتزويج بنتك؟

وردت عليه فورا:

— ولكن من هو العريس الذي اخترته؟! شاب مسكين ليس له أهل ولا بيت ولا عنوان، أليس كذلك؟

فلم يعلن جنبان كيمي بشره ثم قال:

— ماذا تعرفين أنت عنه، إنه عامل ماهر وشاب قوي ذو أخلاق فاضلة وخصال حميدة ولا يوجد له نظير في الساحل كله.

ولم تعارض جلي كلامه ولكنها قالت بتبسم:

— ثم تتاح لنا الفرصة لنستمتع سويا.

— نعم، سأستمتع مثل بال كونان، سواء أكنت جادة في كلامك أم مازحة.

وقالت جلي:

— ولكننا لم نجد بعد مبلغ ذلك الولد المسلم،

فقال جنبان كيمي وكأنه مستاء من ترديد جلي لهذه المطالبة في كل مناسبة:

— إنه أصبح من عادتك أن تثيري هذه المسألة كلما تكلمنا في أمر زواج كروشا!

~~وبدا عليها الاضطراب، وما كانت تظن أن جنبان كيمي~~

سيوجه إليها مثل هذا السؤال. وكان من الطبيعي أن تتذكر في يكون كلما أتى ذكر كروعا. ولكن جهان اصطنعت جوابا جديدا وابتسمت وقالت:

- إننا الآن مثل شك الشروكي في حياة زوجية سعيدة مثل الشباب، وياليتنا أنهينا هذا الالتزام أيضا حتى يكون فكرنا مستريحا.

لم ينس جهان كبير هذا الالتزام، ولكنه دائما يؤدي التزاماته شيئا فشيئا حسب خطة خاصة وضعها في ذهنه. وقال لزوجته بطريقة جدية:

- إسمعي، نحن ليس لنا أبناء، وأنا أفكر في أن نتخذ بالانا أبنا لنا.

وردت جهان فرحة:

- وعلى كل حال فهو يعتبر لنا بمثابة الابن الأكبر.

ثم بين لها جهان كبير كل شيء عن بالاني. ورأى أن يسكن معه بعد الزواج، وإذا أقام بالاني معه فسيكون عونا له على تشغيل قاربيه بدون الاعتماد على الآخرين.

ثم استوضح رأي جهان في هذا الأمر وعما إذا كان لها اعتراض على ذلك. ولكنها سألته:

- وهل يوافق هو على ذلك؟

- لم لا..؟

- وهل يرضى شاب من الصيادين أن يقيم في بيت زوجته بصفة مستمرة؟

وفكر جهان كبير مليا ثم قال:

- إنه سيوافق على ذلك، فهو شاب طيب.

- إذن لا بأس، ثم أضافت:

- هل أقمت في بيتي يومين متتاليين بعد زواجنا؟

- كان أبي وأمي على قيد الحياة.

وعلت كروعا تعبرات أبيلي، وأبدت لأول معارضتها الشديدة في هذا الأمر، وقالت الأم معاتبة:

- إن والديك قد اختارا لك زوجا مناسبا واتخذا الإجراءات اللازمة لإسعادك في حياتك في

الزوجية ، ولم يكد يضع قدمه في بيتك حتى بدأت تتنكرين لوالديك وتعارضين رأيهما ، وهل يصح هذا يا ابنتي ؟

وتغلغلت هذه الكلمات إلى أعماق قلبها . وما كانت تقصد أبدا معارضة والديها ، فهي تكن لهما كل احترام وتقدير ، ولا تشعر بأي إهانة من إقامة زوجها في بيت أبيها ، بل إنها ستشعر بألم من فراقها وفراق أختها بنجامين . ولكن الظروف تحتم عليها أن تقيم بعيدة عن هذا الجو وذلك المكان ، وقالت متأثرة !

— ما كنت أقصد ذلك قطعا يا أمي ، ومن لي سواكما ؟ وقالت على أمل باكية واحتضنتها جوديث وما كانت جوليا جادة في كلامها لهذا الحد ، وما كانت تظن أنه سيؤلم كروتما هكذا .

وقالت كروتما !

— إني لا أريد الإقامة بهذا الساحل مطلقا وإلا فسنذهب جميعا من هنا ،

وسألتها بصوت مبحوح !

— ماذا تقولين يا ابنتي ؟

وقالت كروتما في غاية التأثر والانفعال !

— إذا أقمت بهذا الساحل ...

— ماذا سيحدث يا ابنتي ؟

وأدركت جوليا أن كروتما تريد أن تقول شيئا هاما وأن حدة كلامها هي التي جعلتها تبكي بكاء شديدا ، وما كانت تدري أن كلامها سيسبب انفعالا وأسى بالغين في قلب كروتما . وقالت متنهدة !

— إذا أقمت هنا فسيفسد الساحل يا أمي .

وامتلأت عينا جوليا بالدموع وقالت !

— لا تقولي هذا يا ابنتي .

— لابد أن أترك هذا الساحل يا أمي . هذا هو أملي الوحيد ؛ ولا يحصل لي اطمئنان إلا به .

وهل لكروتما أحد تفضي له بما في قلبها غير أمها ؟ وهل تستطيع أن تصرح لها من أيضا بكل ما يدور في خلدها ؟

وقالت جاكم حينذاك :

— إني أخاف أن يكون ذلك الشاب الملم قد كرهني

وأنكرت كروتما عليها ذلك القول وسألت الأم :

— هل كان في هذا الساحل بنات من هذا القبيل

— ماذا تقصدين يا بنتي ؟

— أنت يا أمي تعرفين أكثر مني .

— يا إله البحر ! إن ابنتي قد أصبحت مجنونة .

— لست مجنونة يا أمي ، ولكني أسألك عما إذا كانت هناك فتاة في هذا الساحل قد وقعت في الورطة التي وقعت فيها

ولم تستطع كروتما أن تفصح بكل ما في ذهنها من المعاني في عبارات واضحة تفهمها أمها بسهولة . وهي تسأل عن فتاة من طائفة الصيادين وقد أحبت شابا من طائفة أخرى . وجعل له في الارتباط يوما بعد يوم ، وأن قصة غرام تشتد مظاهرها في كل لحظة من حياتها . وهل عرف هذا الساحل قصة غرام من هذا القبيل ؟ وهل أحب شاب من طائفة أخرى فتاة من الصيادين ثم افتتن بها بجماع قلبه ؟ وهل سمعت رماله من قبل أغنية عاشق مسحور بنار الحب ؟ وما هي قصة ذلك العاشق ؟

هذه هي الأسئلة التي خطرت ببالها حينذاك ، ولكن هل في وسعها أن تسأل أمها عن كل هذا ؟ لا أبدا

وربما شهد هذا الساحل قلوبا احترقت بشواظ الحب ، ومشى على رماله العاشقون والعاشقات في ظلام الليل الدامس ، أو في نور قمره الساطع المتلألئ وفي ظلال قواربه المركونة على الرمال . ورب عاشقة قد تزوجت من غير عشيقها تحت وطأة الظروف والتقاليد ، وعاشت طوال حياتها وهي تحمل في طيات نفسها قلبا يحترق وحبا يتوقد على مدى الأيام . وربما وضعت حدا لحياتها بنفسها أو ... أو ... إلى ...

ولكن كروتما ما زالت تعتقد أنها هي الفتاة الوحيدة التي

تعاني هذا الحظ المشؤوم . وأن هي الوحيدة التي أحبت شابا من غير طائفتها ، وعلى الأقل أنها هي الفتاة الوحيدة التي تعاني من نتائج ذلك الحب العذري .

وسألتها جدتها مندهشة :

— هل وقعت في أي مأزق يا بنيتي ؟

ولم تفهم كرونيما مقصد أمها . وأضافت جدتها :

— إن البنات البالغات لابد أن يحفظن أنفسهن جيدا .

ولم تدرك كرونيما خطورة ما تقصده جدتها . ولكنها قالت ببراءة :

— إنني لم أفسد يا أمي ! وكان ذلك جوابا ذا مغزى بالغ . وإنما كان غرضها أن تحذرها فقط من الوقوع في أي نوع من المفاسد . وتتوهم أن غولا يفقس تماما ليبتلعها . وأنها على شفا حفرة من الهلاك .

ووعدتها أمها بأنها ستنقذها من هذا الحوت وترسلها إلى بيت زوجها في نفس اليوم الذي يتم فيه الزفاف .

واشتهر خبر خطوبة كرونيما في الساحل . وأصبحت موضعا لاهتمام جاراتها .

وجرت التقاليد على أن الجارات الكبار يقمن بإسداء النصائح والواجبات التي يجب اتباعها في بيت الزوجية .

وإذا حصل خطأ من فتاة متزوجة فإن الناس يعاتبون جاراتها .

وقالت ثلاثين لكرونيما :

— يا ابنتي . إننا نريد أن نحول إليك الآن رجلا .

وحسب المعتقدات الشائعة لديهم أن الرجل هو الذي يحول إلى المرأة بالزواج .

وقالت كالي كيجي :

— إن رجالنا يا ابنتي يعملون يوميا وسط الأمواج المتلاطمة .

ما تذرتها كيجي بش :

— إن قلب المرأة رقيق يا ابنتي ، فلابد أن تكوني حذرة دائما .

وهكذا وجهت كل منهن نصيحة إليها. وقد سمعت هذه النصائح في شبابهن من الجارات. والآن قد أتيحت لهن الفرصة لإسدائها إلى الأخريات.

وسمعت كروتما هذه النصائح بأذن واعية وامتلأ بها قلبها. ولكن سؤالا كان يتردد في ذهنها. وهو الذي كانت تريد أن تسأل عنه أمها: هل شهد هذا الساحل قصة امرأة أحبت شابا وبادلها نفس الحب، ثم تزوجت من رجل آخر؟ وماذا كانت عاقبة تلك المرأة؟

وشغل هذا السؤال ذهنها. ولكنها لم تستطع أن توجهه إلى أحد بصراحة.

وخيل إليها عدة مرات أن روح تلك المرأة الخائنة تطير عطشى في جو ذلك الساحل. وسمعت في إبان عزلتها كأن قصة تلك المرأة يدوي بها بحر مجهول من السماء... وقد عاشت من قبل في بساط هذا الساحل أمهات وجدات قد حملن قلوبا محترقة مثل ما تحمل الآن؛ وما هي القصص تحويها الآن أمواج هذا الساحل. وترى آثارها بادية على رماله، وتضاريس شاطئه، وقد اختلطت بها أشلاء أولئك الأمهات والجدات فهي تضطرب بسببها.

وذات يوم سألت كروتما تلابين:

— يا عمتي. هل كانت في هذا الساحل نساء انحرفن من الطريق القويم؟ وأجابت تلابين:

— نعم، قد اشتهرت في الساحل قصص لبعض النساء اللاتي انحرفن عن الطريق السوي. وأن في قصيدة شعبية شائعة بين أهالي الساحل قصة امرأة قد فسدت أخلاقها، وكانت نتيجة فسادها أن غضب البحر الأم، وابتلعت أمواجه كثيرا من أهالي الشاطئ، وانتشرت الأفاعي السامة في الساحل كله. وأحاطت بالقوارب حيوانات بحرية متوحشة.

وأسمعت تلابين كروتما بعض أسطر تلك القصيدة وكانت قصة غرام، يمكن أن تتكرر قصص مثلها في الساحل بمرور الأزمان. وتوضح قصائد مماثلة عبرة

للأجيال القادمة .

وقالت تلاپن :

— هذه هي شريعة البحر يا ابنتي .

وسألت كروتما :

— وإلى الآن ؟

— بل أكثر . تلبس في الساحل اليوم العفة التي كانت من قبل ، حتى رجال الساحل أنفسهم تراهم اليوم منحرفين عن الأخلاق المتوارثة .

ومع انتشار الحياة العصرية الحديثة تغيرت أخلاق وعادات الرجال والنساء في الساحل ، ولكن الكبار مازالوا يوجهون النصائح التقليدية إلى الفتيات الصغيرات في الساحل ، ويقصون عليهن قصص غضب البحر الأم بسبب فساد بناته .

وسألت بنات الجيران كروتما :

— هل ستفارقيننا ؟

وأرادت كروتما أن تسدي إليهن بعض النصائح المفيدة ، وأخبرتهن بأن لا يختلطن مع الشبان كثيرا في الساحل ، وأن يحافظن على عفافهن وطهرهن .

وكانت كروتما على وشك مغادرة الساحل إلى بيت زوجها ، ولا تدري شيئا عن أحوال المكان الجديد الذي ستنتقل إليه .

أما ذكريات هذا الساحل فستظل أبدا في قلبها وعقلها ، فهو مسقط رأسها ، قد ترعرعت في أحضانه وأصبح جزءا لا يتجزأ من حياتها ... وكيف تنساه ؟!

وودعت كروتما كل شيء في الساحل ، وسمعت فريكوتي يغني ، وكان القمر يملأ الأفق ، والبحر هادئا ، وكانت الرياح المناسبة تنقل أصداء غنائه إلى أسماعها أنى توجهت . وتصورت أن هذا الغناء يردده الساحل كله توديعا لها ، وخيل إليها أن صوت الحياة يدعوها .

وكان صداه قد هز مشاعرها ، فقامت من مضجعها ترى صورة فريكوتي ماثلة أمامها ، وهل كان فريكوتي فعلا يناديها

وهل كانت لديه وسيلة أخرى يطفئ بها حرارة قلبه
غير هذا الغناء؟ ... سيظل يردده طوال حياته
وإن لم يكن هناك أحد يستمع إلى غنائه .
وكانت أول مفارقة في النوم ، ولم يعد أبوها بعد سنة كاملة
وكان الساحل خاليا من المارة .
وساورت قلبها فكرة الزوج للفتاة فريكوس حيث يغني
وكان قلب فريكوس يكاد يتقطع مما به من الأشجان
ولواعج الحب ، وصوت غنائه يعلو هنيهة وينخفض أخرى
وكلما همت كروتما بالخروج ترد إلى ذاكرتها تلك الأساطير
التي سمعتها من الجارات عن قصص النساء الفاسدات
في الساحل ، وعن غضب البحر الأم لذلك .
وهل كانت منهن امرأة سمعت عشيقها يغني في
الساحل في مثل هذه الليلة المقمرة فخرجت إليه بدون
أن تشعر؟ أو أن هذه هي التجربة الأولى
التي يشهدها الساحل؟ وهل يغضب البحر الأم
ويرسل أمواجه العاتية لتبتلع الشاطئ بمن فيه؟
وهل تنتشر الأفاعي السامة في الساحل؟ وهل
تحيط الحيوانات البحرية المفترسة بقوارب الصيادين؟
وتسربت إلى ذهن كروتما فكرة أخرى ، فإنها
ستغادر الساحل بعد قريب ، وقد ودعت كل معارفها
وأصدقائها ، ولكنها لم تودع بعد ذلك القمر
المطل على الشاطئ بضوئه الفضي ، كما أنها لم تودع
البحر الأم الذي يتلألأ في ضوء القمر ، وكذلك
الموسيقى التي تنبعث من جوانب الساحل في مثل
هذه الليالي القمراء ، ولاسيما ذلك الملاك الذي
أرسلته السماء لترديد هذا اللحن العذب .
وربما أنها لا تسمع هذا اللحن بعد هذه اللحظات ،
ومن المتوقع أن يتوقف صوته من كثرة ترداده
أو أنه لا يعود إلى ترديده بعد اليوم ،
كما أنه من المحتمل أن لا تتمكن بعد الآن من أن
تستمتع بجو هذا الساحل في ضوء القمر الساطع .

وربما تكون هذه هي الفرصة الأخيرة التي تتيح لها ذلك.
وكيف لا تنتهزها؟! فلتذهب مرة أخرى إلى ظلال القارب المركون على رمال الشاطئ، ولتنعم بمتعة تلك الذكريات الجميلة في ذلك المكان قبل أن تحرم منها نهائيا. فقد نشأت في هذا الساحل وقضت أيام طفولتها تلهو وتلعب على رمال شاطئه، وحينما كبرت عرفت الحب بين أحضانه، وبعد الآن ستصبح زوجة وفية لصياد يعمل ليل نهار في أعماق البحر، ويواجه أمواجه العاتية وعواصفه الهوجاء. فلا بد من أن تحافظ على عقلها ونظافة سلوكها، وهي على أبواب حياة جديدة ذات مسؤوليات عديدة. ولعل هذه هي اللحظات الأخيرة التي تستطيع أن تستمتع بها في جو من الحرية.
فلتنتهزها إذن.
ولكن الخوف ساورها مرة أخرى، وهل تضمن السيطرة على مشاعرها حينما يتم اللقاء مع فريكوس؟ أو أنها تنساق إلى ارتكاب أخطاء لا تعرف عواقبها؟ ولم يساورها من قبل مثل هذا الخوف.
وأرادت أن تطلب من فريكوس أن لا يلتقي بعدها وأن لا يحيي الليالي المقمرة في الشاطئ مرة أخرى.
ورغبت في أن تتحدث إليه في أمور عديدة، وتطلب منه العفو إن كان قد بدر منها شيء يؤلمه.
وقامت كروسنا من على سريرها وفتحت باب غرفتها رويدا رويدا، ونزلت إلى الخارج ومشت خلال ظلال شجر جوز الهند الباسق، متجهة ناحية الشاطئ.
وكانت السماء صحوا والقمر متلألئا. وتوقف صوت الغناء فجأة... فقد مثلت مبهوتة فريكوس أمامه دون أن يشعر أو يتوقع، وما كان يصدق عينيه ويحسبها في حلم، ولكنه أفاق من ذهوله بعد برهة وسألها بصوت خافت حزين!
هل سترحلين يا كروسنا؟

وهل كان يشغل باله سؤال مثل هذا ؟ ثم أردف
— وهل ستذكرينني بعد الرحيل يا كروئما ؟
وكان فريكوش يشك فعلاً في ذلك ، وواصل كلامه
— حتى إذا لم تذكريني فإنني سوف أغني لك
في هذا الساحل ، ولو تقدم عمري وابيض رأسي وتساقطت
أسناني فلن أتحول عن ترديد الغناء .
وقالت كروئما باشفاق :
— لا يا كوشو مودالالي ، لابد أن تتزوج
فتاة جميلة وتقضي معها حياة سعيدة ابين أولادكما
وتصبح تاجراً مرموقاً .
ولم يقل فريكوش شيئاً ، وأضافت كروئما :
— هذا هو الخير لي ولك ، واستمرت
في كلامها :
— بأرد إليك المبلغ الذي اقترضناه منك
قبل أن أرحل ، وإنني أتمنى لك كل خير
وسعادة ولكني دائماً ...
ولم تستطع أن تكمل كلامها . وكانت تريد أن
تقول إنها ستدعو له دائماً ، ولكن هل تسمح
المعتقدات والتقاليد للامرأة أن تدعو لرجل أجنبي
غير زوجها ؟ وتداركت هذا الأمر ، ولكن كلمة
خرجت من فمها دون أن تشعر !
— وإنني دائماً سأذكرك يا كوشو مودالالي
— ولم تذكريني يا كروئما ؟ رجاني ثم الانفعال
وساد الصمت بعض الوقت حيث كان كل منهما غارقاً
في الأفكار ...
وفي هذه اللحظات طارت فوق رأسيهما بومة
خرجت من بين خوص أشجار جوز الهند ، بينما كان
كلب من كلاب الساحل قد مر بالقرب منهما .
وكان هذان هما الشاهدين الوحيدين لهذا اللقاء ،
وقال فريكوش :
— وهكذا انتهت تلك الأيام التي قضيناها معاً

في الساحل نلهو ونلعب ونلتقط الأصداف من على الرمال.
وأومأت كروميا بالموافقة. وأضاف تريكوش:
— وأصبحت وحيدا في هذا الساحل.
ونفذت هذه الكلمات إلى أعماق قلب كروميا،
وواصل تريكوش حديثه:
— ما كنت أتوقع أن كروميا تأتي لتستودعني
وأكمل كلامه قائلا:
— حتى إذا سافرت بدون توديعي فسوف
لا أشكو من ذلك. ولكن [illegible] لكنت سأكون حزينا
وبكت كروميا وأخفت وجهها بيديها. فقال تريكوش:
— لماذا تبكين ياكروميا؟ إن يالاوش شاب طيب
وذكي. ثم أضاف بصوت مختلج:
— وسيكون لك حظ سعيد.
ولم تستطع كروميا أن تتحمل أكثر من ذلك فقالت:
— لا تعذبني ياكوشومودالالي.
ولم يفهم تريكوش معنى كلامها. وهل يدرك منه شيئا ؟!
وهو لم تقصد شيئا من ذلك.
وقالت كروميا ببالغ الحزن:
— إنني أعرف أنك لا تحبني ياكوشومودالالي.
— ماذا تقصدين ياكروميا؟
وأقسم تريكوش أنه لا يريد لها إلا كل خير وسعادة وقال:
— إنني سأجلس هنا وأغني لك دائما.
— وسأسمع غناءك في ساحل تريكونابوزا.
— وسأغني حتى يبح صوتي وينفطر قلبي وتكتوي حنايا
— وسيحترق قلبه أنا أيضا رويدا رويدا حتى
أقضي نحبي. وتطير روحانا في أجواء هذا الساحل
عندما يكون القمر ساطعا متلألئا.
وأجاب تريكوش:
— نعم.
ولم يتكلم أحدهما بشيء بعد ذلك. وانصرفت كروميا متجهة إلى
البيت بخطى متثاقلة، بينما كان تريكوش يراقبها ويتابع خطواتها حتى غابت

الفصل العاشر

تمنت جكم أن يكون الاحتفال بزواج ابنتها احتفالا رائعا . وظن الجيران أيضا أن جنبان كنجي سيحتفل بهذا الزواج بكل مظاهر العظمة والأبهة نظرا لثرائه وكون كروتما كبرى بناته .

ولكن جنبان كنجي لم يستعد لذلك ، وكل ما عمله هو شراء بعض الحلي لكروتما ، ولما كلمت جكم معه عن هذا الأمر عارض فيما تريد تحقيقه بحجة قلة المال ، ونشب خلاف شديد بينهما . وكانت كروتما تتألم كثيرا من تنازعهما والديها من أجلها ، وتمنت أن ينقضي ذلك اليوم بسلام وبدون مضايقة أحد ، وهي تحب المتاعب للكثير من الناس المحيطين بحياتها ومحبيها ، ولا تدري ما الذي سيخبره المستقبل لأهلها .

واستأذن جنبان كنجي من زعيم الساحل ، وقدم إليه الهدايا اللازمة . ولكن لابد أن يحضر بنفسه مراسم الزواج الرسمية . وقد وعد جنبان كنجي بحضوره مبكرا .

وحضر زعيم الساحل قبيل موعد بدء مراسم الزواج وكان الاستعداد أحسن مما كان متوقعا . وأتى جماعة تتألف من خمسة عشر شخصا من تريكونا بوزا ، ولم تحضر واحدة من النساء من جانب يالاين ، فليست له قريبة تستطيع أن تصحب عروسه إلى عش الزوجية وكان ذلك الأمر موضوع حديث نساء الساحل ، وعرف الجميع أن يالاين يعيش وحده . وليس له أحد من أفراد عائلته على قيد الحياة ، ولكنهم ما كانوا يعرفون أنه لا توجد امرأة تمت إليه بصلة قريبة أو بعيدة ، وشعرت جكم أيضا بالامتعاض من هذا الاعتبار .

وقالت نلايني بدون أن تشعر !

ـ ألا ليت هؤلاء القوم قد أحضروا معهم فتاة ولو من جيرانهم !

ووافقت كاليكنجي على هذا الرأي . وسألت كنجي بن !

ـ وكيف ترسلون بنتا وحدها مع هؤلاء الرجال ؟

وسألت الكشمير :
— ثم ما هي الحيلة ؟
وقالت نلاوتي :
— لابد أن تأتي الثار مع العريس لكي يصطحبن العروس . فهذه هي العادة المتبعة في كل مكان .
وعلمت جيدا بهذه الأحاديث التي جرت بين الجارات وأدركت جيدا مغزاها . وجاء موعد دفع العريس الصداق وأما هذا المبلغ فكان زعيم الساحل هو الذي يحدد مقداره ثم تتبعه سائر المراسم لإتمام الزواج .
ودعي الزعيم ياداف وأصحابه وقال لهم حسب التقاليد المتبعة
— إدفعوا خمسة وسبعين روبية .
واندهش أصحاب ياداف ، فما كانوا يتوقعون دفع هذا المبلغ الضخم . فإن هذا المبلغ لا يطلب إلا من زيجات أصحاب الشباك .
وصمت الجميع لفترة قصيرة . ثم سأل أشوكهان رئيس جماعة ياداف بأدب ورفق :
— أرجو أن لا تسيء الظن أيها الزعيم . فإننا لا نعارض رأيكم ، ونحن أيضا صيادون . وجئنا من ساحل مثل ساحلكم
وقال زعيم الساحل :
— لا بأس . قولوا ماذا تريدون . قولوا بصراحة
وقال أشوكهان :
— إن تحديد مقدار الصداق والأمر بدفعه من سلطات سيادتك ، ولكن من العادة المتبعة أن يستشير الزعيم أصحاب العريس قبل تحديده . [redacted]
~~من جانب الزعيم~~
وسأل الزعيم وهو مستاء من الاعتراض الذي وجه إليه :
— ما هو الداعي إلى الاستشارة ؟
ولم يتخل أشوكهان عن موقفه . ففي ساحله أيضا زعيم ذو سلطات وجاه . وقال :
— قطعا هناك داع للاستشارة .
— إذن أسأل ، ما هو هذا الداعي ؟

وقال أشودهان بصراحة ووضوح :

— يبدو أنك لا تريد أن يتم هذا الزواج بإبرام.

وغضب الزعيم من ذلك بسبب أشودهان، وما كان يستطيع أن يصبر على هذه التهم الموجهة إليه.

وقال أشودهان :

— إن زعيم الساحل إذا حدد المبلغ الذي سيطلب تقديمه من العريس قبل أن يعرف مقدرته المالية فربما يترك الزواج وتتفشى البلبلة في الأفكار. وهذا هو الذي كان يقصده بكلامه.

وسألهم الزعيم حينئذ :

— هل أنتم مغفلون إلى هذا الحد؟

ولم يردوا بشيء. وصبروا على هذه الإساءة التي وجهها إليهم الزعيم احتراما لمكانته وتقديرا للكرسية. فهم ملزمون باحترامه كما يحترمون زعيم ساحلهم.

وقال الزعيم لجنبان كبير :

— هل أنت تزوج ابنتك يا جنبان كبير لشخص لا يستطيع أن يدفع خمسة وسبعين روبية ؟

ووقع هذا السؤال موقع الاستحسان في أوساط الساحل وكيف تزوج فتاة جميلة لشخص لا أهل له ولا بيت؟ ولكن يلمنه يتغلبوهن على هذا الاختيار. ولكنهن لم يجرؤن أن يصرحن برأيهن.

ولم يقل جنبان كبير شيئا ولم يجب على سؤال الزعيم وقال أشودهان :

— هذا صحيح يا والدي. إن بالانز شاب مسكين وليس له أحد من أقاربه أو أهله. وكلنا من أهالي الساحل ولا تمت إليه بصلة قرابة. ولهذا قلت إنه كان من المستحسن أن تسأله أولا عن المبلغ الذي تطلب منه دفعه كصداق لزواجه. ثم شرح أشودهان أحوال بالانز كلها.

وأبدت النساء الحاضرات عطفهن على كروتما، كما أبدين أسفهن على سوء حظها

حتى قالت بعض النسوة متمتمة: كان من الخير لجبان كبير
أن يلقيه في البحر من أن يرتكب هذا الظلم.
ولكن زعيم الساحل لم يتخل عن الموضوع وأردف:
— كل هذا صحيح، ولكن هل سيرد هذا المبلغ
على أساس الحالة المالية للعريس؟
فقال أشوهان:
— لا.
فرد الزعيم:
— إنها فتاة جميلة. وإن كنتم تريدونها فلابد
أن تقدموا الصداق المناسب.
وأراد أحد الحاضرين مع العريس أن يتكلم، وكان
مستاءا من كلام زعيم الساحل من البداية، وقبل
أن ينطق بكلمة قال له كبيرهم:
— ليس لك الحق أن تتكلم بشيء والآن سأسوي
الأمر مع الزعيم المحترم. فالتزم الصمت ولم يقل شيئا.
ولكن زعيم الساحل ثار غضبا وقال مخاطبا ذلك المتمرد
من أصحاب العريس:
— قل بصراحة ما كنت تريد أن تقوله.
وربما كان يريد أن يقول ذلك من قبل وأخفاه
في نفسه حتى تفصح عنه في الوقت المناسب، وظن
أن هذا الوقت قد حان فقال بكل وضوح كأنه يتحدى
هذا الزواج من أساسه:
— لا تتحدث كثيرا عن فضائل البنت،
وسأله الزعيم غاضبا:
— ماذا تريد أن تقول يا شاكل؟
— أنتم تنظمون هذا الزواج لكي لا تجلب المصائب
لساحلكم. ولا يهمكم أن تجلب الويلات لساحلنا.
ورغم هذا تطلبون من الشاب المسكين مبلغا ضخما لم
يجر العرف به من قبل، إن هذا لشيء عجاب!
وذهل الجميع من هذا الكلام وحدقت عيونهم مغشيا عليهم
وجعلت كرونتا أمل وأخذت تبكي: أماه، أماه،

وهرع الجميع إلى الداخل فوجدوا جكي مغمى عليها .
وأخذ جيبان كيني يجري هنا وهناك كالمجنون وظن أن
زوجته تحتضر وأن الزواج على وشك الانهيار .
وعاتب بعض رفقاء العريس ذلك الرجل المتمرد ولاموه
بشدة على إثارة مثل هذه المشاكل في هذه اللحظات الحاسمة
من حياة فتاة وفتى . ولكن الرجل لم يبد أي أسف لما بدر
منه ولكنه استمر في كلامه بهذا الأسلوب :
— إنني لست جديدا في هذا الساحل وقد أتيت هنا
مرات عديدة ، وأعرف كل شيء عن هذه البنت .
وأحس الجميع أن هناك سرا خطيرا في حياة كرومتا .
ولكن لم يحاول أحد أن يعرف هذا السر . وحاول
الجميع أن يسكتوا ذلك الثائر المتهور . فهو قد أتى
ضيفا على أهالي ساحل آخر . وليس من المناسب أن
يثير مثل هذه المشاكل في هذا الوقت بالذات .
وقال له أشودهان وهو يعض على نواجذه !
— بحق السماء أن تسكت أيها الرجل .
وكانت كالي كنجي ونلاسين بجوار جكي . وفتحت عينيها
ومدت يديها إلى كرومتا وهي تقول بصوت منخفض « بنتي »
وغابت عن الوعي مرة أخرى .
وبدأت النساء يمرضن جكي ويهدئن من روع كرومتا .
ولما أفاقت جكي من الإغماء ، دخل جيبان كيني بالان
وأشودهان وقال لهما سرا : إنه مستعد لأن يعطي مئة
وسبعين روبية لبالان حتى يقدر أن يقدمه كصداق للزواج
فوافق كل من بالان وأشودهان على ذلك .
وهكذا دخل بالان سرادق مراسم الزواج ومعه المبلغ
المطلوب للصداق . وهدأ الجو . ونسي الجميع ما قاله المتمرد
بالبو . وقدم العريس الصداق إلى زعيم الساحل وأخذ
منه قطعه التقليدي ، ثم قدم الباقي إلى جيبان كيني . وتمت
المراسم الأولى كلها في الوقت المناسب حسب التقاليد
الشائعة فيما بينهم برغم المناوشات المذكورة .
~~واستردت جكي وعيها ولكنها شعرت بإعياء شديد .~~

وجئ بالعروس إلى السرادق ، وقام الرئيس بإتمام مراسم الزواج
وربط العريس «تمالي» ثم عنق عروسه . وانتهى تقديم
الأشياء التقليدية . وأخذ جنبان كنجر يد بالاني
ووضعها في يد كروتما ، وعندما أخذ جنبان كنجر يد كروتما
ليمدها إلى بالاني ، أحس كأن تصلبت قليلا أو أن
يدها تميل إلى الوراء . ويبدو أن لم تأخذ بيد بالاني
وإنما يده هو التي استقرت في يدها —
ولا يدري أحد بما كان يدور في ذهن كروتما في
هذه اللحظات ، وكانت تنفذ كل ما يقال لها كآلة صماء ،
وكانت تحلى بمساعدة النساء واشتركت في عمل المراسم
لكن قواها خارت وأغمي عليها مرة أخرى .
وقالت النسوة : إن هذا كله من أمارات سوء
الطالع ، وعادت إلى حالها وعيها بعد قليل . وأشار عليها
الحاضرون بالاستراحة التامة ومنعوها من الاشتراك
في أي شيء من مراسم الفرح اليوم .
ولما حان وقت تناول الطعام ، حدث شغب آخر بين
الناس . وكان ذلك بسبب النقاش حول الطبقة
التي ينتمي إليها بالاني . وخرج بعض الناس من الحفل
دون تناول الطعام . وغادر بابو الذي خلق هذا
المشاكل كل المكان غاضبا .
ولم يتأثر جنبان كنجر بشيء من هذه المشاغبات ، وأحس
لكن نوعا من سوء حظه ، بيد أنه تقدم قليلا إلى زعيم الساحل
ليلتمس منه أن ينقذه من هذا المأزق ، فإن حماته ملازمة
للفراش ولا تقدر على القيام بأي عمل في البيت . وكروتما
ستغادر بيتها لأول مرة إلى مكان جديد .
وطلبت من الزعيم أن يشفع لدى أصحاب العريس من
أن تبقى كروتما مع بالاني لبعض الأيام في بيته حتى تشفى
أمه من مرضها . فإذا ذهبت كروتما فسوف لا يكون
هناك من يشرف على زوجته المريضة وعلى شئون منزله .
وزاد قلق جنبان كنجر وتغيرت أحواله .

ولما رأى الزعيم آثار الاضطراب الشديد على وجه جنبان كبير قال :

— هذا صحيح يا جنبان كبير ، ولكن إذا أصروا على أن يأخذوا معهم عروسهم اليوم إلى بيت زوجها فكيف تمنعهم من ذلك ؟

وقال جنبان كبير :

— إذا تكلمت معهم في هذا الموضوع يا والدي فإنهم سيوافقون على ذلك .

وضحك الزعيم وقال :

— إنهم من صيادي تريكونابورا وهم أناس شاكسون . ألم تر ذلك بعينيك الآن يا جنبان كبير ؟

ولم يكن لجنبان كبير ملاذ إلا الزعيم، وهو يعتقد أن الزعيم يستطيع أن يقنعهم بتأجيل سفر العروس بعض الأيام .

وبعد الفراغ من تناول الطعام أعلن أشودهان أنه قد حان وقت انصراف العريس وصحبه .

أما كرونا فما زالت تجلس بجوار أمها تذرف الدموع من عينيها .

وتظاهر جنبان كبير بأنه مشغول جدا وأخذ يذهب ويجئ هنا وهناك .

واستأذن أشودهان مرة أخرى لانصراف العريس وصحبه ، ولما كرر الطلب للمرة الثالثة لم يكن أمام جنبان كبير أي مجال للتحايل . وقال الزعيم حينئذ لأشودهان :

— هل من الضروري أن تأخذوا العروس معكم اليوم

وكان ذلك سؤالا مفاجئا لهم . ولم يرد أشودهان بأي جواب لفترة من الوقت . وكان الزعيم منتظرا جوابه . وبعد فترة سأل أشودهان :

— ولماذا تسألون هذا السؤال ؟

— وما هو الحرج فيه ؟

— وهل نترك البنت هنا بعد إتمام جميع مراسم الزواج ؟!

وكان الزعيم يعرف أن موقفه ليس سليما ، وليس له الحق في إجبارهم على ذلك

وبين لهم أحوال هذا البيت، وهم أيضا يعرفون. وقال:

— رجائي أن تسمحوا لي بالبقاء هنا لكي أن تشفى أمي من مرضها.

وأجاب أشودهان بأن العريس هو الذي يقرر ذلك

وأضاف الزعيم قائلا بغية تقوية موقفه:

— ومن ناحية أخرى فعليكم الحق في الإصرار على أخذ البنت معكم اليوم.

وسأل أشودهان على الفور:

— لماذا؟

— أليس من العرف أن تحضر مع العريس امرأة لتصحب العروس إلى بيت الزوجية؟

ورد عليه أشودهان:

— ولماذا زوجتم ابنتكم لشخص ليس لديه امرأة تصحب عروسه إلى بيته؟

فسأله الزعيم وهو يتظاهر بالغضب:

— هل أنت تستجوبني الآن؟

وسكت أشودهان، فالأمر الآن بيد العريس ولا يستطيع أحد أن يتكلم بشيء. وكان الوقت متأخرا.

واقترح زعيم الساحل:

— فليسبق بالاش أيضا هنا.

والتزم الجميع الصمت، ووجه الكلام الآن لبالاش وحده.

وقال أشودهان مخاطبا بالاش:

— ماذا بك يا ابني؟ وعندما تذهب فإننا تأخرنا كثيرا.

وتردد بالاش ولم يعرف ماذا يقول. ولم يصل بعد إلى قرار حاسم، وما كان يظن أن ذلك مشكلة عويصة، وبدا أنه غير مبال بذلك، ولم ينطق بكلمة واحدة.

— لماذا لا تقول شيئا؟ ولماذا تضيع أوقات الناس؟

وعاتب أشودهان بالاش وقال له: إننا جئنا معك لحضور مناسبة سعيدة، ولكننا تخاصمنا بسببك مع أناس لا نعرفهم... ولماذا لا تنطق بشيء؟ إن لنا أعمالا أخرى وعلينا أن نعود إليها؟

وكان جيبان كبير ينتظر بتلهف بالغ جواب بالاش . وهو يرى أنه رجل طيب وسوف لا يخذله ، وكل المسألة هي أن يصحب العروس إلى بيته وليس له أهل أو أقارب . وأغلب ظن جيبان كبير أن بالاش سيودع أصحابه ويقيم عنده مؤقتا .

وقال أستودمان مرة أخرى :

— قل شيئا يا رجل .

ونظر بالاش إلى وجه أستودمان ثم إلى وجوه زملائه الآخرين ، ولم يجد أي إشارة منهم ، ولكن جملة خرجت من فمه :

— أريد أن آخذ عروس معي الآن .

وكان لهذه الجملة وقع الصاعقة على جيبان كبير لأنه لم يكن يتوقعها من بالاش مطلقا ، فقال وهو يضرب صدره :

— أنظر يا بني إلى حالة أمك ثم تكلم .

وهل ترك هذا الالتماس أثرا في قلب بالاش أم لا ؟ وعلى كل فقد نظر إلى وجه أستودمان ، ولم يجد أي إيعاز منه ، ولكنه فهم من ملامح وجهه أنه يشير لضرورة اصطحاب البنت اليوم . وأردف بالاش قائلا :

— لابد أن آخذ معي البنت اليوم .

وبعد قليل بدأ يفكر جديا وأبدى بعض الملاحظات الواضحة وقدم بعض الأسباب المعقولة . وقال :

— ليس لي بيت ولا مسكن وقد اخترت الآن شريكة حياتي لتساهم في إعداد بيت مناسب نعيش فيه عيشة سعيدة ولا أستطيع تماما إحضار الشروط في هذه الأمور . ولا أحب أن أترك زوجتي هنا . وإلا فستتعطل جميع خططي وبرامجي التي وضعتها للمستقبل . ولهذا فلابد أن آخذ البنت معي

واستطاع بالاش أن يحول هذه الأمور كلها في غاية اللباقة والجدارة . وكان ذلك محل استغراب الجميع . وأدرك بالاش أن أصحابه قد أعجبهم رأيه الحاسم ، ولكن لم يفكر أحد في مدى تأثير هذا الكلام على جيبان كبير .

وناشده جيبان كبير باكيا وبمنظره ترق له القلوب :

— يا بني ! إنك أدرى مدى المتاعب التي يتحملها الوالدان

في تربية الطفل ورعايته، ولأنك أيضا ستكون أبا للأطفال في المستقبل. فاسمع كلامي يا بني.

ولم يتحرك بالاي ولم يقل شيئا، ولعله كان يوافق على طلب جنبان كبير إذا وافق عليه أشودهان وغيره، ورق قلب زعيم الساحل، وكان موقفا يرق له كل إنسان، ولا يستبعد أن يكون قد رق له قلب أشودهان ولكنه لم يظهر ذلك. وقال الزعيم بشيء من السخط!

— وكيف ذلك؟ وهو لم يتلق تربية في بيت، ولم ير والديه، ولم ينشأ بين أحضانهما ويرتوي من حبهما. فكيف يعرف ما هو الحب وما هو العطف؟ وهل يعرف هذه الأمور شخص نشأ في الساحل وحيدا وعاش وحيدا

ثم أردف الزعيم بعد قليل مخاطبا جنبان كبير:

— لماذا اخترت يا جنبان كبير شخصا من هذا القبيل زوجا لابنتك؟ وما كان ينبغي لك أن تفعل ذلك.

ولم يوافق جنبان كبير على هذا الكلام ولم يقل: نعم. ولكنه كان يعرف في قرارة نفسه أن هذا الرأي سديد إلى حد ما. ولم ير جنبان كبير في بالاي مثل هذه الأخلاق الجافة من قبل. ورأى جنبان كبير صدق قول الزعيم ولعله قد ساور قلبه حينئذ أنه أخطأ في تزويج بنته لبالاي. وقد ظهر الآن أنه لا يعرف الحب ولم يتلق ذلك من أبويه أو من بيت تربى فيه. فكان ذلك قد بدت آثاره في أول يوم للزواج.

وتقدم أشودهان باقتراح جديد وكأنه قد فهم كل شيء:

— يا بالاي لماذا تسمع هذا كله؟ فالتي ستأتي معك هي البنت. اسأل واعرف رأيها في هذا الموضوع

وارتاح جنبان كبير لهذا الاقتراح. وربما ~~أحس بالاي~~ ~~تحمس~~ بالارتياح أيضا. وقبل الزعيم هذا الرأي وقال:

— هذا صحيح. فلنعرف رأيها. قم يا جنبان كبير وأحضرها

وكانت كرونا تجلس بجوار أمها وقد ابتلت ثيابها بالدموع ودعاها جنبان كبير، وجاءت عند الباب وكانت الدموع

تسيل على خديها . وسألها الزعيم بنفسه :

— يا ابنتي . هل تريدين أن تذهبي مع زوجك وأهلك على هذه الحال أم لا ؟ كما أنه لا يوجد هنا أحد ليقدم كوبا من الماء إلى والدك . وأضاف الزعيم بعد لحظة :

— من العرف أن تذهب العروس مع زوجها عقب الزواج ، ولكن لابد أن تعربي الآن عن رأيك في هذا الأمر .

وماذا تقول كروتما ؟ في الواقع أنها لا تستطيع أن تقول رأيا قاطعا في هذا الأمر . وهي قد ودعت نعلا هذا الساحل دون أن تشعر . وقد استعدت للعودة في أسرع وقت خوفا على مستقبلها ، وقد أتى هذا اليوم ، ولكن أمها مريضة ، وليس في البيت أحد يرعى والدها . واستغرقت في البكاء ولم تنطق بشيء .

وكان الجميع ينتظر جواب كروتما ، وأضاف زعيم الساحل :

— بنت مسكينة . وكيف تقول رأيها في هذا الأمر ! ولكن مهما كانت الأحوال فلابد أن تقول رأيها .

وذهبت كروتما إلى أمها ووضعت وجهها على كتفها وأخذت تبكي بكاء شديدا . وبكت جكي أيضا وسألتها :

— عن أي شيء سألوك يا ابنتي ؟

ولم تحر جوابا . ثم قالت بعد لحظات وهي باكية :

— إنني لا أذهب يا أمي .

وقالت جكي :

— لا تقولي ذلك يا ابنتي ، فلابد أن تذهبي الآن وإن لم تذهبي ...

ولم تستطع جكي أن تكمل كلامها . وهي تعرف جيدا ماذا سيحدث إن لم تذهب معه الآن . وساور الخوف كروتما أيضا من عاقبة عدم ذهابها . وما كان يهم جكي شيء من مرضها أو عدم وجود أحد في بيتها للإشراف عليها وعلى زوجها . ولكن أخوف ما تخافه أن يمس ابنتها أي مكروه .

وقررت جكي أن ترسل بنتها فورا بأي وسيلة وقالت:

— إذهبي إليهم يا بنتي وقولي لهم إنك ستذهبين معهم الآن، وأبعد كل عن جسدها بالقوة، وقالت لها بغضب وهي تعض على نواجذها:

— إذن، أنت لا تريدين أن تفارقي ذلك الشاب المسلم.

واستعادت كرونتا كل قواها وذهبت إلى الباب وقالت:

— إنني مستعدة للذهاب.

وما نقت كرونتا أمها. ثم انبطحت على قدمي جيمبان كيبي تقبلها يجذب تدنيه وتحول إلى الوراء. وبعد قليل قامت كرونتا وباركتها أمها وأوصتها بأن تذكر نصائحها دائما.

ولما استأذنت بالإذن لم يقل جيمبان كيبي شيئا، ولم تظهر على وجهه أمارات الحزن والإرهاق. ولم يبك ولم يتأسف كما فعل من قبل. واحمر وجهه واشتد هياجه.

وتبع كرونتا عشرة أو خمسة عشر رجلا من رفقاء بالرسل
ورفعت جكي رأسها لترى ابنتها تذهب مع عريسها ولكنها لم تتمالك نفسها فسقطت على يدي ثلاثين فحملتها إلى الفراش.

وزمجر جيمبان كيبي وعض على نواجذه:

— إنها لم تعد بنتي من الآن.

ونادى يجامو باكية:

— يا أختي!

وجلست كالي كيبي وثلاثين بجوار جكي، وسارت كرونتا إلى مصيرها المجهول.

فهل نجت من جانب المخاطر؟ ولم يدع لها أحد، ولم تدع لأحد.

ولعل فريكورت كان يدعو لها. وهكذا ارتحلت كرونتا بنت هذا الساحل إلى مكان لم تألفه من قبل. وهل سيرتفع بعدها ذلك الصوت بالغناء في أجواء هذا الساحل؟ وربما يرتفع ولكن ليس هناك أحد ليسمعه.

الفصل الحادي عشر

[illegible] كريمة [illegible] بالإعجاب [illegible] [illegible] تماماً [illegible] [illegible] الذين [illegible] [illegible] لون رمال [illegible] تختلف عن لون رمال الشاطئ [illegible] الذهبية [illegible] العروس [illegible] فلم تكن تعرف طريقة [illegible] [illegible] منظر البرتقال [illegible] وكانت ممتلئة [illegible] وعرفت كريمة أنه لا بد أن تكون [illegible] طبيعية [illegible] [illegible] في [illegible] إلى البحر [illegible] السرير [illegible] كريمة رائحة البحر [illegible] [illegible] أجمل [illegible] ولم يكن فيه [illegible] الأولى إلا [illegible] من [illegible] [illegible] إلى أشياء كثيرة [illegible] [illegible] الزوايا [illegible] ولم يكن [illegible] قبل الزواج [illegible] [illegible] المستقبل [illegible] كريمة.

[illegible] كريمة الأمر، وأخذت [illegible] من الجميل المفضل [illegible] الأولى [illegible] امرأة عجوز من الجارات:

— لقد أصبحت [illegible] الآن [illegible] يا ابنتي ولا بد أن تدبري بنفسك كل شيء [illegible] كريمة [illegible] [illegible] هو الذي [illegible] كل فتاة [illegible] الذي [illegible]؟ وأحست أن الجميع ينظرون إليها [illegible] أن [illegible] سرها؟!

وتحدثت نساء البلدة عن العروس الجديدة. [illegible] الكثيرات أن [illegible] بيت [illegible] ويملك [illegible] [illegible] وهل يتزوج [illegible] هذه الكاملة ابنته [illegible] هل له ولد أو بنت؟

وقالت إحداهن :

— ربما لا يكون لوالدها قارب ولا شبكة .

وهنا رفعت كوشاكي لأن زوجها كان قد ذهب إلى ساحل يوكوهاما للصيد وعلم أن الجيران كثيرا ما رأوا شبكة وهالا بيراوه قالت ولوا للبحر :

— فلماذا تزوج ابنة هذا الرجل ؟

وقالت كوشاكي :

— وما العيب في ذلك ؟

وأبدت كوكا رأيا آخر :

— لا بد أن في البنت عيبا .

وكانت كوكا تتكلم وكأنها تعرف سرا لا يعرفه غيرها . ثم هدأت الرغبة الملحة على بعض النسوة لمعرفة هذا السر من الفتاة وقصة ظهورها . وقالت إحداهن :

— لعل البنت قد نشأت هنا وأرادوا أن يبعدوها عن الساحل بأية وسيلة .

واندهشت المرأة العجوز وقالت :

— وهل جاءت بالذات لتجلب المصائب إلى ساحلنا ؟

ونهضت العجوز عندما بدا عليها استغرابها .

وألحت السيدات الحاضرات على كوكا أن تكمل كلامها ، ولكن كوكا قد أعدت الأرز وانتهت من الطبخ وبذلك تكون قد أتمت أعمالها المنزلية تقريبا . ولا يحتاج منزلها المتواضع إلى تنظيم أو تنظيف . وتكثر الزائرات ما زلن يأتين إليه لمشاهدة العروس الجديدة . ويبدو أنهن تبادلن معها كل الإشارات لحديث .

وانتشر في الساحل كله نبأ مرض جكو . وهل يجوز بعد أن يترك والدها وهو يلازم الفراش ؟ وهل الزوج أولى لها من الأم ؟ وأصبح هذا الخبر باعثا على كثرة استفهام الناس عن حقيقة أسرة كوكا .

ولما جاء وقت السفر أصبحت كوكا موضوع الحديث في بيوت ذلك الساحل كله ، وانطلقت الألسن حول أسرارها ، فلعلها كانت بنتا فاسدة ، وقرر أهلها أن يبعدوها عن المجتمع بأي وسيلة . وإذا كان هذا صحيحا فإن

لأمر خطير للغاية .
وتذكرت كريمة أهلها ولا تدري عنهم شيئا . وتساءلت في
إذا كان من المناسب أن تترك أهلها في تلك
الحال ومن كان والدها نائبا . ووددت لو أرسلت لهم كلمات
[illegible] الأخيرة : إنها لم تعد تبدي من الآن ،
وكانت كريمة تعرف أخلاق والدها فربما [illegible] لا يسأل
أبدا . وأحست أن أمرها كانت ما لجهة . وهل
[illegible] كهذا الفعل من قبل ؟ لعل أهل [illegible]
[illegible] على فعلها [illegible] . ولكن والدها قد [illegible] و[illegible]
[illegible] لن يأذن ورضا لها . [illegible] المناسب
[illegible] أن المسكينة وليس [illegible] أحد للعناية [illegible]
[illegible] الأب [illegible] بعد أن [illegible] [illegible]
[illegible] أذن . [illegible] قد عانت كثيرا من أجل كريمة
[illegible] فعاشت [illegible] يشاكل أكثر من أجلها ،
وهل هذا [illegible] كل أم ؟
أما الأب فلن يصفح عنها أبدا .
وفكرت كريمة كثيرا في مستقبلها . وكانت [illegible]
[illegible] . وكان والدها إذا دعا [illegible] كثيرا تعرف [illegible]
[illegible] حياتها مستقرة وتعاودها [illegible] ولم تعرف
[illegible] والحوادث من قبل ، وتركت هذا كله وراءها
وانطلقت إلى حياة جديدة وعالم جديد لا تدري شيئا عنها
وهل تجد طعاما وكساء ؟ وهل الزمن تذوق [illegible] الحب
العميق . وهل يمكن لها أن تمسك بحبل قلبها ؟ وهل
ستكون لها حرية كاملة في حياتها وتصرفاتها ؟ وكل هذه
أسئلة تشغل بالها ولا تدري ماذا قد أعد لها المستقبل .
وكانت بنتا محبوبة عند الله ، وهل تجد هذا الحب عند
الرجل الذي تركت معه في بيته ؟ وهل تعرف شيئا
عن طبيعته وأخلاقه . لقد كانت ذلك سؤالا له مغزى عميق
وماذا ستكون طبيعة قلب ذلك الإنسان الذي
أصر على أخذها معه في تلك الفترة الحرجة التي
كانت تعاني فيها مرضا شديدا ؟ وإذا قال عندئذ
إنه لا أريد أن آخذ البنت معي الآن [illegible]

بكل سهولة، وما هي الحيلة لكسب حبه ورضاه؟ وكيف
تعيش معيشة هنيئة مرضية؟ وربما ستصدر منه
تصرفات جافة في المستقبل فكيف تواجهها وتتغلب عليها؟
وهل هناك أحد تلوذ به غيره؟ أن مدار النجاح
في حياتها هو حبه ورضاه، وهي لا تدري شيئا عما
يرضيه أو يسخطه، كما لا تدري شيئا عن طبيعة أخلاقه
وعقدت كريمة عزمها على أن تتحمل كل شيء في حياتها
وقررت أن تكون إحدى نساء الساحل اللاتي
تقضين حياتهن في كد وتعب وكفاح مرير في
سبيل حياتهن، وهي لا تريد أية امتيازات وكل
ما تتمناه أن تقضي حياتها كامرأة عادية. وهل
ستتحقق أمنيتها هذه أم لا؟ وكان صوتا مجهولا
يتردد داخل نفسها يقول لها إنها أمنية عسيرة المنال، وكانت
هذه الأمنية تخالج قلبها منذ زمن طويل.
وصارت حياتها فعلا مسرحا لأمور لم تحدث لبنات جنسها
وربما يتسع نطاق هذه الحوادث أكثر من ذلك!
وأصبحت صور هذه الأخيلة ماثلة أمام ناظريها
وجارحة عقلها. وكانت تتمنى من أعماق قلبها أن
يحظى بالأمن؟ ولكن هل ستتحقق أمنيتها هذه أم أنها
تذهب مع الرياح؟ إن هذه الأمنية هي التي تتمناها
كل الفتيات. وهل يعرف الحب على حقيقته كما عرفته
كريمة وذاقت آلامه، ولعل هذا هو السبب الحقيقي
للمخاوف التي تساور قلبها دائما على عدم قدرتها لنيل
حب زوجها.
وتسرب إلى ذهنها شك في أن شيبا دل بالأمس الحب
لها. وإذن لماذا تركت بلدها وهجرت بيت والديها
وهل كان ذلك تجربة خطيرة؟ ولو بقيت هناك
لكانت تجربة أخطر.
وعاد بالأمس من البحر بعد الظهر. وأحضرت له
الطعام بكل عناية وإكرام، ولأول مرة كانت تقدم
له الطعام. ولم تكن تعرف إذا كان يعجبه طبخها أم لا
وهل يكون شهيا ومناسبا لمزاجه؟

هنالك

وكانت هذه محاولة تساور قلبها في تلك اللحظة ،
وبدأ بالاش في تناول الطعام . وقد بدا عليه السرور
والانبساط ، فارتاح ذهنها قليلا . وقالت له من
وراء باب المطبخ : إذا كانت تريد أن تهيء له
طعاما آخر ، ولكن لم يكن عندنا الحلة ، كما أننا نحتاج إلى
غربال لغربلة الأرز لأنه ملىء بالحصى ، كما أن الصلصة
ليست لذيذة . واستعرت المراجل من جارتنا
ونحن نحتاج إلى هذه الأدوات المنزلية كلها ، وقال بالاش :
— ولكن لا يمكن شراؤها دفعة واحدة .
— لابد أن نشتريها كلها .
— لا . بل نشتريها شيئا فشيئا .
وواصل أكل الطعام الذي أعدته إليه وهو مسرور
وكان الأكل شهيا وممتعا ، وكانت تلح عليه في أن
يتناول مزيدا من اللقمات حتى شبع تماما .
وقال لها حينما قدمت إليه مزيدا من الأرز في الطبق :
— هذا كثير لا أستطيع أن آكله كله .
فقالت له :
— لا بأس . وما يتبقى في الطبق سآكله .
وسألته بعد قليل :
— أظن أن الطعام لم يكن لذيذا وشهيا كما يجب .
— بالعكس . فقد كان الأكل لذيذا جدا وأكلت كثيرا .
— هل ما أكلته كثير ؟! يا للعجب .
— لم آكل أبدا مثل ذلك من قبل .
وقالت كروئنا وعلى شفتيها ابتسامة الزوجة :
— من الآن ستأكل أكثر فأكثر وإلا فلن
أتركك حتى تأكل المزيد .
وضحك بالاش من أعماقه بكل ابتهاج وسرور
واطمأن الآن القلب الذي احترق كثيرا من الآلام
العديدة . فقد بدا بالاش رجلا لطيفا سمح الخلق .
وكانت وراء نظرته السارة ملامح الود والإخلاص .
وأكلت كروئنا الطعام في نفس الطبق الذي أكل فيه بالاش
وبعد أن غسل بالاش يده أشعل دخان "بيري"(1)

ودخل المطبخ وجلس بجوار كروشا وقال لها :
— إنني أحب لك الأرز المطبوخ .
ولم تقل كروشا شيئاً . وكانت مشاعرها كلها تتوق إلى عالم ليوجه السرور . وكان نسيم الحب يحرك هذه الزهرة المتفتحة . وقال لها شريك حياتها وقت الإفطار :
— يالسماء ! ماهذا ؟ أنت لم تأكلي شيئاً .
— إنني شبعت .
ونظر إلى الحلة وسأل :
— أليس فيها أرز ؟
— الأرز موجود ، ولكني شبعت .
— لا . لا يكفي هذا . كلي أيضاً
ووضع يالاوش قليلاً من الأرز في طبق كروشا . ودفعت كروشا بالقوة . ولكنها أكلت ما وضعه في الطبق بيده .
ودخلت كروشا في حياة زوجية لا كعشيقة أو عروس عادية ولكن كزوجة بنت ناضجة . وصار يالاوش أيضاً رب البيت .
وبعد أن فرغت كروشا من غسل الأواني وتنظيف المطبخ سألها يالاوش :
— قولي . ماهي اللوازم التي نحتاج إلى شرائها فوراً .
— وهل عندنا المال الذي يكفي لشراء ما نحتاج إليه ؟
وأخرج يالاوش الكيس الملعون في ذيل إزاره وعد مافيه من النقود ، وكانت فيه أربع روبيات .
وأخبرها عن مكاسب ومصروفات ذلك اليوم ، ولم يمكن التحصيل على مايرام . وقد سدد بعض القروض التي أخذها لأجل الزواج .
وسألته كروشا :
— وكيف التقسيم المعتاد عندكم في هذا الساحل ؟
— بمعدل خمسين في المائة .
وأضافت كروشا :
— لابد أن نطلب أن يكون التقسيم على أساس النظام المتبع في الساحل المجاور ، وقال يالاوش :
— هذه هي العادة المتبعة عندنا .

وحكت له كروما قصة جبان كبير حيث أنه جمع جميع عمال القوارب وطالبوا بجعل معدل التقسيم ستين في المائة ، فنجوا من ذلك .

وقال يالان :

— لم يعرف أحد من هذا الجيل شيئاً مثله .

وفي المرة أخرى عن اللوازم التي تحتاج إليها الآن في المنزل . وقالت كروما :

— هل ستذهب الآن لتشتريها ؟

— نعم

— إسترح قليلاً ولا تخرج قبل أن تستريح من تعب العمل المضني في البحر . حين أن يميل النهار سوف تستطيع لشراء الأواني فوراً . فرفّه عن نفسك الآن قليلاً ثم اخرج بعد أن تخف حدة حرارة الشمس . فوافق يالان على كلامها ، وبسط حصيراً على الأرض واضطجع عليه ثم نادى :

— كروما

وربما أنها كانت تنتظر هذا النداء ، ثم أردف :

— تعالي هنا !

ودخلت إلى الغرفة في خجل مع ابتسام ، وربما خطر ببالها شعور بالاستقرار ، وستصبح بالفعل الآن زوجة ودية صالحة . وضمها يالان إليه وأجلسها بين ذراعيه المفتولين ، واستسلمت له تاركة جسدها راضية مطيعة . وأغمضت جفنيها وراحت في غفوة عاطفية أشبه ما تكون بسنة من النوم الحالم . فإنها قد أحبت رجلاً واحداً ، ولكنها لم تلتق بجسدها مع رجل من قبل وربما كانت تتوق إلى ذلك ، ولكنها لم تتعد الحدود التي أباحتها الآونة ، من غير أن تخرق شريعة الآداب والأخلاق ، فهي قد أصبحت اليوم متزوجة وضمها رجل إلى صدره بحق وبسلطة ، وخضعت له بطاعة ورضى . وهي قد أحبت رجلاً من قبل ولكنه لم يمس جسدها ولم تستسلم لأحد من قبل . وقد أصبحت الآن ملكاً ليالان وحده ، وقد صانت نفسها وحفظت عفافها لهذا الرجل المنتظر

وستحافظ عليها كذلك مدى حياتها.

ولم تدر كم الوقت الذي قضته في هذه الفترة التي أمضتها بين عواطف الشباب الثائرة والتي انتصرت على القلب وتخطت فيها الحواجز كلها. ودخلا في مملكة الأحلام وحاما في روضة الحب والسعادة والهناء.

ولما عادت إلى عالم اليقظة تملكها الخجل ممتزجا بشيء من الخوف مما بدر منها من تصرفات وحركات لم تعهدها من قبل. وهل كانت ذلك كله إلا نتيجة مغامرة؟ وماذا تكون انطباعات زوجها عنها. وخاصة من أن تكون أبرزتها غانية متطرفة، وهي بالأمس ما تزال تنفعل وتخجل من طيات عواطفها. وقد صار زوجها لها وصارت في عصمته. ولكن هل كان من المناسب أن تتعامل في أول يوم من زواجها بهذه الطريقة؟ وماذا تكون الفكرة التي أخذها عنها من جراء تصرفاتها الطائشة؟

وكانت الفتاة المذكورة تتجول فكرها، فكيف انتهت الآن إلى هذا كله بدون تفكير؟ وكانت في كل لحظة ينبعث في داخلها صوت شديد من أن يخطر بباله سؤال يهدد حياتها الزوجية كلها. وخيل إليها فورا صورة ذلك السؤال الخطير!

— إنك تعرفين هذا كله من قبل؟

ويمكنها أن تحلف أنها لم تعرف شيئا من هذا من قبل. ولكن هل يصدق قولها؟ وما هي حيلتها في جعله يصدق قولها؟ وإن لم يصدق، فستكون ذلك ضربة قاضية لحياتها الزوجية.

وأرادت أن تقول له بادرة في نفسها قبل أن يوجه لها السؤال الذي تخيلته، ولكنها لم تجد في ذهنها صورة واضحة لما ستقوله له في هذا الشأن.

وهل هذا هو شأن كل فتاة؟ وهل بمجرد أن تصير أهلا لزوجها لا يزول عنها كل الخجل أمامه؟

وفكرت في مصدر هذه العواطف والمشاعر، ولم تستطع أن تصدق فعلا أنها فتاة عادية، وكانت قد سمعت من نساء الساحل عن قصص عجائز غير عاديات عشن فيه في الأيام الغابرة،

وحالها كانت تسمع من داخلها صوتا يقول : أنت فتاة
لأنك تحب رجلا آخر يا كروتا !
أي أنها كانت تشعر بالخجل وبالحيرة عندما تتذكره .
أو بعبارة أخرى أن حب الرجال لم يكن غريبا عليها
فلما طرحت برجل تخلت عن كل التقاليد والقيود واندفعت
إلى رغباتها حرة مخيلة .
وهل هزت مشاعرها تلك العلاقة الغرامية من قبل
أم أنها وليدة الظروف الجديدة ؟
ولم يحدث شيء مما كانت تخافه كروتا . فلم يسألها
يالامن عن شيء .
وحان وقت المساء وأراد الخروج من البيت وسألها
عن أشياء من اللوازم التي تريدها للبيت . وقالت :
— إشتر ما تستطيعه في حدود المبلغ الموجود معك
ثم بينت له الأشياء المطلوبة وكانت قائمة طويلة فلا
ولما انفردت كروتا في البيت خطر فريكور على ذهنها .
ماذا يكون مصيره الآن ؟ وكيف حاله ؟
ولم يسدد الدين له بعد . وأخيرا متزوجة وربما أنه
لن يحصل على مبلغه أبدا وهكذا سيفلس في تجارته أيضا
ولم تستطع أن تمحو ذكريات فريكور من قلبها .
ولكن أليس من الإثم أن تتذكر رجلا أجنبيا بعد
أن صارت زوجة لرجل آخر .
ولكن كانت تسمع صوتا يقول لها من تارة لأخرى : إنك
لا تستطيعين أن تنسى فريكور يا كروتا ! وتبدو عن
أضغاث أحلام تمر من الحياة . ولعل فريكور
ما زال يشق عنان السماء بطائرته .
ولم يطمئن قلبها بعد . وربما لا تقدر لها طمأنينة القلب
نهائيا .
وعاد يالامن ومعه الحلل والقصع والمغارف ، ويحمل
منه الناس في الطريق ، ولم تعجب كروتا أشكال الحلل
والقطع وألوانها وأحجامها . وأبدت له خبرتها في الأمور
المنزلية كزوجة مهتمة بلوازم المطبخ . ووافقها يالامن وقال :
— وهل اشتريت الحلل والقصع من قبل ؟

وجعلت كروتما . ولم ينم الاثنان في تلك الليلة
وأخذا أطراف الحديث في موضوعات شتى [illegible]
وسألته في أثناء الكلام :
— لماذا أخذتني معك بينما كانت أمي مغشيا عليها؟
وقال [illegible] :
— ليس من الرجولة أن يترك الرجل زوجته
في بيتها بعد الزواج . وليس هذا مناسب .
وفهمت من كلامه أن تركي في بيت أبيها أمر
لا يليق به .
وبين لها [illegible] الذي كان [illegible]
وكلام أصحابه موافقين على تركي [illegible]
[illegible] ثم قال متحفظا :
— هل كنت راغبة في المجيء معي ؟
— نعم كنت راغبة .
وظلت [illegible] التي كانت وراء تلك
الرغبة في طي الكتمان .
وأرادت كروتما أن تقول له شيئا عن أبيها
— وقد فقدت أبي . ولم يعتبر [illegible] منذ ذلك
الحين بيتا لي ، [illegible] .
ورد [illegible] بدون أدنى مبالاة :
— إذن اعتبري [illegible]
أنه ليس لك أب .
وهذا هو الوعد [illegible] الذي جعلت عليه الاستقرار
[illegible] . [illegible] أنه إذا لم يكن لي
أب [illegible] موجود ؟ [illegible]
— إن أباك رجل جشع وخشن الطباع
[illegible] فإنه قد أطلق [illegible] القول
[illegible] شعور [illegible] هذه الكلمة [illegible] كرامته قد أهدرت
[illegible] فقال بحماس !
— ولو أنني كنت وحيدا وليس لي أهل ولا أقرباء
أولست من أبناء البحر؟ ولي حق مشترك في ثروات
هذا البحر الواسع . وما هو العيب الذي يعدونه فيّ ؟

قال : ،
ص عمر
ن بحيى لعله
سلعا قتيبة له الى ابن طه
، ، ٥ العالم وتعالى ،
، ، بيعلى
لحاما دمر
ويغلى
سع العلم

لأنا أعيش كما يعيش الصابرون الآخرون: بعيد
أنني أفوقهم في أمور أخرى وهو أنني أجيد مهنتي جيدا
وأقدر على توجيه المركب ضد أي تيار أو عاصفة
وأعرف كيف أتفادى أي دوامة. ولا ينبغي لأحد
أن يعيرني ويتعب نفسه للعثور على نقائصي.

وسكتت كروتما وتمنت أنها لم تطرق هذا الموضوع
وغضب بالامر وهو لا يكن أي احترام لوالدها
ولا يطلق عليه لقب ساحلي، بل وإذا اقتضت الضرورة
فهو لا يطيع لقبه ساحلي أبدا. ثم سألها:
— لماذا أخضع لأي إنسان يا بنيتي؟ فلا داعي
لذلك مطلقا.

ولكن كروتما أرادت أن تفرج عن شيء:
— إن أمي امرأة طيبة.

ولم يرد عليها ولكن أفكاره تحولت إلى اتجاه آخر:
— أقول لك بصراحة: إنني لم أكن أذهب
إلى المدرسة إلا إذا أمرني أبوك بنفسه.
وقد عقد زواجي أيضا على أمك كما عقد أبوها
من قبل زواجه على شاكلتي.

وقالت كروتما بصراحة: أنني قد فقدت أباها وأمها
وليس لي إلا زوجي. وعلي أن أكون زوجة مطيعة وأن
أتحمل المسؤولية. وسمع منها بالأمس كل شيء: أنها ستكون
وفية له ومطيعة لأوامره ومستعدة لأن تتحمل كل المتاعب
ولكنها تتمنى أن يحبها ويشفق عليها.

ولم يقل لها بصراحة أنه هو أيضا يحب أن تحبه من قلبها
وربما لم يرد ويدافع بذلك كما لم ترد هي ويدافعه كذلك.
ألم ليس من الواجب عليها أن تقول له إنها تحبه من
أعماق قلبها.. وما كان ينبغي لها أن تنتظر منه أن يطلب
منها ذلك صراحة. وهل هذا يدل على أنها لا تحبه
وإذا طلب منها بالأمس ذلك لردت فورا
بأنها تحبه حبا جما.

ومرت الحادثات في الليلة الأولى بسلام ودون صدام
وتوصلا إلى تفاهم عام. وقررا بناء بيت لهما.

وقالت كريمتا بملء شفتيها ابتسامة :
— ليس لي أنا أيضاً أهل ولا أصدقاء، ولا أملك بيتاً ولا مسكناً .
ولما جاء وقت الفجر علت الأصوات والضوضاء من الساحل . وجاء موعد ذهاب يالان إلى البحر . وكانت كريمتا تعرف بعض العادات اليومية السائدة في مجتمع الصيادين ، وقد سمعت عنها من النساء الجارات قبل الزواج .
ولما خرج يالان من البيت سألته بحيرة :
— هل ستذهب مباشرة إلى الشاطئ والقارب؟
ولم يفهم يالان مرادها، وأجاب :
— نعم . ماذا تريدين ؟
ولم تدر كريمتا كيف تفهمه مقصدها ، ولكنها قالت :
— لا يجوز لرجل أن يخرج من البيت هكذا !
— إذن كيف أخرج ؟
— لابد أن يكون الذاهب إلى البحر طاهراً ونظيفاً
ووقف يالان حائراً وسأل :
— ماذا تقولين ؟
وقالت بخجل :
— اغتسل ثم اذهب ،
واغتسل يالان واغتسلت معه كريمتا أيضاً .
ولما وصل يالان إلى الساحل سأله الرئيس نفس السؤال :
— هل اغتسلت يا يالان ؟

الفصل الثاني عشر

لقد كانت كريمتا فتاة تعلمت كثيرا من دروس الحياة من أبويها، فهي تعرف كيف تدبر البيت وكيف تنظفه. وكان أبوها جبانا كبيرا مثالا حيا في تدبير المنزل. وقد كسب المال وجمعه ولم يكن ينفق الأموال إلا في الأشياء الضرورية ولا يسرف أبدا. وقد رأت بعينها أنه قد جمع المال بكده وعرق جبينه. وقد حافظ عليه بنظام وحماية ثم اشترى القارب والشبكة حتى أصبح الآن صاحب دخل مرموق.

وكانت حينما تنفرد بنفسها تفكر في بيتها وفيه لا عن وعظات لمستقبل حياتها.

وذهب بالان إلى البحر بعد أن تطهر وأفطر وكانت في انتظار عودته بتلهف، وأعدت له في ذلك اليوم نوعين من الطعام. وقد احتل بالان مكانة أكبر في قلبها الآن. وكانت حصيلة السردين وفيرة في البحر لشكل لم يسبق له مثيل في الأيام الأخيرة. وحصل بالان حوالي ثلاثين روبية من حصته.

وأثناء نشر الشباك في الشاطئ قال "أيابان" لرفقائه:

— ما رأيكم أيها الزملاء في أن نذهب اليوم إلى "آريباد" ونتغدى هناك؟

ولم يعارض أحد في هذه الفكرة. وكان لدى الجميع مبالغ كافية. وقد أنعم عليهم البحر الأم فما هو المانع في أن يتمتعوا في ذلك اليوم؟

ولم يقل بالان شيئا، وسأل "ويلوتا كنجي":

— لماذا لا تقول شيئا يا بالان؟

وسخر منه "تندن كنجي":

— ماذا تقولون؟ فإن العروس ستعد له الطعام والطبيخ اللذيذين في البيت. فكيف يأكل من الحانوت وهو يعلم أنه سيشعر بمتعة كبرى من الأكل معها.

وتساءل "كوشا أيايان" عن الحرج من ذلك، فهو شعور عام لدى الشباب دائماً، وكلهم متزوجون وأصحاب أولاد. وقال "ويلاديود هارن" على ضوء تجارب المتزوجين العامة!
— إن الطعام لذيذ في بيت العروس لمدة أربعة أيام، ثم لا يكون في البيت طعام ولا يجد له لذة.
وعندما فرغ الجميع من نشر الشال والغسل بدأ "ويلوتا" كلامه:
— هل تأتي معنا يا بالاس؟
ورد بالاس:
— أي معلم، ولكنه لم يرتح لذلك كثيراً.
وتوجه الجميع إلى الشاطئ وركبوا السيارة إلى أريباد. ولما طال الانتظار نزلت كروتا من البيت وذهبت إلى الشاطئ، فلم تجد فيه أحداً، وكانت القوارب مركونة والشباك منشورة في رماله.
وفي هذه اللحظة جاءت إلى هناك "بارو" زوجة آندي، وسألت كروتا عن أحوالها!
— لماذا تقفين هنا يا عروس، تنتظرين إلى البحر؟
وقالت كروتا بشيء من الخجل!
— لا شيء!
وفهمت بارو حقيقة الأمر فقالت!
— لعلك تنتظرين زوجك، لقد ذهبوا جميعاً إلى أريباد، فعندهم اليوم مكاسب كافية يا بنت!
وكانت هذه هي العادة الجارية في ساحل كروتا أيضاً، ولكنهم كانوا يذهبون إلى "آلبي"، وهؤلاء يذهبون إلى أريباد، وهذا هو الفرق، ولكنها لم تكن تظن أن بالاس سيذهب في ذلك اليوم أيضاً!
واستمر الكلام بين كروتا وبارو بعض الوقت، وشغلت ذهن كروتا أفكار كثيرة، فلا بد أن يترك بالاس هذه العادات، فهو لماذا وفر المبلغ الذي سيصرفه في أريباد يستطيع أن يدبر أشياء كثيرة في البيت.
وبينما كانت هذه الأفكار تخالج قلب كروتا قالت بارو:

— وعندما يعود اليوم من أريباد سيكون معه
إزار جديد رائع للعروس.
وردت كروتما:
— ولكن ليس في بيتنا كوب لشرب الشاي
وكل ما هناك قصعتان فقط.
وقالت بارو العجوز:
— ومن أي بيت يوجد هذا كله يا بنت؟ لا تفكري
في هذه الأشياء إلا في موسم الجمبري. ثم يمكن بيعها
عندما تحدث المجاعة في أيام القحط في البحر.
ورأت كروتما كلبا يحوم حول بيتها ليدخل إلى المطبخ
وهرولت عائدة إلى البيت.
وطال انتظارها ليالاني، ولم يعد إلا بعد
أن مضت أربع أو خمس ساعات بعد غروب الشمس
وفي يده كيس صغير.
وفكرت كروتما في نفسها كما إذا كانت تتظاهر أمامه
بالخصام والزعل ولا تتكلم معه بشيء. ولكن هل يعجبه
هذا أم لا؟ وتظاهرت بابتسامة جديدة وقالت:
— الآن فقط عادت القوارب من البحر؟
وقال بالاني بدون أن يفهم مغزى هذا السؤال:
— لا. أنا طري هنا.
وأعطاها الكيس الذي في يده وسألها أشارتيه:
— هل الرداء هو الذي يحصله الصيادون
هنا من طرح الشباك في البحر؟
وضحك الزوجان. وكان في الكيس إزار خفيف جميل
سرت به كروتما. وسأل الأصحاب عن ثمنه في السوق أولا
فقد اشتروا بثمنه أزرا أخذ كل من بيلوبالكم
ويلايودهان، وكوشورامان، وأيايان، وبالان
واحدا منها.
وقد كان طفل ويلايودهان مريضا، ولم يكن في بيته
شيء لشراء الدواء وذهبت زوجته إلى بيت بارو
لتقترض منها بعض النقود. وكذلك كان الحال في
بيت أيايان. ولكن الأزر الجديدة وصلت إلى هذه البيوت كلها.

وسألته كروتما بابتسام :

- لماذا اشتريت لي هذا الإزار الجديد وليس في البيت كوب نشرب فيه الماء ؟

ولعله لم يفهم معنى هذا السؤال في غمرة الابتسامة العريضة التي أهدتها إليه . وقهقه وقال :

- هل تعرفين لماذا اشتريت هذا الإزار ؟

- لماذا ؟

- لكي نذهب إلى مهرجان "منار شالي" إلبسيه الآن أنظر إليك .

ولبست كروتما الإزار الجديد . ونظر إليها بالاني بعين مليئة بالمشاعر وعواطف الحب . واستقرت نظرته على نهديها . ثم تحولت إلى الوراء فاستقرت هذه النظرة الشاخصة على مآكمها الملفوفة في إزار واحد .

وتقدم بالاني نحوها خطوتين أو ثلاث فقالت :

- لكن البدن كله عرق وتراب .

وهل أخطأ في شراء الإزار حيث أنه لا يوجد في البيت كوب لشرب الماء ؟ وكانت أمنيته أن يرى زوجته تلبس ملابس جديدة .

وهل الحياة كلها جد ونظام ؟ وهل هي عبارة عن مجرد كسب المال وتدبير لوازم البيت ؟ أليست فيها أمور عاطفية ومسرات قلبية ؟

ولم تر كروتما هذه العادة من قبل في بيت أبيها . وربما ظنت أن هذا كله من الإسراف . ولكنها تفرح لفرح زوجها حينما يراها في الملابس الجديدة .

وشعرت كأنها نسيت أن تعاتبه على شراء هذا الإزار الآن . والتحم الجسمان في معانقة عنيفة إلتحاما يهز مشاعر القلب . ويحرك عواطف النفس .

واستمرا في العناق وقتا طويلا بدون أن يفكرا في الافتراق . أو أنهما نسيا نفسيهما . ولم تفترق أيديهما بل إنها لا تريد ذلك .

وربما خيل إلى كروتما أن الإزار الجديد من لوازم الحياة ، وأنها لا تكمل بالأواني والقوارب والشباك ، بل لابد

من أن ينضم إليه الإزار الجميل أيضا.
ولما كان الإثنان يتناولان طعام العشاء في إناء واحد، لاحظ بالان أن البشرة لفم زوجته كرونما وأن عينيها تنضحان فرحا. وأخذ لقمة بيده ووضعها في فمها فقالت:
— ياللعجب! إن مثل هذه اللقمة الكبيرة لا يسعها فمي!
وكانت على حق. فإنها كانت لقمة تدعم يد العامل الذي يقاوم البحر ليلا ونهارا ويواجه الأمواج العاتية والأعاصير الهوجاء. وحينئذ قدم إليها لقمة أصغر كما أنها قد وضعت بيدها لقمة في فمه. وقال حينئذ:
— إن هذه اللقمة لا تكفي لتصل حتى خلال الأسنان!
وضحكا كثيرا أثناء العشاء. ثم قالت كرونما:
— أريد بعد الإزار بلوزة من الحرير ورداء غاليا!
وبعد أن أفاقا من عالم الأحلام وعواطف الشباب والحب، دخلت كرونما عالمها العادي، وبدأت تفكر في شئون الحياة اليومية. ولا كان الحق أن تعرف كم روبية حصل عليها بالان في ذلك اليوم، وأرادت أن تعرف المصاريف التي أنفقها فيه فقالت:
— كم حصلت اليوم من صاحب القارب؟
— حوالي ثلاثين روبية. ثم أردف بغير تفكير:
— هناك كيس من النقود فخذيه.
وفتحت كرونما الكيس فإذا به روبيتان فقط. وقد أنفق ثمانية وعشرين. ولماذا كان قد أنفق هذا المبلغ في شئون البيت بتدبير لكان يكفي لعدة أشياء.
ولكنها تشعر بخجل من أن تقول ذلك صراحة.
وجلست إلى جوار زوجها مستندة إلى كتفه وقالت:
— هل يكفينا بيت ذو غرفة واحدة للنوم والطبخ؟
وقال بالان:
— لا يكفي. وإننا نحتاج إلى أشياء كثيرة.
وكانت كرونما تعرف ضخامة هذه الأشياء. فقالت في نفسها ضاحكة: إنه سيتحول بالان الذي ليس له أصل

ولابنت إلى أحد الصيادين المرموقين. وعقدت عزمها على تحسين مركزه. ووجدت في نفسها شجاعة كافية لأن تصرح له بذلك، وعرفت مدى ثقته بها، وقد كان يسر بالأمل أن تحاول زوجته تحسين مركزه الإجتماعي والمادي وعليه أن يسير حسب نظام خاص تخططه له فقالت بابتسام:
- لا تنفق النقود هكذا، ثم أضافت واضعة كفيها على خديه:
- إني لن أسمح بذلك.
- ألا أشرب الشاي وآكل الطعام؟
وهو تعد له هذا كله. ثم وجهت إليه سؤالا هاما:
- فماذا نفعل عندما يكون لنا أولاد؟
ولم يفهم معنى كلامها، وماذا يفعل هو عندما يكون له أولاد، فقال:
- هم يكبرون بأنفسهم.
وبينت له طريقة حياة منظمة، كما تبين للطفل لا يعرف شيئا عن الحياة. وأليس من هدف الحياة لكل صياد أن يكون له قارب وشبكة؟ ولا يستثنى بالأمس من هذه القاعدة العامة. وأقنعته بذلك. وسألها:
- إذا كان هدف كل صياد في هذا الساحل تحقيق ذلك في حياته لكان أهالي الساحل كلهم أثرياء. فلماذا إذن لا يستهدفون ذلك؟
وجاء جوابها في صورة سؤال آخر:
- وما هو الحرج إذا استهدفنا تحقيق هذه الأمنية؟
وذكر حينئذ فلسفة شائعة يقولها كل صياد: إن الصياد يكسب ماله من إزهاق أرواح ملايين الحيوانات فلا يستطيع أن يدخره وهو يصيد غدرا هذه الأسماك التي تعيش في الماء في حرية وسعادة ليكسب المال. وأن هذه الملايين تغمض عيونها وتلفظ أنفاس الموت في شباكه الغادرة.
وأن الذي يرى هذه الحالة يوميا لا يفكر في مثل هذه الأمور. وأن المال الذي يجمع على حساب هذه الأرواح ليس جديرا للإدخار ولا يقدر هو عليه. وإلا لماذا يعاني

أهالي الساحل المجاعة والقحط ؟
وليست هذه الفلسفة مخترعة بواسطة يالاني ، ولكنها فلسفة متداولة بين الصيادين منذ مئات القرون وقد سمعتها كروتما أيضا من قبل . ولكن أباها جنبان كثيرا تكلم ضد هذه الخرافة . ولم تقتنع بآراء أبيها في ذلك الوقت ، وبدأ لهذه الآراء اليوم وزن وقيمة . ولكنها لم تعرض تلك الآراء . وليست لديها همة كافية للخوض في مناقشة جدية .

وقال يالاني :

— لماذا يدخر الصياد . وهذا البحر واسع ممتد الثروة وفيه كل شيء ؟ ولماذا لم ندخر فيبارك البحر الأم ويدر بركاته .

وسألته كروتما :

— وكيف يعاني الصيادون المجاعة عندما تقل حصيلة الصيد ؟

— لابد أن يعانوها أيضا .

وتذكرت كروتما قصة أبيها وأمها — قصة شرائهما القارب والشبكة . وشعرت فورا باحتراق شديد في قلبها . وسرت آثاره في جميع أجزاء جسمها . وكيف أنهما اشتريا القارب والشبكة . وأن فريكوتي المسكين قد أفلس في هذا السبيل .

وسأل يالاني :

— هل تتطلعين في ضوء تجارب أبيك وأمك ؟

وبدا أن ملامح وجهه قد تغيرت . وأضاف قائلا :

— تعلمت منهما الحرص والطمع . والناس جميعا يسألون : متى تذهب إلى بيت الزوجة للضيافة .

وبدأت الشائعات تسألنا أيضا عن ذلك . ولم يكن لديها جواب تقوله لهم . ولابد أن يدعو أهل الزوجة الزوجين إلى بيتها للضيافة بعد مضي بضعة أيام من الزفاف . ولكن كروتما كانت تشك في هذا الأمر فقالت :

— عندما غادرنا البيت كانت أمي على فراش الموت .

ثم إنه ليس هنا أحد يأتينا حتى يدعونا للضيافة .
ثم سألته بعد قليل ضاحكة :
— وهل دعانا أحد من أقارب الزوج بعد وصولنا إلى هنا منذ أيام؟ وأليس ذلك أيضا من العرف المتبع؟

ولو أن كروتما كانت مازحة في كلامها ، إلا أن في معانيه قد تحرج بالاس . وتألم بالاس قليلا ولم يدرك أنها تمزح . وأعطى للكلام معنى آخر وتغيرت حالته وقال :
— ألم يعرفوا من قبل أنه ليس هنا أحد يستضيفك ثم لماذا أرسلوك؟

واصفر وجه كروتما وظهر الغضب على بالاس ولم تكن تتوقع ذلك منه . ولم يكتف بذلك بل أضاف :
— معنى ذلك أنهم وجدوا رجلا وحيدا مسكينا ليس له أحد يجزن عليه أو يفرح له فوضعوا على رأسه بنتا بالغصة لا تصلح للساحل . ولو لقي حتفه في البحر لا يوجد أحد يبكيه أو يأسف عليه . وهذا هو الذي حدث فعلا" . وكان ذلك بمثابة لطمة كبيرة لكروتما فكيف تصبر على أن تسمع أنها فتاة غير صالحة للساحل؟ وهل هذه الدعوى فيها حقيقة؟ وهل إلى الآن شعورها بالذنب قد اتخذ صورة حية ماثلة أمامها . وزوجها يقول ذلك قبل أن يمضي أسبوع على زواجها .

وبكت كروتما بكاء شديدا وقد أخفت وجهها بيديها واقشعر جسدها كله . ونظر إليها بالاس طويلا وكانت تتنفس بتنهد . ولعل قلبه قد رق لها . وسمعت في هذه الأزمنة قولا نفذ إلى أذنيها وكان له وقع السلام :
— "إن هذا ليس برأيي أختلقه ، بل إن هذا هو ما يقوله الجميع" . ثم أضاف بعد قليل :
— وسمعت هذا كله من بابو .

وهكذا سالت الدموع في ذلك البيت لأول مرة بعد الزواج .

وحاول بالاس أن يهدئ خاطرها .

واستمر هذا الجو المتعكر مخيما طوال الليل .

وكانت تقول أثناء بكائها الشديد بصوت متقطع :
— إنني لن أكون وبالا على الساحل .
وناشدته أن يصدقها في أنها لم تفعل شيئا يكون سببا في عدم عودة زوجها من البحر ، ولم تتسبب في غضب البحر الذي لم يرسل أمواجه العاتية ، وتخرج الأفاعي إلى الساحل ، وتحيط الحيوانات البحرية المفترسة بالقوارب . ولكنها ستعيش امرأة صياد وفية
وكانت تسأله مرات كثيرة : هل يصدقها أم لا ؟
ولم يكن يجيب بشيء على أسئلتها .
وهل كانت تستطيع إلا أن تضع وجهها على صدره الواسع وتبلله بدموعها التي تذرف من عينيها ؟
وسألها يا لاين :
— لماذا تسألينني دائما عما كنت أصدقك أم لا ؟
ويبدو أنها من كلامك أنك تشكين في ذلك .
وألقيت جمرة أخرى على قلبها الملتهب . وهل كان عنده شيء من الشكوك في أسرارها ؟ ربما قام بعض الظالمين والحاقدين ببث إشاعات عديدة عنها .
وسواء أعلم زوجها أسرارها أو لم يعلم ، أليس من الأفضل أن تخبره بكل ما وقع ؟ ولعله يعفو عنها حينئذ . ولكن كيف تقول له كل ما حدث ؟
ولكن من الأحسن أن تصارحه بكل شيء قبل أن يشيع أحد وشايات كاذبة حولها .
وكانت تقدم لحظة وتحجم أخرى لتقول ما يدور في ذهنها .
وماذا تقول ؟ وكيف تبدأ وتنتهي ؟ وهل تقول له إنها أحبت رجلا آخر ؟ وهل يكون عند الزوج الصبر الكافي لأن يسمع هذا الكلام من زوجته ؟ أو هل تقول له إنه كان لها زميل أيام الطفولة يلعب معها ؟ وهذا أيضا لا يصلح ، وإذا بدأت كلامها من هذه الناحية فربما تنطلق في كلامها بدون تحفظ في غمرة تلك الذكريات الجميلة . وربما أنها تمدح فريكوتي أثناء كلامها . ويظن بذلك أنها ما زالت تحب فريكوتي . أم أنها تقول له إن شابا مسلما في الساحل قد سيطر عليها بسحره ؟

وهذا أيضا أمر لا تستطيع أن تفكر فيه. كما أن هذا يؤدي إلى إساءة سمعة فريكوس والحقيقة فظيعة والحقيقة أن فريكوس ليس بحبيب ولم يسرها ولم يخلو وراء صورة ذلك الشاب المسكين الذي نحل جسمه حزنا، واحمرت مقلتاه من كثرة البكاء المتواصل، ورأت كل ذلك ماثلا أمام عينيها. وكان من الممكن أن ترى صورته في الظلام الحالك، وظلت الأيام أن وصلت إلى هنا بعد أن حطمت كبده، وجرحت قلبه، وضيعته من الوجود، وجعلته يائسا من كل شيء في هذه الحياة الدنيا. وسيردد نفس أغنية الوداع في ساحله، حتى إذا اشتعل رأسه شيبا، وسقطت أسنانه وتهشم عظمه. وسيغنيها حتى ينفطر قلبه ويموت. وكانت تراه واقفا أمامها فتحرك شفتاها لتقول له شيئا ولم تشعر أن زوجها بجوارها. وانطلق صوت مسموع من فمها بدون أن تشعر:

— إنني أحب.

وهي ليفنا قالت هذا لفريكوس الماثل أمامها، وانزعج نفيل لهذا الكلام،

وسأل بالاي:

— ماذا تقولين؟ هل تقولين إنك تحبين!؟

وصمت كروتيا من شعورها. وخافت من أن يكون قد بدرت منها عبارات خاطئة. وجمعت كل قواها وقالت:

— نعم،

— من،

— زوجي.

وجاء موعد نزول الصيادين إلى البحر. وتجمع الناس بشاطئ. وألحت على بالاي ألا يذهب إلى البحر قبل أن يغتسل وقامت وغسلته بنفسها. ووصل بالاي إلى الشاطئ متأخرا قليلا. ولم يحصل له سابقة من التأخر عن الموعد. وانتظره رفقاؤه بعض الوقت.

وقال ويلايودهان على سبيل الفكاهة:

— هكذا حال المتزوجين. فهم لا يستطيعون الحضور الاجتماع

وكانت نكتة بريئة ومطابقة للواقع . ولكن يالاس لم
يعجبه هذا الكلام . فقال :
— أسكت ياعم ويلا يودهان .
وقال ويلا يودهان :
— لماذا تغضب علي ياولد ؟
وظن يالاس أن ويلا يودهان يريد أن يقول
شيئاً آخر ، وربما يكون ذلك عن كروما .
فأنزل القارب إلى البحر . وكان يالاس بجوار دفته
ولم تكن هناك أي أثر لوجود أسراب الأسماك
وكانت القوارب تحوم هنا وهناك بدون أن تطرح
الشباك . ولكن يالاس وجه قاربه إلى أعماق البحر
بسرعة فائقة . وظن الآخرون أن تركيزه هذا
معيباً . وتسربت المخاوف والشكوك إلى قلوبهم .
ورأوا أن عضلات يديه قد تصلبت ، وكان نظره بالقارب
بمجدافه الجبار ، وكأنه يريد أن يخترق به خط الأفق
وكان اتساع البحر الممتد بلا حدود يضيق أمام نظرته الطموحة
ليستجمع قواه من جديد . وقد وصل القارب إلى
أعماق المياه ~~بعيداً~~ بعيداً عن ~~[illegible]~~ عرض البحر .
وسأل "آندي" :
— إلى أين تتجه بالقارب يا رجل ؟
وأمسك الجميع عن التجديف ، غير أن القارب كان
يتقدم بسرعة من شدة حركة دفته وسرعة مجدافه .
وبدا لهم أن يالاس قد تحول إلى مارد جبار .
وجاء "كومارو" ووثب إلى يالاس وقال :
— يا ابن الكلب . إنك وحيد وليس لك
أحد ليتألم عنك . ولكن نحن لنا أهل وعيال فلا
تلقنا إلى المصيبة . ثم أضاف كومارو في سورة غضبه :
— إنك قد أتيت بامرأة فاسدة ومن حقك عليك
أن تغرق في البحر وتموت وهذا مصيرك . وأما نحن
فأصحاب عيال .
ونحوا يالاس عن الدفة بالقوة ، وأخذ منه
ويلا يودهان المجداف وحول القارب إلى الوراء

وسكت بالاس، وكان مرهقا للغاية بعد هذه المحنة الشاقة. ثم اشترك معهم في التجديف، ووصل القارب عائدا إلى المكان الذي تقف فيه القوارب الأخرى وطرحوا شباكهم. ولم يجمع أحد شيئا من المحصول في ذلك اليوم. وكان في شبكة قارب بالاس بعض الأسماك الصغيرة، ووصل كل منهم على معدل ربية ونصف من ثمن بيعها.

وسأل ويليام وهارون أثناء اعتنائهم في الشاطئ بعد نشر الشباك على الرمال:

— ماذا أصابك يا بالاس؟

وكان الجميع متلهفين على معرفة ذلك السر، فبالاس من أمهر الناس في قيادة القوارب وتوجيهها. ولكنهم لم يروه ثائرا ومتأثرا مثل اليوم. وقال بالاس:

— لا أدري ماذا حدث، فقد نسيت نفسي.

وقال آندي:

— إن لنا أطفالا صغارا يا ابني،

وأبدى كومار رأيه قائلا:

— أرجو أن لا تعطوا في المستقبل دفة القارب لبالاس. فسوف يغرقنا في البحر.

ووافق الجميع على هذا الرأي، وتيقن بالاس أن خطأ سيئا قد أصابه بدون شك.

• • •

الفصل الثالث عشر

كان من العرف السائد أن يستضيف أهل العروس الزوجين في بيتها الذي تربت فيه. ولكن لا يوجد أحد في بيت كريتما ليقوم بهذه المهمة. فما زالت جيكو تلازم الفراش منذ يوم الزواج. وتقوم جارتها ثلاثين بكل ما يتعلق وما يعنيها، وتشرف بنجاح على شئون البيت ولم يكن جنبان كثير يهتم بزوجته المريضة. وقد شدته ثلاث مرات عديدة لتعرضها على أحد الأطباء، ولكنه لم يكن نشيط لذلك أي أهمية. وهو لم يفرغ بعد من المشاغل المتعلقة بالزواج. وكان كل يوم يذهب إلى حجرة جيكو ويلقي عليها نظرة عابرة. وهكذا كان كل ما يظهره من الاهتمام في أمرها.

وتحدثت إليه جيكو يوما في دعوة كريتما ويالاس إلى البيت للضيافة حسب العرف السائد. ولكنه ثار من وجهها حينئذ وصاح قائلا:

— "إني لن أذهب، ولا أريدها أن تأتي إلى بيتي". وغضبت جيكو حتى أغمي عليها، وأخيرا أتى جنبان بكبير الطبيب إلى البيت ليعالجها.

وبدأ الناس يتساءلون عن عدم دعوة البنت وزوجها للضيافة بعد أربعة أيام من الزواج حسب التقاليد. فكان يدور في حديثهم جميعا. وهكذا أصبح في خصام مع الجيران والأصدقاء في الساحل. ولكنه كان يمكث في البيت في معظم الأوقات، وكان يترك القارب يوميا إلى البحر ولكن المحصول كان ضئيلا، ونشب الكلام بينه وبين عمال القارب أيضا.

وفي ساحل ترنكوناسور أصبح أمر عدم استضافة أهل العروس للزوجين موضوع الحديث بين الناس جميعا وهم يعرفون أن الأم مريضة، فلماذا لم يأت أحد من بيتها ليدعوها إليه؟ فربما غير مرغوبة عندهم وقد نبذوها من المجتمع. لأنه حتى الفقراء لا يتخلون عن هذه العادة، فلابد أن هناك سرا خفيا وراء ذلك.

وكانت كرومًا تنتظر مجيء أمير في كل لحظة. ولم تكن تتصور أنه سيتركها بهذه الطريقة. وضاقت من أمر أمها أيضًا، ولكنها لم تجرؤ أن تقول شيئًا لزوجها. وأخيرًا قررت أن تفاتحه في هذا الموضوع، وانتهزت فرصة استراحته بعد الطعام فقالت:

— من يدري أن أمي لا تزال على قيد الحياة أم لا؟

ولم يقل بالان شيئًا، ونظرت إلى وجهه باهتمام، ثم قالت وهي مترددة:

— ياليتنا نذهب لنزورها.

وكان رده حاسمًا وصارمًا:

— لا تتعبي نفسك في هذا الآن.

وما كانت تتوقع أن يجيب عليها بهذه الشدة، وضاقت ذرعًا من الحالة التي طرأت عليه، وقد فوجئت بهذا التحول الخطير في حدوثه وتواضعه، وتظاهرت بالابتسام وقالت:

— كيف تتكلم هكذا؟

وسألها غاضبًا:

— وماذا إذن؟

— سوف يكون لنا أيضًا بنات ويكبرن ولهن أزواج فيتعقون منا لهذا كله.

ورد عليها بالان ردًا مفحمًا:

— سأحتمله حينئذ.

ولم يكن لديها جواب فسكتت، ومن ثم سألته أخيرًا:

— هل تأذن لي لأذهب وحدي فأزور أمي؟

ولم يكن له اعتراض على ذلك، ولكنه قال:

— إذا ذهبت ... فلا تعودي مرة أخرى.

وكظمت كرومًا الغيظ الذي كان يخالج نفسها وقالت:

— ياللعجب. لا أدري ماذا في قلوب الرجال.

ثم اصطنعت ابتسامة على شفتيها.

وظل قلبا جيكي وكرومًا يحترقان، وكانت الأيام تمضي وهما يتعجبان وليس هناك من أحد ليطفئ نار قلبيهما، ويهدئ سورة حالهما.

وذات يوم حينما علم فريكوتش خبر اشتداد مرض جيكو
ذهب إليها ولم يكن جيرانه كلهم موجودين في البيت
وعندما رأته انفجرت باكية . وتحير فريكوتش حينما
سمع نحيبها ورأى الدموع تذرف من عينيها .
وكان قد حدث تغير ملموس في طبع فريكوتش . ولم تعد
الآن ذلك الشاب الذي تنفر منه سابقا
وقالت جيكو في أثناء بكائها :

— إنني سأموت ياسودالاي ،

وفهم فريكوتش أن صحتها معتلة جدا . ولكنه أراد أن
يسليها فقال :

— ماذا تقولين يا جيكو . أنت لست مريضة لهذا الحد

ثم أشارت إليه جيكو ليجلس بجوار سريرها . وكانت
تنظر إليه باكية . ولم يكن يدري ماذا يقول لها .
وقالت وهي تنظر إليه :

— أريد أن أتكلم معك في أمور كثيرة ياكوشوسودالاي ،

وطلب منها فريكوتش أن تقول كل شيء تريده .
وأرادت أن تتكلم معه أولا في مسألة المبلغ فقال لها

— لا تفكري في هذا الأمر .

ولعنت جيكو زوجها . ووصفته بأنه طماع وجشع وقالت

— ماذا نفعل نحن المساكين ؟ فإنه لن يرد

— لا تتعبي نفسك في هذا الموضوع ولا تفكري

— ليس الأمر هذا فقط ياسودالاي !

ولم تستطع جيكو أن تكمل كلامها . وبعد قليل استعادت
قواها وأضافت :

— إن ابنتي لم ترحل إلى مكان سعيد .

ولعلها تعاني الآلام في كل لحظة ،
ولم يبد فريكوتش رأيا في هذا الموضوع . وهو لم
يهتم كثيرا .
ثم أردفت جيكو قائلة :

— "إنني على فراش الموت . ومع ذلك لم تحاول
ابنتي لتراني" . وكانت تتكلم بعاطفة الأمومة كأنها لم تحاول أن تشاهد

وقد كانت وراء ابتذال قصة غرام وقد تم زواجها من رجل آخر وهي تدري أن ظلال تلك القصة لاتتابعها وأن الماضي لن يكون له أثر من صفحات حياتها الجديدة؟ وفوق ذلك يحكم أن كروثا ذهبت مع رجل ليس له أحد من هذه الحياة الدنيا. وما هو الدليل على أن بالأمس سيجب كروثا، وقالت هكذا!

— أشعر أنني وضعت ببنق من تجارب صغير

ثم أرسلته إلى عرض البحر.

وقال فريكوس!

— لا تظني هذا الظن، فأنا بالأمس عامل كادح وأنه يرحم بلا.

وهزت حليمة رأسها وهي غير مقتنعة بهذا القول، ثم أضافت وعلامات الحزن تملك وجهها!

— كنتما تلعبان معاً في هذا الساحل أيام طفولتكما

وأصاب هذا القول النقطة الحساسة من قلب فريكوس واستعاد ذكرياته الماضية، واهتزت مشاعره. ولاحظت حليمة هذا الانفعال الذي ظهر على ملامح وجهه. فرحت أيضاً تلم بخيوط تلك القصة التي تمس أعماق القلبين الشابين. فقالت وهي المرأة كأنما تضحك!

— لم يسمح لي القدر لألد ولداً! ثم أضافت وهي في بالغ الحزن!

— ولكن لي ابن،

ونظر فريكوس في وجه حليمة وكأنه يستفسر عمن يكون ذلك الابن الذي تقصده،

ونظرت إليه كأنما تريد أن تخبره عمن هو ثم قالت وهي تمسكه بيده!

— أنت ابني يا فريكوس،

وجاء قول حليمة كالبلسم الشافي لقلبه الجريح. وشعر بارتياح عواطفه الملتهبة. ولم تعد كروثا منذ الآن حبيبة له فقط، ولكن رابطة أوثق ربطتهما إلى الأبد ولم تعلق حليمة آمالا كبيرة على الحياة الزوجية لكروثا وتذكرت تلك الأيام التي كانت تجمع كروثا وفريكوس في الساحل.

وانتهت جكه فريكوش ابتداءً . وذهبت آماله أدراج الرياح. وهل يمكن أن تكون كروتما له مرة أخرى؟ وهل تتوقع أمل ذلك؟

وفي غمرة هذه الشكوك والمخاوف المتراكمة قالت جكه مخاطبة فريكوش:

— يا ابني. لابد أن تتزوج فتاة جميلة وتعيش حياة سعيدة. فلوني أتمنى لك نجاحا باهرا في حياتك.

وجلجل هذا الكلام في أذن فريكوش. فقد قالت كروتما من قبل أيضا. ولكنه لم يجب على قول جكه كما أجاب على قول كروتما من قبل.

ثم أضافت جكه قولا:

— ولا تترجى كروتما من الآن، وقد أصبحت متزوجة. ولا ينبغي لك أن تضايقها لأنك أخوها وعليك أن تقبلها كأخت لك.

واندهش فريكوش لسماع هذا الكلام الذي نفذ إلى أعماق قلبه. وأن العدالة والشريعة تسمحان له بأن يتخلى من شئونها من هذه اللحظة. وليس هذا توهما، بل إن صوتا يتردد في أذنيه:

— إن فريكوش قد صار أخا لكروتما، وليس لا شقيق من أبويها. فلابد أن تكون أخا لها يا ابني.

وقد قالت له جكه هذا الكلام بتفصيل. وقالت له كلاما كثيرا. فلماذا حينما كبر قد تركت كروتما وهي تعيش مع رجل ليس له أهل ولا أقارب ولا بيت. كما أن أمها على فراش الموت. ومن لأمر هذا العالم ليشرف على ابنتها؟ إنه فريكوش فقط.

وحددت جكه تلك العلاقة القائمة بينهما علاقة الإخوة، ثم سألته:

— هل ستكون أخا لكروتما دائما يا ابني؟ مجرد أخ.

واغرورقت عينا فريكوش بالدموع. ورأت جكه الدموع تذرف منها. وعرفت جيدا سبب هذه الدموع وما وراءها. وسكتت جكه أسرار تلك القصة الغرامية!

— إنني أعرف أنك كنت تحب كريزنا، واعتبرها من الآن أختاً لك. وحيث هي ولاية جبلي رأى أليس كذلك؟

ولم يرد فريكوش بشيء على ذلك، بل سألت العجوز على جدية، ويشترط أيضاً أن تكون أختاً لا، ومضت لحظات من الصمت. ثم سألته هي:

— أليس كذلك يا ابني؟

ثم أجاب فريكوش بغير شعور:

— نعم.

— فليعش كلانا كالإخوة متحابين.

ثم ردت بعد ثوان:

— "ولو كانت هنا الآن لكنت أقول لها هذا الكلام وأنا في فراش الموت". وطلبت منه مرة أخرى أن يكون أخاً لها. وناشدته أن يرعاها حتى تموت لأنه ليس لها أحد، وأن يجرها إلى أن لم تكن قبل أن تموت أنه أصبح لها أخاً.

ووافق فريكوش على هذا كله، وألحت عليه مرات وكررت بهذا الرجاء.

وسمعت هكذا في تلك الليلة فريكوش يغني في الساء وكانت تلك الأيام أيام محنة لجيلان كبير. وكان المحصول ضئيلاً. وظن أن من سبب ذلك عدم ذهابه بنفسه مع العمال في القارب.

وتكبد خسارة أخرى. فقد كان له عامل تاجر الجملة قادر » بعض المبالغ من بيع الأسماك له. ولكنه جمع ماله وهرب من الساحل جملة.

وقرر أن يذهب بنفسه إلى البحر ويواصل قيادة قاربه كالمعتاد. ولكنه كان يجلس بجوار الدفة ولا يكن واقفاً كالمعتاد. ولم يكن القارب يسير بسرعة الطير بجدافه الجبار الذي تحركه يده القوية. وهو عاجز عن الوقوف بجوار الدفة والإسراع بالقارب. وكأنه أصبح يخاف من الوقوف فوق أطراف الدفة الدقيقة ويشعر برعشة خفيفة تسري في جسده كله.

وتوقف سباقه مع القوارب الأخرى. وهل يرى أهالي الشاطئ ذلك المنظر الرائع بعد الآن؟

وعاد بقاربه إلى الشاطئ قبل ساعات من موعده المعتاد وسأله العمال عن سبب ذلك. فقال:

— دعونا نعود الآن، وبهذا نكتفي اليوم.

ولم يكن جنبان كنجي يشعر بالاكتفاء يوما ما من قبل. وفي أثناء عودته إلى الشاطئ أفلتت المجداف من يده وسقط جنبان كنجي في الماء. وأنقذه العمال وانتشلوه إلى القارب، ثم لم يجلس إلى الدفة.

ولم يداوم جنبان كنجي في ذلك اليوم على حصيلته، وعاد فورا. وعاد إلى البيت مرهق الأعصاب، منهار القوى وكانت بنجامي في انتظار أبيها، وأعدت له الأرز والطبيخ وقالت لها جكي من الداخل:

— إن أباك قادم يا ابنتي، فأحضري له الطعام.

وأحضرت بنجامي الطعام، وأكل جنبان كنجي لقيمات قليلة ثم قام، وسألته بنجامي مندهشة:

— أمي، إن أبي لم يأكل شيئا.

وبعد أن غسل جنبان كنجي يديه دخل إلى الحجرة جكي وجلس بجوارها، ونظرت إليه باهتمام كبير. وامتلأت عيونها بالدموع، ولأول مرة في حياتها ترى الدموع في عيني جنبان كنجي، وسألته:

— ماذا سنفعل، وهذا هو القدر لنا.

وتراجعت الدموع في عينيه ولم يسمح لها بأن تتساقط على الأرض، فما زالت قوة إرادته باقية لهذا الحد، وسأل:

— ألا تستطيعين القيام من السرير؟

— إني حاولت كثيرا، ولكن ماذا أفعل؟

وسأل بعد صمت قصير:

— ثم ماذا أعمل؟

وهل بدأ جنبان كنجي يفكر في الحياة التي يعيشها وقد فارقته جكي؟ وهي حياة غير متكاملة. ولا يستطيع أن يسير فيها إلى الأمام. وماذا يكون جواب جكي على هذه التساؤلات الخطيرة؟

ن ٢ لأنك كنت تحب كرسيًا . واشتريتها
وبعثه هو دلالة حبك إليّ

١

عن رسالات الدروع
٣ أجزاء ١٧ .

ولاحظت جلي على جنبا ن كبير أن حماسه وملامح نشاطه قد انكمشت . وحكى لها ما حدث له في البحر!
— إن رجلاي قد خارت قواهما أثناء العودة.
ولم تكن جلي تظن أن حادثاً مثل هذا سيحصل لزوجها في البحر ولم تفكر في هذا من قبل . والآن قد حدث فعلا وربما يحدث مثله في المستقبل أيضا. وقال لها :
— وماذا أفعل يا جلي ؟
سألها هذا السؤال حائراً . ولمن يوجه هذا السؤال غيرها ومن له الحق في أن يجيب عليه غيرها أيضا ؟ وكانت جزءاً لا يتجزأ من نظام حياته ونجاحه . والآن قد لازمت الفراش واختل ذلك النظام ، بل إن حماسه قد قل ، وضعف نشاطه .
والذي يجلس على ذلك السرير الآن هو جنبان كبير اليائس الحائر .
وأمسكت جلي يد جنبان كبير ووضعتها على صدرها وقالت :
— وماذا تفعل نحن ؟
ورد جنبان كبير بانكسار !
— لا تقولي هكذا . ثم ماذا أعمل ؟
وشدت يديه على صدرها ، واستشعر أن قلبها يدق بعنف وصدرها يهتز ، وكانت يده ترتفع من شدة نبض قلبها . وسمع صوتاً نفذ إلى أذنيه ، وهو ينظر شاخصة إلى وجهها !
— تزوج امرأة أخرى .
قالت جلي ذلك ثم ظهرت آثار الضعف على جسمها كله . وأصبحت نبضات قلبها بطيئة . واستقر نظرها على وجه وسأل جنبان كبير !
— ماذا تقولين ؟! أأتزوج امرأة أخرى ؟!
ولم تقل شيئا . وهي تعرف ضرورة وجود شريكة لحياته وهي تقترح وسيلة لذلك . ولم يفكر جنبان كبير في هذا الأمر من قبل . وقال :
— لماذا لا تتكلمين ؟

وأغمضت حلمي جفنيها غمضاً خفيفاً، وساور جنان كبير الخوف
وهزّها ونادها:
— حلمي!
— وكان الصمت التام، ولم يعد فيها حراك،
— هل فارقتني؟
وسقط جنان كبير على صدرها، ولم تترك بعد يديه
من قبضتها...

•••

الفصل الرابع عشر

وظلت بنجامين تبكي: ومن لي بعدك يا أمي! وكانت
تلابين تواسيها وقد أوصت جاكي بينجامين.
ورفع أصحاب كنجو وزملاؤه جثمان كنجو عن جثمان جاكي
وأبلغوا الخبر إلى زعيم الساحل. وحضر الزعيم و
وتشاوروا في الطقوس التقليدية في مثل هذه المناسبة
وتحدثوا في أمر إخبار كروتما. وسأل أحد الحاضرين:

— هل أخبرتم البنت؟

وسمع جنبان كنجو الحزين هذا السؤال فقال صارخا:

— لا، لا حاجة إلى ذلك.

وقد كان من رأي جنبان كنجو أن كروتما هي السبب
في موت أمها.

وظل الحاضرون صامتين لبعض الوقت. وكأنهم
يفكرون في أسباب هذا القرار الحاسم الذي اتخذه
جنبان كنجو. وينتظرون رأي زعيم الساحل في هذا
الموضوع. وأبدى الزعيم رأيه:

— إنها رأت أمها طريحة الفراش، ومع
ذلك تركتها وذهبت. فلا ينبغي أن تبلغ نعيها الآن.
وعاد الجميع بذاكرتهم إلى ما جرى وقت الزواج. وكان
ذلك حدثا مشؤوما.

وما زالت بنجامين تنادي أمها. ومن لي غيرها؟
ولكن من الذي يعبأ برأيها؟

وبدأت إجراءات مراسم الدفن. وكان فريكوتي
واقفا هناك صامتا. وفكر في إتمام دفن جاكي بدون
حضور كروتما. ولكن ليس له الحق في أن يتدخل في
شؤونهم. وما هو حق كروتما إذا دفنت أمها
بدون أن تحضر؟ وربما تسأله حينما يقابلها: حتى
أنت يا مودالالي لم تخبرني بذلك. كما أن له الحق
تجاه المرأة المتوفاة.

وخيل إلى فريكوتي أن عليه أيضا بعض الواجبات
نحو هذا الأمر. ولم يتبين له بكل وضوح. وقد أصبح
لكروتما أخا ... صحبت له أختا.

ولم ينم فريكوتش في تلك الليلة، وقام عندما انتصف الليل
وأغلق المحل ومشى عبر الشاطئ والهواء الطلق يحمل
إلى ذهنه ذكريات جميلة، وصوت البحر الموسيقي ينفذ
إلى أذنيه، وهو يذهب مسرعا إلى تريكوتا بوزا ليخبر
كروميتا بوفاة أمه،
ما حقه في القيام بهذه المهمة؟ وإذا سأله أحد
في هذا الشأن فبماذا يجيب؟ وكيف يتقي الكلام مع
كروميتا؟
كل هذه أسئلة كانت كافية لأن يحجم فريكوتش عن الإقدام
ولكنه مضى قدما، تعززه حجة قوية، وذلك أن أمه جوميا
قد اتخذته أملا لها ابنا وكروميتا أما لها. وهل تكون هي
بدورها أختا له؟ وكيف تتم المقابلة بينهما؟
ووصل فريكوتش في الساعات الأولى لصباح اليوم التالي
إلى ساحل تريكوتا بوزا. وقابل هناك صيادا متوجها
إلى البحر، فسأله عن مسكن يالاش. وقد تعرف هذا
الصياد على فريكوتش، لأنه رآه من قبل عندما زار
ساحل تيركوتا يوما ما، وسأله:
— لماذا تبحث ياكوشوسودا الآن في هذا الوقت المبكر
عن يالاش؟
فأحرج فريكوتش من هذا السؤال قليلا، ولكنه أجاب:
— لأن أم زوجته قد توفيت.
وكان هذا الصياد يعرف جنبارا كيجي وجهه معرفة
شخصية، وأثر على وجهه حينما سمع هذا النبأ.
ثم وجه إلى فريكوتش سؤالا محرجا للغاية:
— لماذا جئت ياكوشوسودا الآن لإبلاغي هذا
النبأ؟ أليس هناك أحد من الصيادين؟
وفكر فريكوتش فعلا في هذا السؤال، وأنه من المحتمل
جدا أن يوجه إليه في أي وقت، واستعد للرد
المناسب إذا اقتضت الضرورة، وما كان يظن أن
رجلا أجنبيا يوجه إليه مثل هذا السؤال ويحتاج
إلى الرد عليه. ولكنه أجاب:
— قرروا ألا يبلغوا يالاش وزوجته هذا الخبر.

ولذا جئت بنفسي لأخبرها.

ثم بين له ما جرى هناك من النقاش عقب موتها، وكان سؤال الصياد "كوشوناتان" مازال يتردد في أذنيه:

— إذن لماذا أتعبت نفسك في هذا الوقت المتأخر من الليل يا كوشوسودا الأولى؟

ولم يكن لديه أي جواب أوجه غير وصية حملها له بأن يبلغ كروثا أختا له. وإذا بدأ في سرد هذه القصة فسيضطر إلى بيان جميع الخطوط التي وراءها، فكيف يصبح شاب مسلم أخا لبنت من الصيادين؟ ولماذا اتخذته أولا أخا لها. وتردد فريكوتي في الجواب ثم قال: إنه جاء للإبلاغ بوفاة أخته إشفاقا عليها عندما سمع قرارهم بعدم إبلاغ ذلك النبأ.

وهل صدقه كوشوناتان أم لا؟ على كل حال فقد دله على منزل يالاس.

ووصل فريكوتي إلى منزل يالاس المتواضع. وكان الجو هادئا، وقد نزلت القوارب إلى البحر.

ولم يكن فريكوتي يدري ماذا يقول لكروثا، وكيف يبدأ الكلام معها؟ وهل يفاجئها بنبأ وفاة أختها؟ أم يجعلها تعرف ذلك من سياق الكلام.

ووقف برهة من الوقت عند باب المنزل مرتبكا لا يدري ماذا يفعل، ثم انطلق لسانه بصوت دون أن يشعر:

— يا كروثا!

ولم يجبه أحد. وناداها مرة ثانية

— من بالباب؟

وتعرف فريكوتي فورا على صوت كروثا، وقال:

— أنا يا كروثا.

— أنت من؟

— ألم تعرفي صوتي إلى الآن؟!

— من؟

— فريكوتي

وساد صمت رهيب لفترة قصيرة قطعه صوت فريكوتي:

— إني حضرت لأخبرك بنبأ هام.

وسألته كروشا مرتجفة:

— "حتى بعد أن تركت بيتي وأهلي تلاحقني أيضا ولا تتركني أعيش في هدوء". وأضافت بعد لحظة صمت:

— لا، إني لن أفتح لك الباب، ولا أريد أن أراك.

ونفذت هذه الكلمات إلى أعماق قلبه، وصمم أن تنشد الهدوء، ولكنه لا يجده هنا أيضا.

وفكر فرنكوش في أن يعود دون أن يخبرها، أو يخبرها بوفاة أمل من خلف الباب. ولكن كيف يأتيها بهذا النبأ المؤلم؟

وطلب منها مرة أخرى أن تفتح له الباب وقال:

— ألم تعرفيني يا كروشا؟

وأجابت من الداخل وهي تقبض على نواجذها:

— نعم إني أعرفك.

— ثم لماذا لا تخرجين؟

ولم ترد عليه بشيء. واستطرد قائلا:

— إني أعرف أنك الآن متزوجة يا كروشا ولكني أنا فرنكوش ولم أتغير.

وقالت يائسة:

— إني لا أستطيع أن أراك.

وقال فرنكوش بدهاء:

— لا تقولي هكذا. ولابد أن نتقابل مرة أخرى يا كروشا ونتحادث وجها لوجه.

— يا للعار! لا يمكن هذا أبدا، لأن زوجي ذهب إلى البحر من مواجهة العواصف والأمواج العاتية.

وساد صمت تام فترة من الزمن ثم نطق:

— كروشا.

ولبت نداءه بدون أن تشعر

— نعم.

— أنا أحول الآن.

— أختي! كيف؟

واستطاع أن يصور تلك العلاقة الوثيقة بينهما من شكل جديد دون أن تقطعها، وساهما بتسمية جديدة وتحدث أن طرأ تغيير جذري عليها.
وشعرت كأنها تحس بارتياح عميق من نفسها وقال فريكوس:
— نعم يا أختي، إنني أخوك، وهل لك أخ آخر؟
— لا، ليس لي أخ آخر.
— إذن كان أخاك هو الذي يدعوك الآن وقد أوصتني أمك أن أشرف عليك كما لو أختي
— أمي؟
— نعم، إفتحي الباب لأقول لك...
وأضاءت كروغا المصباح وفتحت الباب وخرجت إليه. ولم يدر فريكوس كيف يخبرها بذلك النبأ المفجع ولكنه أخرج الكلام من فمه بصورة جزئية:
— يا كروغا، إن أمك حكم قد ماتت،
وصرخت كروغا، وقبل أن يقدم الجيران لسماع سبب نحيبها كان فريكوس قد غادر المكان،
وحاولت الجيران أن يهدئنها وخففن من روعها من شدة وقع هذا الخبر الذي سمعته منها،
ولكنها لم تقل لهن من هذه اللحظة الرهيبة عمن أخبرها بذلك الخبر، وقالت النسوة أنها ربما رأت ذلك في النوم
وبعد ساعات من البكاء أفاقت كروغا من صدمة تلك المفاجأة، وكادت الشكوك تساور قلبها أيضا عن صدق هذا الخبر وربما كان ذلك من كيد عابث فاشل. وإذا ماتت أمها حقيقة فلماذا لم يأت أحد من أهلها ليخبرها بهذا النعي؟
وقد ذهب زوجها إلى البحر، وعليها أن تعد الطعام قبل أن يعود، وأدى شعورها بمسؤولية الزوجة إلى الإشتغال بأعمال البيت كالمعتاد.
وكانت تتوقع كل حين وآخر مجيء أحد من بيتها ليبلغها خبر وفاة أمها،
وعاد زوجها إلى المنزل ذلك اليوم قبل الموعد المعتاد،

وقالت له كروتما باكية :

— إن أمي قد ماتت .

وتظاهر بأنه لم يسمع قولها . وبدت على وجهه علامات الانفعال التي لم تلاحظها عليه من قبل . وما زالت تبكي ثم قالت :

— أنا الذي قتلت أمي .

وسأل بالاش ببرود أدهش رأفة :

— من جاء هنا ليبلغك هذا الخبر ؟

وحارت في العثور على جواب . ونظر إليها مستفسرا وقالت :

— كوشو موداالي .

— أين هو الآن ؟

— ذهب بعد أن أخبرني هذا الخبر .

وما هو السبب الحقيقي لانفعال بالاش ؟ ألأجل مجيء كوشو ؟ أم لعدم إبلاغه خبر الوفاة بطريقة صحيحة ؟

وسأل بالاش :

— هل أرسله والدك ؟

ولم يكن في وسعها أن تجيب على هذا السؤال . وأضاف :

— ألم يوجد أحد من أبناء الصيادين من ساحلهم ليأتي بهذا النبأ ؟

كيف وبماذا تجيب على ذلك ! ولم يكن الوقت أوان المناقشات القانونية والعرفية . وقد تمكن الشك من قلب بالاش ولا تعرف حقيقة ذلك الشك .

وليس لها أن تقول حينذاك إلا شيئا واحدا :

— هل تذهب ؟

— أين ؟

— إلى نيركونام .

وشد بالاش شفتيه وابتسم . وفهمت كروتما أنه لا يريد الذهاب . وقالت :

— لقد ماتت أمي التي ولدتني .

ولم يغير بالاش موقفه قيد شعرة . وقالت كروتما : إن أمها كانت تحبه كابنها . ولم تفعل أمها شيئا يغضبه بل إن خروج كروتما معه يوم الزواج كان بإصرار من أمها

ثم قالت كروثا:

— أقسم بإله البحر أن أمي هي التي ألحت علي بالخروج عندما أبديت ترددا، فأردت أن أذهب الآن وقبلت قدميه وهي تبكي، ولكنه لم يحرك ساكنا ووقف كتمثال صامت. مع أن جيكي هي التي كلمت بالأمس ماهرا الآن وقدمات الآن، ولابد أن تمشي وقال مشاعره أيضا وقال قولا كأنه ينبعث من أعماق نفسه:

— إن ترملاش قد أعادوهن من البحر وأنزلوهن إلى الشاطئ.

وقالت كروثا:

— ألم يذهب إلى بتركوتام؟

— قالوا ذلك، ولكن السبب الحقيقي ليس هذا.

— ماذا إذن؟

وقال بالاس بعد لحظة:

— لقد رأى كوشوتاثان فرنكوش يأتي إلى هنا ويشيع بأنه أنواعا من الأكاذيب والأقاويل في الساحل وارتجف صوته وانخفض وبعد قليل من الصمت أضاف:

— هم أصحاب خيال، ولهذا أعادوهن إلى الشاطئ.

وفهمت كروثا كل شيء، وقد حدث هذا أيضا، ولم يكن لديها إلا سؤال واحد وجهته إليه:

— وهل أنت تشك في أمري؟

ولم يستطع أن يجيب بالإيجاب أو النفي، ثم قال:

— أين ذهب ذلك الشرير بعد أن قال لك هذا الخبر؟

— لم أره قط بعد ذلك،

— لماذا جرت نفسه إلى هنا؟

وكان هذا هو الوقت المناسب لتقول له كل شيء، وقررت أن تصرح له بكل ما حدث، ولكن لسانها لم يطاوعها ولم تجد الكلمات التي تقولها وسألها بالاس:

— ماذا قال لك؟

— قال: إن أمي قدمات،

وهذه هي الفترة الحاسمة لتقرير مصير هذه الأسرة الصغيرة.

وانتشر هذا الخبر في الساحل كله. وكان الجميع يعرفون أن جلمة العجوز كانت مريضة جدا، وربما تكون غرقت عمدا، ولكن لماذا جاء ذلك الشاب المسلم ليبلغ هذا الخبر؟ وقال كوشونامار:

— كان مرتبكا. وقد لاحظت ذلك بنفسي.

وقال يايوس: إنه رآها مرحاً وسعيدا في ليلة أمس على ساحل بيركونام. ثم أردف يقول:

— إنه يخشى من الليل فتخرج إليه. ولهذا أحدث شغبا يوم زواجها. ونجح بالأمس في الوصول إلى غرضه. وأصبح الكل حزينا على وقوعه بالأمس في هذا الفخ.

وتساءل آخر:

— وكيف نأخذه وحده من الكارثة؟

وبعد هذا السؤال أن بيت بالامس ليس نظيفا، وأن وجوده في الكارثة يجلب المصائب والكوارث للكل في أي وقت. وسأل ويلا يودهان:

— من قال لكم إن بيته ليس نظيفا؟

وانضم آندي لصف ويلا يودهان وسأل كومارن الذي أثار هذه المسألة:

— يا رجل، هل تستطيع أن تؤكد ذلك؟ ومن يقدر أن يؤكد أن بيته نظيف؟ ولا يستطيع أحد أن يتحقق في هذا الموضوع أكثر من ذلك. وأغلب ظن كل واحد أن بيته نظيف لأنه لا يحدث شيء من الكوارث. ولكن هناك بعض الكوارث في تصرفات بالامس، حيث إنه أخذ ~~قاربه~~ في ذلك اليوم إلى أعماق البحر. ألم يكن ذلك يحدث خلل في عقله؟ والقصة التي تشغل بالهم تحدث بلبلة في أفكار الجميع. ولكن الاعتقاد السائد أن كرومبا فتاة طيبة.

وحاول الجميع ما عدا كومارن أن يصدقوا أن بيت بالامس نظيف.

وأثار كومارن سؤالا جديدا لم يستطع أحد أن يجيب عليه بإقناع:

— هل كان من تقاليد الصيادين أن يرسلوا شابا مسلما بالنعي؟

بل. لماذا جاء في وقت الفجر؟

أما في بيتي بالأمس فما زال الموقف غير مستقر وطلبت منه كروشا أن تذهب إلى بيتها لكي ترى جثمان أمها وتطلب منها الصفح والغفران. ولم تكن تلك مشاعر مبدئية بحق الزوجية بل بحق امرأة احترق قلبها حزنًا وأسى. ولكنه لم يتكلم. وسألته:

— هل أنت واثق بي؟

وأجاب:

— نعم، إنني أثق بك،

ولكنه يريد أن يعرف منها أشياء كثيرة. وهذا واضح من وعده لها بأن يثق بها. وكانت في أتم استعداد لتقول له كل شيء يريده ولا تريد أن تخفي عنه شيئًا ولكنها عاجزة عن عرض ذلك كله في هذا الوقت. فهو وقت عسير وشاق بالنسبة لها. أما بالأمس فهو قاصر عن تفهم خطورة تلك اللحظات التي تفصلها. ولعله لا يستطيع أن يفهم المعنى الكبير المترتب على وفاة الأم، وأهمية تلك الفترة التي تفصلها فلذة كبدها. وبكت كروشا بكاءً شديدًا. وخطرت ببالها فكرة جديدة وطلبت منه السماح لتذهب وحدها، بشرط أن تعود في نفس اليوم.

ولم تعطه جوابًا صريحًا على هذا الالتماس أيضًا. وخيل إليها حينئذ كما إذا كانت تستطيع أن تذهب بدون إذنه. ومعنى ذلك أنها لن تعود إليه أبدًا. وهي ليست مستعدة لذلك. فقد ولدت بنتًا لصياد وستموت كذلك. وكانت هذه هي أمنية أمها الفقيدة. وهي مستعدة لتموت تحت قدميه. ولا تعتقد أن أباها الذي لم يرق قلبه ليبلغها نبأ وفاة أمها سيقبلها. وليس لها الحق في أن تطالبه بذلك فهي لم تنزل على رأي أبيها وقد تركت بيتها إلى الأبد لكي تتبع رجلها. وستموت في هذا الكوخ المتواضع. وتذكرت كروشا نداء أمها يتعالى: يا أمي! وحينما تدفن أمها تحت تراب الساحل لا تزال تبكي يائسة

وليس لها أية حيلة، كالطير المحبوس في قفص محكم الغلق،!
وقد صارت وحيدة في ذلك البيت!
وسكون في تلكوش ثم خرج من ذلك الساحل.
وطارت طمأنينة قلب يالامن وجلس شارد الفكر، شاخص
ببصره إلى أفق بعيد، ولم يعرف من قبل ما هو الفكر.
وهنا نزل [illegible] الفكر يلاحقه.
فتقربت كروثما إليه وسألته:
— ألا تأكل الطعام؟
وقال:
— لا أشعر بالجوع.
— وما هو السبب؟
وسأل:
— لماذا جاء ذلك الولد المسلم إلى هنا؟
وقالت كروثما الحق المر:
— إذا سألتني لماذا، فأقول: إنه جاء
ليهلكني. وما غرضه غير هذا؟
ومن الآن تواجه تلك المشكلة بحذافيرها، وعندها
الجرأة الكافية على ذلك.
ثم ما يالامن فقد دخل في الموضوع بتفاهم وحكمة وسأل:
— من هو يا كروثما؟
واستعدت لتقول كل شيء بتفهم تام، ولا تحتاج
إلا إلى كيفية البدء في صميم الموضوع، ومن كيفية
البدء والختام لا تهمل. وحينما عزمت على المصارحة
بكل شيء لم يعد لديها خوف من طريقة أو أخرى
في سرد القصة بأكملها. وقالت!
— كنا نلعب في الساحل سويا منذ الطفولة.
ثم استطردت في سرد القصة كاملة، وسمعها يالامن
بدون انفعال أو تغير:
لم تكن لهذه القصة خطورة ما حتى يلتزم يالامن
الصمت؟! وخافت كروثما من صمته الرهيب،
وبعد أن سردت بعض فصولها سألته:
— ألا تصدق ما أقول؟

وأخبرها بالادن أنه يصدق ما تقول ،
وامرأة تسرد قصة مراحل تنفر الرجال . وليس قبل
مرحلة تبعث على الشك ، ألم تكن ترسم بذلك
صورة سوداء لنفسها ؟
ووصلت من حوادث قصة حياتها إلى سن الثامنة
عشرة ولم تستطع أن تنطلق بأعمال نفس السؤال .
ولم تذكر كرديا شيئا عن ذلك المبلغ ولا عن
تلك الأشغال . وكذلك لم تقل له ماذا حدث وقت
الوداع الأخير . وهل خيل إلى بالادن أنها أخفت
عنه شيئا أم لا ؟
وقالت كرديا :
– ليس لي أخ . وهو بمثابة أخ لي .
ولم يكن لهذا القول أي وقع يذكر على موقف بالادن ،
وسأل بعد أن سمع هذا كله :
– إذن ما يقوله الناس من أنك مطرودة
من ساحل تيركونام صحيح ، أليس كذلك ؟
ولم يكن لدى هذه الزوجة جواب على هذا السؤال
غير جواب واحد . وهو أنها ستعيش دائما من
لهذا الساحل عيشة امرأة صياد صالحة .

الفصل الخامس عشر

إن بالاني لم يشك فيما قالته كروتما عن عن قصة علاقتها بفريكولتي ، ولكن تلك القصة ما زالت لطخة عار في جبين حياته الزوجية ، وصار بالاني كئيبا فاتر النشاط . وهل يستطيع له أن يفند رأي بابو علنا ؟ ويعرف بالاني أنها عفيفة السيرة ولكن بابو إذا قال له أمام الناس إنها لا تصلح للساحل ، فكيف يعارض قوله ، ويثبت براءتها ؟ وقد أخذها معه من قدمي أبيها ، ولا يسمح واجبه كصياد أمين لأن ينبذها ، وإذا تركها فأين تذهب ؟ .

وصارحته بكل شيء ، وهو مصدق لقولها وهي تصده بعين باكية ، وبنظرة الاعتراف بأخطائها ، أنها تعيش في المستقبل عيشة صالحة طاهرة وطلبت منه أن ينسى ما حدث ، ولا ينكر بالاني في أنها لوفى لوعدها كاملا غير منقوص .

ولا يقدر أن يقبلها بحب وحنان ، وأن معانقته إياها لا تتحمس كما كان قبل ، وهي تتأوه بعبارات غير مفهومة في غمرة الدموع ، وتمسك بكل قوة بيديها الناعمتين مخافة أن يفلت من قبضتها ، وتتوهم أن قبضتها تلين في كل آونة ، وتسأله عما إذا كان يصدقها ؟ ولا يسأله عما إذا كان يحبها ؟ وهل تشك في أن تخرج هذا السؤال ؟

ولأول مرة في حياته تخاصم بالاني مع الناس وذات يوم تحدث إليه بابو صراحة عن أشياء من سيرة كروتما ، وقد سمع بالاني هذه القصة من كروتما نفسها ، ولكن كيف يسكت عندما يسمع شخصا أجنبيا يطعن في سيرة زوجته ؟

واشتد النقاش بينهما ، ووجه بالاني ضربة إلى بابو ، ولم ينحصر صدى هذا الخصام بينهما

لشيرون

فقط ، فإن يا يو من عائلة كبيرة ، وأفرادها كثيرة . وبدأوا يتساءلون : كيف تجرأ يالاني على ضرب صياد من عائلة "نيشفو كوتام" ؟

ومن ناحية أخرى توقف برنامجها لتنظيم البيت ، وإن حصول الصيد كان ضئيلا جدا في تلك الأيام ، وليس ليالاني أي رغبة في العمل . وفوق هذا وذاك فكروتما لا تجرؤ على أن تسأله عن حصته اليومية . ألا يريد أن يرتبط ويصطحب إلى مهرجان "أيليلم" في "مانارشالا" ؟

وهل يوسع بيته ويدبر لوازمه ؟ وكان له مشروع من قبل لشراء قارب وشبكة ، وقد صار الآن في حكم الملغى . وليس مجتأ كرا في تحقيقه . وواجه المشاكل حتى في قضاء ضروراتها اليومية ، وتحتاج كروتما إلى البلوزة والإزار . وما كان ليالاني إلا قميص مرقع .

وسألته كروتما يوما :

– هل سأذهب إلى الشرق لبيع الأسماك ابتداء من الغد ؟

ولم يجب يالاني فورا ، وبدت له الفوائد المترتبة على مثل هذه التجارة ، ولكنها لن تصدم بطالته إذا أذن لها به . وقال :

– حسنا ، فاذهبي !

واشترت سلة خلال يومين . ولما عادت القوارب إلى الشاطئ في اليوم التالي كانت كروتما حاضرة فيه لتشتري الأسماك من أصحاب القوارب لكي تبيعها في القرى الشرقية ، وتركته للعمل ولم تمض إلا مدة قصيرة على زواجها . وسألت "كوشومن" :

– لماذا جئت يا بنت لشراء الأسماك ؟

– أنا أيضا من بنات هذا الساحل .

وقد صار هذا موضوع الكلام بين أهالي الساحل ، وانقسموا إلى مؤيدين ومنكرين لهذه الفعلة . ولم تتعود كروتما على هذا العمل من قبل . وهل فكرت

شاكرا

أنها سوف تضطر للقيام ببيع الأسماك في القرى المجاورة كما فعلته أمها ؟ وهل ظنت حقاً في حياتها أن ابنتها أيضاً ستحمل سلة ثقيلة وتتجول في القرى الشرقية ؟ وهل كان لكروتما أيضاً مشروعها لادخار مبلغ من المال من كسب يدها ؟ ...

واشترت خمسة من البائعات المتجولات من أحد أصحاب القوارب حصيلة يومه من الصيد بالجملة ، أسرعت بها زميلات كروتما إلى الشرق ، ولكنها لم تقدر أن تسرع مثلهن بسلتها ، فإنها غير متمرنة عليه . ولا تعرف طرق الأمكنة المخصصة للبيع ولا البيوت . وبدأت تنادي بالأسماك عند باب كل بيت . وكان البعض قد اشترى الأسماك لتوه من زميلاتها اللاتي سبقنها . وسأل البعض عن نوعية أسماكها ، فلما عرفوا أنها من النوع الصغير لم يعجبهم ذلك . وفي بيوت أخرى لم يوافقوا على السعر المطلوب . ولما تعبت من طول تجوالها وعدم الاقبال على أسماكها شعرت بتعب شديد وقررت أن تبيعها بأي ثمن .

وهكذا عادت يومها ، ~~[illegible]~~ مرهقة الأعصاب ، وقد خسرت في تجارتها .

ولكنها استفادت من هذه التجارب بعض الشيء ، وقد عرفت الطرق ووسائل البيع . وعندما عادت كروتما إلى البيت وجدت بالاني ينتظرها وفي فمه دخان "بيدي" . فكانت في غاية التعب والارهاق وقد خارت قواها وظنت أنه سيسألها عن حالها رأفة بها . أليس لها حق لأن تتوقع منه ذلك ؟ وعلى الأقل كان لا بد أن ~~[illegible]~~ يستفسر منها عن مصير هذه المهمة التي قامت بها لأول مرة في حياتها ، أولم تقم بها من أجله أيضاً ؟ ولكن بالاني لم يعبأ بشيء من ذلك ؟ وجلس في مكانه كأنها لم تخرج من البيت . وهل لها حق الاعتراض على معاملته هذه ؟ ~~[illegible]~~ أو أن تأسف على هذا

الجمال الذى بدأ منه ؟ لا ، ليس الرأى
حق فى ذلك - ولكنها زوجة له ، وعليها واجبات
نحوه ، وإن لم تكن لها حقوق .
فسألته :
- هل أكلت شيئاً ؟
وأجاب :
- نعم
ولما فرغت من الاغتسال لم تجد غياراً لملابسها ،
فلبست ما كان عليها ، ثم قصت عليه أخبار تجارتها
فى ذلك اليوم قبل أن يسألها ، فقالت : ولو
أنها خسرت اليوم فقد حصلت على بعض التجارب
التى تفيدها فى المستقبل .
وفى اليوم التالى كانت حصيلة الصيد من
أسماك " رنكة " ، واشترطت بكل ما معها من
النقود ، وذهبت خلف البائعات الأخريات
اليوم السابق ، وكانت فى انتظارها العاملات
التى وعدتها بأن تشترى منها الأسماك يومياً ،
وباعت كروتها بثمن أرخص من زميلاتها . ولو
لأن ربحها ضئيلاً فقد كسبت بعض الزبائن ، حيث
فضل هؤلاء الزبائن الشراء من هذه السماكة الجديدة
لأنها طيبة الخلق ومعاملتها رخيصة .
وبعد بضعة أيام نشب خصام عنيف فى الساحل
أوقفت البائعات المتجولات جميعاً فى صف
واحد ضد كروتها حسداً وكراهية . وشعرت وهى
لا تستطيع أن ترد بالمثل لأنها لم تتعود على مثل
هذه المناقشات الحادة ، والمناوشات . وبكت دهشة
وأسى . فقالت إحداهن غاضبة :
- هذه كانت تعيش فى أحد السواحل وتحب
شاباً صالحاً فقد جاءت الآن إلى
ساحلنا لتفسده .
وأضافت أخرى :
- ستجد تجارة رابحة . وفى جميع البيوت ترحيب

الرجال في الشراع منذ وهي بنت مراهقة.
وهكذا تكلم الناس في وجوه علنا عن السوء في سيرتها وهي عنه بريئة. وبدا كل شيء في عينها باطلا. وانسدت أذناها ورجعت إلى بيتها باكية. ولم تجد في هذا الوجود أحدا يقول كلمة في صالحها. ولم تعرف أحد صدق حقيقتها. وقد حرمت حتى من حطام الحياة كسائر نساء الصيادين!!
ولما عاد يالدين من العمل يسأل شيئا عن عدم ذهابها للتجارة إلى الشرق في ذلك اليوم. وإنما نظر إلى وجهها باهتمام. وأن وجهها المبلول ليس بجديد عليه، ولكن وجهها قد بدا أكثر وجوما وفتورا من المعتاد. واستفسر عن سببه، وأجابت بعدم سبب خاص، وماذا تستطيع أن تقول له غير ذلك؟ وهل بيناسرها أن تحكي له بكل ما حدث؟.
وهل معنى هذا أن كل امرأة في ساحل نيركوناتوبورا بريئة من كل نوع من الأخطاء؟ ولم يحدث شيء من هذا القبيل لواحدة منهن إلى الآن!
وعندما يشتد النزاع بين السيدات في نيركونام، تقول كل واحدة منهن حكاية عن الأخرى حتى يظن أن وراء كل منهن قصة حب وغرام، ولا تعرف شيئا عن نساء هذا الساحل، وإلا لكانت كروتما أيضا تبادلهن بعض قصص. ولم لا تفعل ذلك؟
وما هو ذنبها؟
ولم يلعب البنون والبنات معا في هذا الساحل أيام الطفولة! وقد رأت فعلا الصغار من البنين والبنات في هذا الشاطئ يمرحون ويلتقطون الصدف ويجمعون الأسماك المتناثرة ويلعبون في الرمال.
وهؤلاء النساء اللاتي يلمنها أيضا قد نشأن في هذا الساحل. وفكرت كروتما في حيله لكي تجمع سيرتهن في حياتهن الغرامية!
وهل شاعت في هذا الساحل قصة امرأة فاسدة في قديم الزمن؟. وهل تطير روح سماكة

رمية في سمائه في الليالي المقمرة ؟ ولكن لم تسمع هنا أنشودة أسطورية من هذا النوع .

وألغت الذهاب للتجارة الى الشرق ، وشرعت في مهنة أخرى . إنها تشتري الأسماك من الشاطئ تقوم بتمليحها وتجفيفها ، ثم تبيعها في أيام قحط الحصيلة في البحر ، والى أصحاب المحلات التجارية .

وهكذا ابتدأت حياة عزلة في تجارتها وبيتها وشئونها كلها . ولم تكن هنا أيضا صديقة لها من الجيران ، أو من زميلاتها في العمل ، وقضت أيامها في قعر بيتها في هدوء وصمت عميقين .

وكذلك تسربت الوحشة والعزلة الى حياة يالدز أيضا . فيذهب يوميا الى العمل ، ولكن آماله قد اضمحل ، وحيويته قد تضاءلت . وعاش كأنه هجر رفقاءه وأصحابه ، وتعادل مستوى حالتي كروتما ويالدز ، وأصبحت بدون حماس ونشاط وسادها الركود والخمول ، ولم يكن ركودا طبيعيا . ولكن حماسا متوقدا قد انطفأ في لحظة واحدة ، وأن انطلاقا قويا قد تحطم على صخرة مفاجئة على غير توقع ؛ وأن مشروعا طويل المدى قد انهار بسبب اليأس والألم . وكيف تكون إذن حياتهما الزوجية ؟ أوليس في الدنيا علاقة زوجية باردة وواهية ؟

وربما كان يالدز قد ارتاح بهذه الحالة ، وكذلك كروتما . وبينما أصبحت كروتما موضوع حديث الناس في الساحل ، بدأ الناس يطيلون ألسنتهم في يالدز أيضا ، ويتمتمون أشياء كلما يرونه في طريقه الى البحر أو في عودته ، وأحس بنفسه هذا التحول الجذري الذي حدث في أذهان الناس عن أمره .

وقبل أن يدخل في حياته الزوجية منذ بضعة أشهر أخيرة ، لم يكن له أي ارتباط ملحوظ بالحياة الاجتماعية في الساحل ، وحينما ليس كان الناس يستفسرون عن أحواله وصحته ، واشتهر بينهم

باستقامته وخلقه الفاضل . وقد لحظ انهم ينظرون
إليه بعين الريبة والاحتقار . وأي فرق بين
الحالتين ؟ ولم يرتكب بالدني اي ذنب في حق
احد . ولم يسلموا الى يد هذا الجدّاف الخبير المجداف منذ ذلك
اليوم الذي سار فيه بقاربه هائما الى أعماق البحر
ويخاف منه الجميع . ولعلهم يعتقدون فيه
أعمالا مصابة بلعنة الشيطان ! أو هم يظنون أن زوجته
كروتما هي طريقة السلوك . وتسبب الرجال الأجلاء
اوهم تلقوا الانذار من زوجاتهم لئلا يذهبوا
الى البحر مع زوجها .

وهكذا تحولت لهم المعتقدات الموروثة الشائعة
بين اهالي الساحل ، ولا يوجد احد في هذا العالم
ليدافع عن كروتما المسكينة وكذلك عن بالدني .
وكان في مكنة الجميع أن يشعروا أي شيء عنهما .
وقد كان عند "كنجان والاكاران" عدة قوارب ،
ولكن لم أصبح لا يملك الآن إلا القارب الذي يعمل
عليه بالدني . وهو يعتبر المورد الوحيد لرزقه
ورزق أولاده ، حيث أنه لا يستطيع أن يقوم
بأي عمل آخر لكبر سنه ومكانته بين أهل الساحل .
ولما وصلت الى سمعه هذه الإشاعات عن
كروتما داخله الخوف من أن يشتغل معه زوج
امرأة فاسدة ، وأصبح قلقا على مستقبل قاربه .
وخاف أن يكون وجود بالدني في قاربه
سببا لتعرضه للعواصف والأمواج العاتية وثورة
البحر الأخرى . وتشاور "كنجان والاكاران" مع عماله
الآخرين في أمر بالدني ، وأبدى الجميع مخاوفهم
من وجود بالدني معهم في القارب .
واشتدت هذه المخاوف يوما بعد يوم بسبب
الإشاعات المتكررة من نساء الساحل حول
كروتما . واجتمع كنجان والاكاران بعماله يوما
فقال كوماران :
— أنت خائف على قاربك فقط ، أما نحن

فيابقون على حياتنا ، وإذا حدث لنا شيء ،
فمعنى ذلك أن اثنى عشر عائلة ستصبح
مشردة ،
حتى صديقه "ويلا يودهان" لم يعارض هذا الرأى
وقال كنجان والاكاران :
- نعم . نعم إن كلامك حق ، فإن البحر
اللازم لا يترددون فى مثل هذه الأمور .
وكان الكل مجمعين على هذا الرأى . فهم يعتقدون
أن شريعة البحر ثابتة لا تتغير . وقال كوماروخاكثا :
- وإذا جاء ذلك الشاب المسلم الى ساحلنا
ونحن فى عرض البحر فماذا يكون مصيرنا ؟
وارتعدت فرائص كنجان والاكاران حينما سمع هذا
الكلام وقال :
- نعم ، ماذا يكون مصيرنا إذن ؟
وقال "آندى كونج" بانفعال :
- يقال إنه يتردد على ساحلنا بين حين وآخر .
وسأل كنجان والاكاران :
- هكذا ؟ ولماذا لا نقتله إذن ؟
وقال ويلايودهان :
- ألا يكون ذلك سببا فى جلب مصائب أفدح مما
نتوقعه ؟
وكانت نساء الساحل تعيش فى قلق دائم . وحينما تنزل
القوارب الى البحر يخيم الخوف والاضطرابات عليهن حتى
تعود قافلة القوارب بسلام الى الشاطئ . وأضاف
آندى كونج قائلا :
- إن البحر الأم سيسامح بعضنا من أعماق المياه
بقدر دعاء نسائنا فى الساحل ، وإذا كنا
فى الزمن القديم لما أصبح لنا أثر فى الوجود
الآن ، ولكنا أشلاء فى قاع البحر .
وقال "ويلوتاكونج" إنه سمع من يابو أنه رأى فريكوتى
قبل أيام قلائل وهو يسير فى الساحل فى منتصف الليل
يغنى بعض الأغنيات ، وكان الجميع يعطفون على

بالدلو ويرثون لحاله . ويفكرون في كيفية تخليصه
من هذا المصير . وسأل كنجان والاكامارن قائلا :
- وما هو المخرج الذي من هذا المأزق ؟
ورأى كومارو أن المخرج الوحيد هو إبعاد بالدلو
من العمل في القارب .
وحكى كومارو مرة أخرى قصة تصريفه دفة
القارب إلى أعماق البحر مثل من أصابته مسة
من الشيطان . فقال :
- إنه من المحتمل أن تتشابه لهذه الحالة
في أية لحظة . وكلما معه أركب
معه ألاحظ وجربه لأعرف التغيرات
التي تطرأ عليه .
ووافق الجميع على صحة رأي كومارو . ولكن
فصل بالدلو من العمل كان أمرا مؤلما لهم جميعا ،
لأنه كان يعمل في قارب كنجا والاكاماران منذ
الصغر . وحصل التجارب الكافية في
عمله حتى أصبح صاحب دفة القيادة . وبفضل
كفاءته ومهارته في تصريف الدفة ، وقد أحرز
كنجان والاكامارن تقدما مرموقا في كسبه .
ووجه سؤالا عاما إلى الجميع :
- يا كومارو ! منذ أن ترك بالدلو دفة
القيادة في القارب ، ألم تصبح حصتك
من أرباح الحصيلة أقل مما كانت عليه من
قبل ؟
وأما كومارو فقد وافق على هذا الأمر . ولكن
ما هو إذن المخرج الذي ينقذ/مستقبله من الدمار
الكامل ؟ وكيف ومن يبلغ بالدلو هذا القرار ؟
ولا يقدم عليه كنجان والاكامارن بنفسه لأن قلبه
لا يطاوع على ذلك . وقال متوجها لكومارو :
- فليخبره أحد منكم .
ولا يجرؤ أحد على إبلاغه هذا الرأي ، فما هو الحل
إذن ؟

وتقدم "كروتيا" باقتراح جديد!
- علينا أن نغادر الشاطئ إلى البحر قبل موعد وصول بالدن.. أليس هو الطريق الذي يتبعه أصحاب القوارب في السواحل لتغيير عماله؟

وأن كنجان والاكاران يعرف جيدا هذه الطريقة المتبعة في السواحل، ولكن العامل المفصول سيخاصم صاحب القارب فيما بعد. وفكر كنجان والاكاران فيرد فعل بالدن بعد هذه العملية؟ وكيف نواجهه مرة أخرى؟

وانصرف الجميع بعد أن اتفقوا على اتباع هذه الطريقة في اليوم التالي. ودبر كنجان والاكاران عاملا آخر يشتغل في قاربه مبدلا من بالدن.

ووصل بالدن إلى الشاطئ في صباح اليوم التالي مبكرا كالمعتاد، فوجد القارب قد غادره، وصاح بأعلى صوته، ولم يسمع هذا الشاطئ صوتا عاليا مثله من قبل، وكان بمثابة احتجاج شديد اللهجة من طرف أحد أبناء البحر حينما علم أنه حرم من حقه في العمل فيه ظلما وزورا. وقد خاض لمصارعة أمواجه وتياراته. وقاوم الأعاصير وثورات الطبيعة منذ عشرات السنين، وها هو ذا يحرم من هذا اليوم هذا ذلك كله، وانتشر صدى هذا الاحتجاج الذي انبعث من أعماق قلبه في أرجاء الشاطئ بل ودخل إلى واحاته وأطرافه، وقد أنكر خدماته ذلك القارب الذي أحبه وعمل فيه عدة سنوات ماضية بكل اخلاص وهمة.

ويتوجه إلى الغرب تاركا ابنه البار وحيدا كئيبا في الشاطئ معلنا قراره القاسي بأن بالدن لا يصلح للعمل في البحر!!

ولا يهدأ ثائرته المتحمسة، ويعرف مدى مغبة هذه العملية وألقى جسمه القوي إلى البحر وصارع الأمواج ليلحق قاربه ويستعيد حقه المسلوب.

ووثب إلى الغريق تجاه القارب مثل وحوش البحر
...التا حقه في أن نعيش كصياد وكابن بار
...لاكبر الأكرم. ولكن موجا عاتيا جبارا قد طارده
...ن أمامه وألقاه إلى الشاطئ بقوة وعنف، وقد
...ـل يالاك في محاولته، وخارت قواه وضعفت
...عضلاته المفتولة. وقام من مكانه وهرب إلى
...ـيت صاحب القارب كنيان والاكاران ليوجه
إليه سؤالا:

- أأنت صالحا للعمل في البحر؟

ولم يحر كنيان والاكاران جوابا. ولكنه
...را فقال:

- أنظر يا يالاك! إنه لدجل —

- إنه كذب محض، وزور وبهتان. وليست
لفاسدة. إني أعلم ذلك جيدا،

- لكن هذا هو الذي يقوله الجميع يا يالاك!

وقال يالاك بألم وسخط بالغين:

- وهم يقولون ذلك.

ثم مشى.

. . . .

الفصل السادس عشر

لما عاد بالدى إلى البيت من الشاطئ، أدهشت كروتما، ولم تكن تدرى شيئا مما حدث، وسألته:

— ماذا جرى لك اليوم ؟

وأجاب بالدى:

— يقولون إنك فاسدة، ولهذا قرروا أننى لا أصلح للعمل معهم فى البحر.

وكان لهذه الكلمات وقع الصاعقة على نفس كروتما، فهى وإن كانت تعرف أن الناس يقولون عنها هذه الشائعات إلا أنها لم تسمع ذلك من فم زوجها من قبل. وها هى اليوم تسمعها منه هو أيضا ولو أنه قالها حكاية على لسان الآخرين، وهكذا تسببت كروتما فى طرد صياد ماهر عن العمل مع الآخرين فى الساحل.

وسألها بالدى:

— إنك تعرفين أنك ابنة صياد، فلماذا كنت تضحكين وتلعبين مع ذلك الشاب المسلم فى أيام الصغر ؟

وكان هذا السؤال فى محله، ولكن أحدا لم يوجهه إليها من قبل بمثل هذه الصراحة، ولو أن أمها نصحتها من عدم التمادى فى هذا أيام أن كانت صغيرة، إلا أنها لم تقل لها ذلك بهذا الأسلوب، وفهمت كروتما مغزى هذا السؤال جيدا غير أنها لم تجد جوابا على ذلك إلا الاعتراف بخطئها، وطلب العفو من زوجها. فقالت والدموع تنهمر من عينيها:

— لقد حدث ما حدث، وانتهى كل شئ. والآن أرجو صفحك.

ولم يكن غضبه موجها إليها فقال لها:

— لماذا أتهمك وليس الذنب ذنبك ؟

وشعرت كروتما بارتياح كبير، إذ علمت أن زوجها

قد عفا عنها وقبل عذرها. ولم يكن بالدي يعاتبها على عدم بعدها عن مواطن الشبهات. وأضاف بالدي قائلا:

— لقد تركوا البنت تمرح وتلعب مع شاب مسلم، وهم الآن تعاني نتائج ذلك الإهمال. أليس من واجب الوالدين الاعتناء الكامل بأولادهم الصغار؟

واستطرد بالدي في كلامه مركزا نظره على ولده:

— لعل والدك قد اشترى القارب والشبكة ملمحا ببنته أمام ذلك الشاب. وختمه... إن هذا لأمر عجاب!

وكان هذا الشك من بالدي في محله. وهو الواقع نفسه. وقد أرادت كرومتا عدة مرات أن تفصح له عن هذا السر بصراحة، ولكنها أحجمت عن ذلك وأدركت أخيرا أنه كان عليها أن تخبره عن ذلك أيضا بكل صراحة.

وقال بالدي محذرا إياها:

— انظري! عليك أن تربي مولودك الجديد كما رباك والدك، وإذا كان بنتا فعليك أن تحذريها لتكون دائما لمستقبل أحد الصيادين. هل فهمت؟

وفهمت كرومتا نص كلامه جيدا، ووعدت بأنها ستكون في حذر تام لئلا يتكرر لمولودها ما حدث لها. لقد أخذت درسا قاسيا وعبرة كبرى من حياتها.

ولأول مرة سمعت منه عن الجنين الذي في بطنها، ولأول مرة تعرف أنه لم يتهمها على رغم الشائعات الكثيرة التي تقال عنها. وكان ذلك مبعث ارتياح كبير لها. ودنت منه وجلست بجواره، ولم يظهر عليه أي تذمر أو ضيق منها، ثم سألته:

— وماذا سنعمل الآن لكي نعيش؟

ولعنت الناس الذين عرقلوا طريق حياتهم.

— إن هؤلاء الظالمين يسدون الطريق أمامي للعمل

في تجارة الأسماك لكسب قوت يومها . وها هم الآن يعرقلون طريقك للعمل في البحر الذي هو مصدر رزقنا .

وتنفس يالالي الصعداء ، وقال بكل حزم وعزم :

– انني صياد وسأعيش صيادا وأموت صيادا .

ورأت كروتما نفرط أمام رجل كامل الرجولة مفتول العضلات . واطمأنت إلى أنها تحب كنف رجل مصمم على كسب قوته بعمل يده رغم مناوأة الآخرين ودسائسهم .

وقال يالالي وهو يعض على نواجذه :

– من ذا الذي تستطيع أن يدعي أنني غير صالح في البحر ؟ وإنني خلقت لأعمل في البحر وكل ما في البحر من حقي . ومن ينكر على هذا الحق ؟

وقد دخل قلبه شعور قوي بأنه صاحب حق شرعي في البحر كصياد مثل الآخرين ، وهو أحد الوارثين لثروة البحر الذي غير المتناهية .

وأضاف قائلا :

– إن الصياد لا يعمل في الحفر والحرث . وأن يالالي لن يذهب إلى ذلك أبدا .

ثم طمأن يالالي زوجته قائلا :

– لا تتعبي نفسك كثيرا في التفكير ، فإن يالالي سيعيش من محصول البحر .

وبدأ يالالي تذهب إلى البحر وهو لم يتجاوز الخامسة من عمره ، ولم ينقطع عن العمل منذ ذلك الحين إلى هذا اليوم . وكان في هذه اللحظات يرى القوارب وهي تسير في عرض البحر ، وكان محصول السردين والرنجة متوفرا في ذلك اليوم .

وشعر يالالي باستياء بالغ لما حدث له ، إذ حرم هو وزوجته من المعيشة بمحصول البحر الذي هو حق طبيعي لكل صياد وصيادة . وسألته كروتما :

– هل أذهب للتجارة في الأسماك ؟

لكن يالالي منعها من ذلك وقال :

- لا، عليك ألا تخرجي من البيت لئلا تتعبي، فأنت حامل.
- إنني لا أشعر بأي تعب، فأنا لم أصل بعد الى هذا الحد.
فقال لها بالدفي بكل حزم وثقة:
- أنا الذي أتيت بك الى هنا، وإنني متكفل بمعيشتك، وليس عليك أنت أن تعملي شيئا
وهكذا شعرت كروتما أنها تعيش مع رجل يقدر المسئولية، ويحترم زوجته ويعمل على راحتها، وأنه لا توجد زوجة في الساحل كله لها زوج مثل زوجها في الشجاعة والرجولة، وأدركت معنى الحياة الزوجية الحقة، فهو يقول لها أنه متكفل بجميع لوازم حياتها، وأنه يشفق عليها من العمل. وتوصلا إلى تفاهم تام نحو مستقبل حياتهما، ولم يبق عند بالدفي إلا نصيحة يوجهها الى
- بالروتما، عليك أن تراعي دائما في حياتك التقاليد والعادات المتبعة في هذا الساحل وأن تعيشي كأحدى بناته.
وهكذا [illegible] صارحها بالدفي لأول مرة بهذا الشكل، ولم يحدث معها مثل هذا الحديث الودي في تحديد مستقبل ونظام حياتهما الزوجية، والمحافظة على التقاليد والعادات شيء معروف بين الزوجات، ولكن من حق الزوج أن يطالب زوجته بذلك، كما أن هذه المطالبة تعتبر جزءا لا يتجزأ من المراسم المتبعة في الزواج، حيث ترد في مراسم الزواج هذه العبارة:
"عليك أن تحافظي على الآداب والتقاليد الموروثة"
وانحنت كروتما على صدره يملؤها السعادة والطمأنينة، وقد بللت دموع الفرحة صدرها، ووجهت إليه سؤالا منبعثا من أعماق قلبها:
- لماذا تقول لي ذلك؟ لقد ارتكبت خطأ مرة، وهل من المعقول أن أعدل عن الصراط السوي مرة أخرى؟
ومسح بالدفي بيده على ظهرها وقال:

- لبد تبكي ياكروتما . فليس هناك ما يدعو للبكاء
وأثقت عرى المحبة والوئام بينهما ، واطمأنت كل منهما إلى الأخرى ، فليس لبيالاجي أحد سواها كما أنه ليس لها أحد سواه . وقررا أن يسيرا قدما في طريق حياتهما المتصلة .
وعادت القوارب إلى الشاطئ من عرض البحر، وتجمع حولها تجار الأسماك .
وتخيل بيالاجي ما يدور في خلد زملائه الذين يعلمهم يذكرون أنهم قد نجحوا في تحقيق مؤامرتهم ويتساءلون فيما بينهم عن مستقبل حياته بعد أن أقصوه عن العمل في القارب . ولكنه ليس من أولئك الذين يعترفون بالهزيمة فهو يشق طريق حياته بكل اصرار وعزم .
أما كروتما فقد كان يدور في خلدها سؤال واحد تريد جوابا صريحا عنه ، فسألت بيالاجي :
- أليس من الممكن أن يكون قد حدث لزوجات هؤلاء الصيادين أيضا مثل ما حدث لي ؟
- من غير شك . ولهن يخفين ذلك .
وقررت كروتما أن تستطلع أسرارهن، وأن تسألهن عن ذلك ، وقالت :
- إنني سأكشف أسرارهن جميعا وأنتقم منهن في يوم من الأيام .
وأصبحا على اتفاق تام في كل شيء ، ولم يبق أمامهما إلا أمر واحد ، وهو كسب لقمة العيش من أجل المعيشة وكسب قوتهما . وقالت كروتما :
- ماذا سنعمل ؟ ولماذا لا تقول شيئا عن هذا الأمر ؟
وكان هذا السؤال يشغل تفكير بيالاجي أيضا ولكنه لم يصل بعد إلى قرار نهائي بالنسبة لهذا الأمر . وأضافت كروتما :
- عندي اثنا عشرة روبية .
وماذا يفيد هذا المبلغ الضئيل ؟ فحتى شراء شبكة اليد الصغيرة يحتاج إلى ما لا يقل عن ثلاثين روبية . وتوصلت كروتما إلى فكرة جديدة :
- لماذا لا نشتري صنارة ؟

- إذا اشترينا الصنارة فكيف نحصل على القارب الصغير
- وحينئذ نحتاج أيضاً إلى شخص يعمل معك ، وهل هناك أحد مستعد للعمل معك ؟
وقال بالدي فى مجال بحث الفكرة :
- اترك هذا الأمر الآخر . إذا حصلت على القارب فإنني أستطيع أن أعمل فيه وحدى لكسب قوت يومنا
وأشارت عليه كروتما بأن تستأجر قارباً صغيراً لتعمل عليه بالصنارة ، فقال لها :
- ومن الذي يؤجر لنا قاربه ، وكلهم يخافون علينا منا ؟
- وما هى الحيلة إذن ؟
وفكر بالدى قليلاً ثم قال :
- أعطنى المبلغ الذى عندك لأشترى به صنارة ،
وأعطته كروتما المبلغ ، فخرج لشراء الصنارة ، وأيقنت كروتما أنها زوجة رجل قد عقد عزمه على أن يشق طريق حياته بنفسه ، وبدأت تتخيل لهما بيتاً مؤثثاً بكل لوازمه وقارباً خاصاً وشبكة ، وأنها فى العام القادم ستذهب إلى مهرجان "أملبام" فى ثياب جديدة زاهية . وتمنت أن لا يكون الجنين الذى فى بطنها بنتاً ، فهى قد عانت بنفسها شدة كونها بنتاً . حتى لو شاء القدر أن يكون المولود بنتاً فإنها لن تسمح لها باللعب واللهو مع الصبيان حتى لا تتكرر قصتها ومأساتها . وإن كان المولود ابناً فإنها ستراقبه لكى لا يكون سبباً لمأساة بنت أخرى .
ودخلت كروتما إلى المطبخ لتعد الأرز والطعام وتمنت أن يأكلا سوياً هى وبالدى فى هذا اليوم ، كما أكلا فى أول يوم لزفافهما .
وهكذا عاشت كروتما فى أحلام اليقظة ، ووجدت نفسها قادرة على أن تتحمل كل شيء فى سبيل حياتها ، وهى الآن فى كنف زوج يحبها ويعطف عليها ويسهر على راحتها ، وشكرت الإله على أن أنقذها من هذه المصائب .

وحماها من شرورها .

وعاد بالدي بعد غروب الشمس ، وهو يحمل عددا من الصنارات الكبيرة والصغيرة ثم نظمها في الحبال وأعدها للصيد .

وحينما نام أهل الساحل والصيادون خرج بالدي ومعه الصنارات ، وأصرت كروتما على أن تعرف وجهته التي يريدها فأخبرها بالدي بأنه سيذهب إلى الشاطئ لينزل أحد القوارب المركونة على الرمال إلى البحر ويصيد عليه بصنارته ، ثم يعيده قبل أن يصحو الصيادون ، وقال لها :

- لابد أن أعيش من البحر أيضا كما يعيش الآخرون .

وأخذ كروتما خوف شديد من أن ينزل بالدي إلى البحر وحده ، وهناك عديد من المخاطر يمكن أن تحيط به ، وقالت :

- اسمع ..

- ماذا تريدين ؟

- وكيف تذهب وحيدا إلى البحر ؟

- إني ابن البحر ...

ولما مشى عدة خطوات قالت له كروتما :

- أرجوك ألا تذهب بعيدا عن الشاطئ .

وواصل بالدي سيره ، ولم يرد بشيء ، وجلست كروتما تحت شجرة جوز الهند في فناء البيت ولم يقرب النوم جفونها ، ورأت بالدي بعد أن ينزل بأحد القوارب إلى البحر ، وأخذت تدعو له من أعماق قلبها .

وعاد بالدي قبل أن يستيقظ الساحل بالقارب ومعه بعض الأسماك التي جمعها بصنارته . وفي الصباح الباكر توجه بحصيلة صيده إلى سوق "كارتيكابالي" فباعها بثماني روبيات .

وفكر بالدي في شراء قارب صغير ، ولكن شراء قارب جديد يحتاج إلى مبلغ كبير لا يستطيع أن يدبره إلا بعد أيام كثيرة

الأعراض على كروتما يعود مسرعا من البحر إلى بيته .
وذات يوم عاد بالدلى إلى البيت فوجد فيه بعض النساء
يبشرنه بالمولود الجديد ، وقلن له وعلى شفاههن ابتسامة :
" إنها بنت " وقدمتها إليه ، ولم يكن يعرف
كيف يحملها ، فهو لم يحمل طفلا من قبل في حياته ،
ولما انفرد الزوج والزوجة سألها بالدلى :
- لماذا أراك مهمومة هكذا ؟ ألكون المولود بنتا ؟
فقالت كروتما :
- كنت أتمنى أن يكون صبيا ، أليست هذه أمنيتك
أنت أيضا ؟
- لا . لا فرق عندى بين أن يكون ابنا أو بنتا .
- أنت لا تقول ما فى نفسك ،
- ولماذا ؟ وما هو الفرق بين أن يكون ابنا أو بنتا
ولكن كروتما أكدت له ما عزمت عليه بالكلمات الآتية :
- مهما كان الأمر فإننى لن أسمح بأن تكون هذه
البنت كروتما أخرى .
وقال بالدلى مبتسما :
- وأنا أيضا لن أكون جبانا كنحى آخر ،
ولتغير مجرى حياتهما ، فقد شعر أنهما مرتبطان بشخص
قد دخل حياتهما ومصيره مرتبط بمصيرهما . وقد سر
بالدلى سرورا كبيرا بطفلته الصغيرة ، وحينما كان
يذهب إلى البحر للصيد بصنارته كان يتذكر عينى طفلته
الجميلتين فيتوق قلبه للعودة إلى البيت بأسرع ما يمكن
وقت ممكن . ولم يكن يعرف كيف يحمل ابنته ، ولكن
كروتما علمته كيف يحملها ويداعبها ، وحينما كان يكثر
من تدليلها تحذره كروتما من ذلك حتى لا تفسد أخلاقها
فيسرع إلى تركها من بين يديه خوفا عليها من هذا
المصير .
أما بالنسبة لكروتما فإن المولودة الجديدة قد سببت
لها متاعب نفسية كثيرة ، فهى كلما تنظر إليها تتذكر
أمها المتوفاة التى لم تر حضنها ، كما تتذكر أختها
الصغيرة بنجامى التى كانت تعيش معها وهى فى مثل

من هذه الطفلة في غاية الحب والحنان .

وذات يوم عاد بالدي من البحر بخبر جديد إلى كروتما ، فقد علم أن جنان كنجي قد تزوج امرأة من قرية "جيرتبالا" أو غيرها ، وهي تعيش الآن معه في بيته .

وهكذا أصبحت ربة البيت الذي شيدته أم امرأة أخرى لم تزرها ، ولم تسمع عنها .

وبدأت تفكر في علاقة زوجة أبيها الجديدة مع أختها الصغيرة بنجامي ، وكلما كان بالدي يحمل طفلتها بين يديه تتخيل كروتما أن والدها لابد أنه كان يحملها هكذا ويدللها .

وبمرور الزمن توثقت علاقة الحب والمودة بين كروتما وبالدي ، وبدأت تصارحه بأمور كثيرة ، بل إنها أحست باستطاعتها على عتابه إذا دعت الضرورة لذلك . وقالت له يوما :

- ياليتنا قد أقمنا في بيت والدي بعد الزواج حسب رغبته !

وسألها بالدي :

- وهل يقيم صهر عزيز النفس في بيت زوجته ؟

وفي يوم من الأيام قالت كروتما لبالدي وهي تغسل وجهه ابنتها :

- كلما أنظر إلى وجهها أتذكر بنجامي في صغرها ، وربما أنها تقاسي المتاعب الآن من زوجة أبي .

وسألها بالدي مستغربا :

- ولماذا ؟

- هكذا معاملة زوجات الآباء .

- وإذن ماذا تفعل ؟

وقالت كروتما بحذر :

- إنني أحب أن أراها .

ولم يقل بالدي شيئا ردا على هذا القول .

وفي يوم آخر ، وكان في غاية الفرح والابتهاج سألته كروتما :

- هل تسمح لي بأن أذهب إلى نيركونام لأزور بنجامين ؟

ولم يجب يالدني هذا السؤال، وسكت، فقالت له كروتما بضحكة ماكرة :

- إن لك الآن بنتا، ألا تريد أن تزورك عندما تكبر ؟

وسألها يالدني بصوت حازم مرتفع :

- وماذا تريدين أنت في الحقيقة ؟ هل تريدين أن تزوري بنجامين أم فركولي ؟

واندهشت كروتما من سؤاله هذا، فما زال ظل فركولي ماثلا في ذهنه، ألم تمحه الأيام ؟

وأدركت كروتما أنها أخطأت في تقديرها للظروف وقالت له :

- إنني لن أذهب إلى نيركونام، ولن أتكلم في هذا الأمر مرة أخرى.

وخافت كروتما من أن تضطرب حياتها الزوجية التي أصبحت على وشك الاستقرار والهدوء، وسألته والدموع تنزل غزيرة من عينيها :

- ألست واثقا مني ؟

وما زال ذلك الشبح المظلم يحوم حول حياتهما، وما هي الحيلة إلى محوه وإبعاده عن الأذهان ؟ وذلك بلا شك يحتاج إلى جهود متواصلة، ووقت طويل.

. . . .

الفصل السابع عشر

هناك أسطورة شائعة بأن روح الزوجة المتوفاة تحوم حول غرفة نوم زوجها وتظل داخلها في أوقات الليل، أو أنها تصبح جزءا من أنفاسه. وقد قالت جلى قبل موتها لجنبان كنجى أن يتزوج امرأة أخرى ولماذا أوصته بذلك؟ فلعلها كانت تحس أن هذه هى أحسن نصيحة توجهها الى زوجها نظرا لظروفه أو لرغبته فى أن يتمتع بحياة زوجية هانئة وأرادت أن تتحقق رغبته هذه.

فحينما أغمضت جلى عينيها وهى على فراش الموت قال لها جنبان كنجى هامسا فى أذنها وهو يرفع جفنيها: وماذا أعمل بعدك يا جلى؟

وكان الجميع يعرفون أن جلى هى اليد اليمنى لجنبان كنجى، وهى السبب لنجاحه فى عمله وجمع ثروته، ولم يعرف الرجل امرأة مثلها فى التدبير والنشاط.

وماذا كان بوسع جنبان كنجى أن يفعل ومعه بنت صغيرة ليس لها من يرعاها. فقد ذهبت أختها الكبرى الى بيت زوجها ولم تعد الى بيت أبيها مرة أخرى، وهو أيضا لم يدعها الى زيارته. وكانت صدى وصية جلى له بالزواج يرن فى أذنيه دائما. واستشار مرة جاره أجاكنجى:

— ما رأيك فى زواجى مرة ثانية؟

وأجابه أجاكنجى:

— هذا هو الأحسن. فإن ابنتك تحتاج الى أم ترعاها.

— ولكن ليس هناك مثل جلى.

— نعم، لن تستطيع امرأة أن تسد محلها.

وترك جنبان كنجى منحاص عند زلاين لترعاها، ثم خرج هو وأجاكنجى للبحث عن عروس مناسبة لمكانته الاجتماعية وحالته المالية، وقد أسدى لم

أجابكنجي نصائح قيمة عديدة فى هذا الموضوع. فهولم
يعد كما سبق من القوة والنشاط، وقد أصبح
محتاجا إلى رعاية واهتمام خاص.
وعلما أن صاحب القوارب المشهور «مالى كوناق
كاتان كوران» قد مات، وأن أرملته «مالى كنجى»
تعيش وحيدة وهى فى حاجة إلى رجل يرعاها
وأبدى جنبان كنجى رغبته فى أن يتزوج منها،
وأن الحظ قد شق طريقه إلى جنبان كنجى من
بيت هذه المرأة.
ووافقت مالى كنجى على أن تكون زوجة له
وتمت مراسم الزواج، وانتقلت مالى كنجى
وسط ابنائها إلى بيت جنبان كنجى. وما زالت
مالى كنجى تحتفظ بجمالها وأناقتها. ولكن
بنجاس لم تعجبها المرأة الغريبة التى أتت
إلى بيتها. وهربت إلى نالابن فقصرت بأن
تعيش مع زوجة أبيها، وأن تتكلم بشىء يجرحه
وأن تصير امرأته كأمها، ولكن بنجاس لم تجد
تبكى بدون أن تدرى ما هو سر بكائها.
ولأول مرة فى حياته يشعر جنبان كنجى
بخجل نحو بيته القديم، وقال لمالى كنجى مخاطبا:
— بنينا هذا البيت من مدة طويلة حيث
لم نكن نملك القارب والشبكة،
وكذلك ما كانت جكى تهتم بمنزلها ولم
ننشئ بعد بيتا جديدا.
وقرر جنبان كنجى أن يشترى قطعة من الأرض
ويبنى عليها بيتا جديدا يناسب مكانة زوجته
الجديدة، مالى كنجى التى كانت تعيش عيشة
الرغد فى بيت كبير قبل أن يموت زوجها الأول.
وتذكر جنبان كنجى فى تلك اللحظة وصية
جكى عند وفاتها لتتزوج امرأة أخرى ترعى شئونه
بيته وتشرف على أموره، وشعر كأن روح
جكى تحلق فى أجواء بيته.

ودعا جيشان كنجي ابنته الصغيرة بنجامي من بيت جارته تلامين لكي يقدمها إلى زوجته الجديدة،
وقالت لها تلامين:
- اذهبي يا بنتي!
وقالت بنجامي، والدموع تنهمر من عينيها:
- إني لن أذهب.
وقالت تلامين:
- هيّا، وسأذهب معك.
ومسحت تلامين الدموع من عيني بنجامي ونصحتها لئلا تبكي. وأخذت بيدها إلى بيت جيشان كنجي، ونظرت يابي كنجي إلى البنت وسألتها:
- لماذا تبكين يا بنتي؟
وقال جيشان كنجي:
- إنها صغيرة، ولعلها تتذكر أمها.
ثم ضم جيشان كنجي بنته إلى صدره وقال:
- إنها مثل أمك، فلا تبكي يا بنجامي.
ألم يتزوج جيشان كنجي بناء على وصية أمها، ألم تكن تقصد حكي عندما أوصت له بذلك أن تكون زوجته الجديدة عونا له على رعاية بنجامي؟ أليس من حقه أن ينصح ابنته لتطيع زوجته الجديدة، وتعتبرها كأم لها؟
وأما "جينجا دتان" ابن "يابي كنجي" من زوجها الأول كان يعيش مع أمه في جوغريب، ولم يألف الحياة مع زوج أمه، أو بنجامي. وكان شابا يافعا، وأصبح عبئا ثقيلا على أمه، وكما أن بنجامي تفكر دائما: لماذا أتى هذا الشاب إلى بيت أبيها؟، كان "جينجا دتان" أيضا يفكر: لماذا أتت أمه إلى هذا البيت؟ وهل تزوجت أمه من جديد لكي تساعده في حياته؟ أو لكن تعيش في كنف زوج جديد؟
مازال جيشان كنجي يتذكر الوجبة اللذيذة التي أكلها في منزل يابي كنجي عندما ذهب إلى "يابي كوتات"

لشراء العقارب. وهذه الوجبة قد جاءت مصدر الطعام

له ليعيش عيشة الرخاء والبذخ. وقد [illegible] الذي يخلق

له فرصة تتيح له [illegible] تناول ثلاث وجبات الزيدة

من هذا القبيل. ولكنه لم يشعر بعد الطعم الذي

ذاقه في وجبة بالي كونات، ولم يصل الطعام الذي

يقدم إليه في منزله إلى المستوى الذي ذاقه هناك.

وكانت حلى قد اشترت سريرا قبل موتها،

ولكنها لم تنم عليه. ولم تقدر أوطا لذلك تصنع مرتبة

مناسبة لذلك السرير. وفاجأها الموت قبل

أن تحقق بعض أمنيات زوجها جنبان كنتى.

وبعد وصول بالي كنتى إلى بيته صنع

جنبان كنتى مرتبة فاخرة في طراز المرتبة التي

رآها في بيت بالي كونات كانتان كوران"

ولكن صحة بالي كنتى بدأت تتدهور، ونضارة

وجهها تذبل. وربما لم يعد الجو الداخلي الجديد

ملائما لها. وشعر جنبان كنتى أنها قد فقدت

جمالها السابق.

وأعاد جنبان كنتى إلى ذاكرته ذلك المنظر

العجيب الذي قصه على حلى لما عاد [illegible]

من بيت بالي كنتى - منظر حياة الحب والجمال

بين كانتان كوران، وبالي كنتى - والذي

صور في ذهنه صورة حياة هانئة وممتعة.

وأراد أن يمثل نفس المشهد. ولكن

حرارة الشباب قد فقدت في قبلاتهما، ولم

تصحب عناقهما القوة الطاقية، ولم [illegible]

وبلغت ذكريات حلى وكانتان كوران في قلبهما،

وأنى لهما تلك السعادة التي يحصلان لو التقيا

في الشباب؟

وتصنعا الضحك والمرح في حياتهما الجديدة،

ولكن لون التصنع سودهما، ومرارة الذكريات

الماضية تخللهما. وبينما كان جنبان كنتى جبارا

دءوبا على العمل ولا يصبر على التقاعد أو التكاسل

مطلقا ، كان كانتان كوران ينزل الى الشاطئ عندما تصل القوارب من البحر حاملة محصولات الصيد ، وهو في لبسه معطف الجوقانوشو الحمرة ، ثم يعود الى بيته بعد أن يبتاع محصولات قوارب ، وما زالت القصة فيشة جيبان كنجي الآن يمثل دور كانتان كوران عالقة في ذهنه . وأنى له الآن ؟

وذات يوم قال جيبان كنجي لبائع كنكي :

— في هذه الأيام أصبحت حصتنا من محصول الصيد ضئيلة جدا .

ولم تعقب عليه بائع كنكي بشيء . وربما لم تكن المرأة تتعوّد على مثل هذه التعقيبات من قبل ، وأضاف بصوت يقول :

— وما كنت أحصل على حصة القارب والشبكة فقط ، بل كنت أحصل أيضا على حصة صاحب الحرفة . وفضلا عن أن محصول قاربي دائما ~~يفوق~~ يفوق محصولات القوارب الأخرى .

وأردف قائلا وهو يشرق بذكريات طيبة :

— وإذا قدمت إلى جكي فقضينا عقب وتكاثر .

ثم قصت عليه بائع كنكي قصة سالي جكي في سبيل كسب المال من بيع الأسماك المجففة ، والذهاب الى القرى المجاورة للتجارة ، والاشتغال في تصليح الشباك وغيرها في الشاطئ . وأثناء كلامه نظر جيبان كنجي إلى وجهها فرآه كئيبا ، فاستطرد قائلا :

— إني لا أريد أن تفعلي كذلك ، فإن جكي قد تعودت على مثل هذه الأعمال من صغرها ، وأما أنت فلم تقضي حياة على هذه الشاكلة .

ولكن جيبان كنجي قد شعر بأن بائع كنكي آسفة على أن تستمر أحوال الظروف لكي تشاطره نفس

[illegible]

المنزل . وأن كل شيء في هذا المنزل ، حتى السرير الذي نامت عليه من كسب جلي .

وأما جنيادتان فقد أصبح مصدر قلق آخر لبابلي كيني . وأراد أن نغادر هذا المكان في أقرب فرصة ممكنة ، وقال لها :

— لا تعجبني نظرة تلك البنت ، وربما تقول شيئا يوما ما . وأريد أن نغادر هذا المكان قبل أن يحدث ذلك .

وأرادت بابلي كيني أن ترسل ابنتها جنيادتان إلى مكان آخر . ولكن من أين لها نقود لتصاريف سفره . وهي تعرف أن جنبان كيني لن يملك أي مبلغ في هذا الوقت . وتخجل أن تفاتحه في هذا الموضوع .

ولجأت نيجامى إلى حيلة أخرى ، فإنها تلازم أباها دائما فلا تترك فرصة لبابلي كيني لتقترب إليه ، وهي بدورها لم تحاول إبعاد نيجامى عنه .

ورأت بابلي حياة الرخاء والسرور ، وقد فقدت الآن كل شيء . واختارت جنبان كيني منزلا لها في إحدى أيامها ، لا لتعيش حياة زوجية هانئة ، بل لتقضي بقية حياتها في كنف زوج محترم وهي خائفة من خالقها ومؤمنة به ، وليست براغبة في المطالبة من زوجها بأي حق مشروع لها ، وتقضي أيامها في طاعة زوجها . ولكنها تشعر بالأسف لأنها لن تقدر على أن تساعد زوجها جنبان كيني كما ساعدته زوجته الراحلة جلي .

وهل كانت جلي قد أوصت جنبان كيني لأن يتزوج امرأة من هذا النوع ؟ أم كانت تتمنى له زوجة وفية كادحة مثلها ؟

وكبرت نيجامى ، وما كانت تبالي بزوجة أبيها وتخاصم دائما جنيادتان ، وفي رأيها أنهما غريبان في بيتها ، وليس لهما أي حق فيه ،

وذات يوم كانت بالي كيتي تمشي في الشارع وورائها بنيامين ، وسخرت بنيامين من مشي زوجة أبيها . ولما نظرت بالي كيتي إلى الوراء فجأة رأت بنيامين تحاكي مشيتها ضاحكة . وفي نفس الوقت كانت ثلاثين تراقب هذا المشهد من فناء بيتها . وانفجرت بالي كيتي بالبكاء .

ولما عاد جنبان كيتي قالت له بالي كيتي :

— عليك أن تعتني كثيرا بتربية بنتك هذه ، فإن الدلال يفسد أخلاقها ، ولا بد أن يكون الحنان والحب في القلب .

ولم يفهم جنبان كيتي حقيقة الأمر . ولم ترد بالي كيتي أن تصارحه بشكواها ضد بنيامين ، وخافت أنه ربما لا يعجبه أن يسمع عيوب ابنته ، ولذا كانت بالي كيتي حذرة للغاية في كلامها ، وأن جنبان كيتي يعطف على ابنته كثيرا بعد أن فقدت أمها وأختها الكبرى .

ثم قالت بالي كيتي :

— إنها تسخر مني ، ولا تعبأ لي ولطلبها ، وأن الجيران هم الذين يلقنونها مثل هذه العادات .

ونادى جنبان كيتي ابنته بنيامين وكانت في بيت جارته ثلاثين وجاءت بنيامين خائفة من نداء أبيها ، ومنعته بالي كيتي من ضربها ، ومع هذا لم يستطع أن يملك غضبه فضرب ابنته تأديبا . وهكذا أبدى سخطه نحو جيرانه الذين يفسدون أخلاقها .

وبكت بنيامين تدعو "أما" أمها ، وحشدت قلوب الجيران . وأتت ثلاثين مسرعة وضمت بنيامين إلى حضنها ، وسألت بالي كيتي :

— ما هذا يا امرأة ؟ هل تريدين أن تقتلي هذه الطفلة المسكينة ؟

وأجابت بالي كيتي :

- لا أبدا . فكل ما أريده أن لا تفسد أخلاقك في المستقبل
وبدت من جوابه هذا كراهيته نحو الجيران ، وسألت نلاين :
- ما هو الذنب الذي اقترفته لكي تفسد أخلاقي ؟
ثم التفتت نلاين إلى جنبان كنجي ، فقالت غاضبة :
- إياك أن تسمع كلام هذه المرأة فتضل البنت المسكينة !
وسألت بابي كنجي :
- ما دخلك أنت في هذا الأمر ؟
- إن حلي قد استودعت عندي هذه الطفلة قبل أن تموت ، وأن المال الذي تأكلين منه الآن من كسب يد أمها حلى .
وأن بابي كنجي امرأة متزنة ، وذات أخلاق وحلم ولكن لطبيعة امرأة صياد عريق قد ثارت فيها وتغير لونها وانفجرت غيظا ، فقالت :
- هذا صحيح ، ولكن لا تسترسلي في كلامك بهذه الطريقة ، فإني امرأة عاشت مع صاحب القوارب الشهير كاننان كوران وقد عرفت الحياة [illegible] حقها .
وأجابت نلاين فورا :
- وأنك الآن زوجة جنبان كنجي وتأكلين من مال حلى ، فاسكتي !
وسكت جنبان كنجي حائرا لا يدري ماذا يقول ، ونسيت بابي كنجي أيضا نفسها في غمرة الغضب وقالت لنلاين :
- ما حقك هنا ؟ ما علاقتك بجنبان كنجي ؟ أخرجي من البيت .
وثارت ثائرة نلاين غيظا ، فقالت بكل صراحة ووضوح ، إن لها حق التدخل في الأمر لا لأجل

أى شىء إلا أن جنبان كنجى صديق زوجها منذ صغره، ولم تحب زوجها حبا جما، وبالتالى فإن من حقها أن تراعى مصلحة رفيق زوجها الذى سيراعى شئونها هى وأولادها، ومن ناحية أخرى فلابد حكى من أول يوم وصلت فيه إلى هذا البيت صديقة لها، وتوثقت بينهما علاقة الود والصداقة على رغم المشاجرات حينا فآخر، وكررت من جديد قصة استوداع حكى ابنها ينجامى عندها قبل موتها، وتكلمت كثيرا عن قصص علاقات الود والحوار منذ ولادة كروتما وينجامى فى هذا البيت، فقالت:

- مع أنهما لم يخرجا من بطنى ولكنهما بمثابة أولادى من الصغر، وهذا هو حقى يا امرأة!

والتفتت ثلاثين إلى جنبان كنجى وسألت:

- يا جنبان كنجى أترك هذه المرأة المفسدة، وإننى أتكفل بتربية ينجامى.

وأردفت كلامها فورا:

- أنت تستحق كلم. وإنك قد ضايقت وعذبت امرأة طيبة، فماتت مدينة. وأنت رجل جشع، وشردت بنتك الكبرى، وأخيرا بقيت لك الابن هذه الصغيرة فقط، فلا أقول شيئا أكثر من هذا.

ولم تهدأ ثائرة ثلاثين، وتوجهت إلى يابى كنجى فقالت:

- إن من تقاليدنا المتبعة فى هذا الساحل إن المرأة إذا مات زوجها وراء رجل آخر.

ولم تستطع يابى كنجى أن تكف ثلاثين عن التمادى

في كلامه، ومكث جيشان كنجي أيضاً أمام سائق الطوبل. وهدأت نأمرت قليلاً بعد أن أمطرت وابلاً من الكلام الحاد، وكانت غير مستعدة للتخلي عن حقها في بنجامين. وسألت:

- هل تأتي معي يا ابنتي؟

ووقف جيشان كنجي حائراً، ومشت بنجامين مع نيلاش، إن بالي كنجي لم تسمع مثل هذا الكلام في حياتها. وسمعت أنواعاً من الشتائم والعتاب. وسألت وهي لا تملك أعصابها وهز أنها البالغة:

- ألهذا أحضرتني إلى هنا، إنني امرأة عشت حياة شريفة إلى اليوم، وما رأيت مثل هذا من قبل.

ولم تقل جيشان كنجي شيئاً، وأضافت بالي كنجي:

- لم تجرؤ امرأة من فئة الصيادين العاديين أن تتحدث أمامي من قبل، وإنني من عائلة زعيم ساحل يوناني.

وقال جيشان كنجي وهو يهدئها:

- هذه هي عادة الناس هنا، ولا تبالي بذلك.

- ولماذا لم تقل شيئاً؟

- وماذا أفعل؟

ثم قالت بالي كنجي:

- ألهذا هو من سوء حظي.

وتحول غضب بالي كنجي نحو بنجامين، فقالت:

- إن ابنتك المدللة قد ذهبت مع تلك المرأة لما دعتها!

وقال جيشان كنجي:

- في الواقع هي التي ربتها وأحبتها وأشرفت على شئونها.

- هكذا!؟

وقالت بالي كنجي وهي لا تستطيع السيطرة على أعصابها.

— فإنك أيضا ستفسد كأختك الكبرى

واندهش جيشان كيني من هذا الكلام، وكان ذلك بمثابة لعنة كبرى، وأنه قد أضاع ابنته الكبرى كروثما، ولم تبق له الآن إلا ثلاين وقد خاف على مصيرها، ومضت بالي كيني في كلامها بدون مراعاة شيء:

— إنك أيضا ستحب شابا مسلما كما فعلت أختك، ثم تتيه في هذا الساحل.

ونفذ هذا الكلام إلى قلب جيشان كيني كالسهم ~~الكافر~~ الصائب. وفهم كل شيء، وبدت أمامه قصة علاقة كروثما ~~[illegible]~~ بفريكوتي بجميع تفاصيلها، وأدرك سر اهتمام كروثما برد مبلغ فريكوتي فورا، هل كانت جكي أيضا شريكة في هذا الأمر؟ وصار جيشان كيني منذ هذه اللحظة كرجل مسه الجنون، وهرب إلى بيت ثلاين وجذب [illegible] منه حضرا، وضربها بعصى ضربا مؤلما، وهو يسألها!

— هل ستحبين شابا مسلما مثل أختك؟

وتحيرت ثلاين من هذا المنظر، وبكت بكاء صارخة، وهي تدعو أمها! وأما جيشان كيني فيردد أثناء ضربها قوله:

— قولي إنك لا تحبين أبدا فتى مسلما!

وقالت متألمة من شدة الضرب:

— إنني لن أحب فتى مسلما يا أبي!

وهل فهمت تلك الصبية الصغيرة فحوى هذا الكلام؟ ولعلها قد فهمته. لأنها ولو كانت صغيرة فقد عاشت في هذا الجو. ثم أرسل جيشان كيني ابنته إلى البيت.

وقد شوهد جيشان كيني في تلك الليلة ينبش المكان الذي دفن فيه جثمان جكي، كأنه يريد أن يستفسرها عن أمر يخفى عليه، أو يبحث عن سر يجهله، ويتعرفه. وما هو ذلك السر الكامن؟

الفصل الثامن عشر

أفاق جبران كينجمن من ذهوله بعد عدة أيام، ولكن بدت على وجهه آثار الكآبة، وأصبح في خمول وجمود في حركاته وأعماله، وكان ذلك أمرا متوقعا نظرا لما أصابه من نكبات في حياته المالية والاجتماعية.

فأصاب قاربيه العطب وأصبحا لا يصلحان للعمل في البحر إلا بعد ترميمهما، وكذلك الشباك أيضا، وترميمها يحتاج إلى مبلغ كبير مع أن حالته المالية سيئة للغاية، كما أن حالته الصحية لا تسمح له بمواصلة العمل بجد ونشاط كما كان من قبل.

وأصبحت يابس كينجمن هي التي تشرف على شئونه. وطلبت منه أن يقترض بعض المال ليصلح به القارب والشباك ويعيدها بذلك، ولكنه لم يجد أحدا يقترض منه سوى أوسيب، بينما قدمت بيجاس إلى أبيها مبلغ عشرين روبية كانت تحتفظ بها منذ مدة!

فأخذ منها جبران كينجمن هذا المبلغ وبكى، وقالت بيجاس:

— لو كنت مستمرة يا أبي في جمع الأصداف المتناثرة على الشاطئ مدة طويلة لكان عندنا الآن مبلغ أكبر. ثم أردفت قولها:

— أو لو كانت أمي موجودة لكانت تلومني.

ولم يقل جبران كينجمن شيئا، ولعل أفكارا عديدة اكتنفت ذهنه فأعادته إلى ذكريات ماضية!

وأما جبادمات فما زال مصرا على أن يغادر البيت، ولكن يابس كينجمن لم تعرض هذا الأمر على جبران كينجمن، وهي تعتقد أن أيام حياتها الجديدة تبصر ورضى من أجل أمل مستقبلها، وما زالت بيجاس تنظر نحوها بالغضب والكراهية. وقد رأى نلاين أن جبادمات ليس له أي حق في أن يعيش في هذا البيت، وفوق هذا كله الركود الذهني الذي أصاب جبران كينجمن.

وما كانت يابس كينجمن تتوقع أنها ستواجه هذه الصعاب وهذه الظروف، ولم تكن تريد أن تعارض جبران كينجمن في شأن المتاعب بسرعة، فهي لا تريد له ذلك أبدا لأنها تعتبره زوجها ورب الأسرة.

وربما لأنها كانت تعاني، لذلك لم تستطع أن تنجب
له طفلا قبل هلك. ولعلها قد فكرت فعلا في أن تحمل
من كثرة الأشخاص في القرية كما فعلت هيلين مع صاحبها
فيما بعد لكنها قد تعودت على رعاية زوجها الأول،
وأدركت معنى الحياة الزوجية. وأحبت جيهان الكبرى
أيضا من كل قلبها، وهي تعرف جيدا كيف ترعى شؤون
زوجها وتسهر على رفاهيته وصحته، وتستطيع أن
تزول مشاكل الحالية. وحاول جيهان الكبرى أن
تستقر معها مكان رجل آخر كما حاولت بابي
الكبرى أن تحل محل امرأة أخرى. وكما كان جيهان
الكبرى يذكر هيلين في أوقات شدته، كانت بابي الكبرى
تذكر زوجها أيضا نانسي كوران. ولم تشعر بابي الكبرى بعد
بالاستقرار والهدوء بل حاولت أن تزداد الحالة سوءا
وربما تكون هي السبب الرئيسي للأحوال السيئة المتوقعة
في الأيام المقبلة. كانت حالة جيهان الكبرى قد تحسنت أما
الآن فقد أصيبت بأزمة متدهورة. كانت بابي
وبينما كانت هيلين زوجة لصياد عادي
الكبرى زوجة لصاحب القوارب والشباك.
فلم تترك بابي الكبرى أن تترك القوارب من أن تكون في
الشاطئ بغير صاحبة للعمل. وقررت أن تستدعي
أم وسيب لإنقاذ الموقف.
وذات ليلة كان جيهان الكبرى غارقا في التفكير
فتقربت إليه بابي الكبرى وقالت:
— إلى متى ستظل هكذا صامتا؟ وهي تحاول إرضاءه
ورفع جيهان الكبرى رأسه ونظر إليها ولم يقل شيئا
وسألته:
— هل ستستدعي أم وسيب؟
— نعم
وكان جوابه سريعا، فهل كان يفكر في ذلك
قبل أن تسأله؟ وجيهان الكبرى أعرف الناس بعواقب
الاقتراح من أم وسيب. وعلى هذا فهل كان جوابه
من تفكير في عواقب هذا الاقتراح؟ أم جاء عفوا؟

ومثل هذه المناظر والمشاكل ليست بجديدة في هذا البيت، وقد شاهد كثيرا منها من قبل ولكن الأدوار كانت تقع بين جنبان كنجر الشيخ المكافح وبين زوجته الشابة المكافحة جليلة. وقد كانا يفكران معا في بناء مستقبلهما واستقرار حياتهما ورفاهية أولادهما وكانت ابتساماتهما كرونقا ويتحامى شاحان بجوارهما. أما الآن فإن هذه الأدوار تدور في جو يغاير الجو السابق.

وسألته باير كنجر:

— ماذا أفعل الآن؟

ولم يقل شيئا، ثم قالت:

— إنني عبء عليك، ولم أستطع أن أكسب لك شيئا، فقد كنت أعيش دائما في أسرة تعتمد على كسب الرجال فقط.

وسمع ذلك جنبان كنجر والتزم الصمت.

وبكت باير كنجر ثم قالت:

— إنني تسببت في المتاعب لكثير من الناس. ومنذ أن وضعت قدمي في هذا البيت دخله سوء الحظ، وفتح جنبان كنجر فاه وقال:

— ماذا نفعل الآن إذن؟

— افعل ما تريد.

وبدأ جنجا دنان يطالب أمه بخمسمائة روبية، فهي قد أخرجته إلى حيز الوجود وهي الآن مسؤولة عن تحقيق مطالبه، وهو لا يدرك السبب الحقيقي لذلك.

أما جنبان كنجر فعليه حق أن يساعد باير كنجر في هذا الأمر، فإنها قد أصبحت من زوجته وتحت رعايته وعندما تطالب جنجا دنان لشيء تعود إلى ذهنها ذكريات أبيه كما تتارد كوران وتشعر كأنه هو الذي يطالبها.

واستدعت باير كنجر "دام وسيت" وعرضت عليه الموقف، ووافق "أم وسيت" على منح القرض المطلوب وذلك بشرط أن يضع القارمان ضمانا له.

ولماذا لم يسدد الدين مع ربحه قبل الموعد المحدد
فيكون العاريان والشباك ملكا له.
أما جنبارو كبير فلم يقل شيئا، وسأله أوسيب:
— لماذا لا تقول شيئا يا جنبارو كبير؟ فأجاب:
— ماذا أقول؟ وعلى أي حال فنحن في حاجة
إلى القرض.
وفي اليوم التالي كتب أوسيب عقد القرض بشروطه
ووقعه جنبارو كبير [illegible]. وقدم إليه
أوسيب سبعمائة وخمسة وتسعين روبية، خصم
خمس روبيات لمصاريف العقد.
ودب النشاط في حياة جنبارو كبير، وبدأ يفكر
في ترميم القوارب وإصلاح الشباك، وعقد عزمه
على رد دينه قبل الموعد، حتى لا يواجه المشاكل،
فإن أوسيب رجل لا ضمير له، ووعدت بابي كبير
أن تساهم بالجد في تحصيل [illegible].
وأخيرا [illegible] أوسيب من جديد بالمطالبة
بالمبلغ الذي يريده، كأنه علم بوجود مال في البيت
وقال: إنه لا يستطيع أن ينتظر ولو ساعة في هذا الحال
وطلبت منه أن يصبر حتى يتم ترميم القوارب ويبدأ
العمل فيها، ثم تدبر له المبلغ المطلوب بأية وسيلة
[illegible]!
— لا أستطيع أن أطيل الانتظار هنا.
وغضبت بابي كبير وقالت:
— إذا لم تستطع أن تصبر فماذا أعمل لك؟
— إذن لا تفكري بعد الآن أن لك ابنا.
لم تستطع بابي كبير أن ترد عليه بجواب حاسم
لأنها أمه التي حملته ووضعته، وعلى رغم [illegible]
في أبيه التجأت إلى جنبارو كبير واتخذته زوجا لها
وقالت مبدية عدم حيلتها:
— وكيف أطلب منه نقودا يا ابني؟
— على أية حال لابد أن ترسليني يا أمي!
وكان يقصد أن ترسله أمه بعيدا عنها لكي تنفرد بجنبارو كبير،

وقالت باي كيمي !

— إنني جئت هنا من أجلك أيضا يا ابنتي !

— ربما يكن فلابد أن ترسليني فورا .

ولم ترد باي كيمي أن تخبر زوجها عن الحاح ابنها ، ولكن الأمر قد تفاقم إلى حد لا يمكن السكوت عنه . وصارت باي كيمي في قلق دائم وأما جنبان كيمي فظن أنه قد فقد كل شئ .

ومن ناحية أخرى سيتزوج جنجا دتان المتاعب لهما من جديد ، وما كانت تظن باي كيمي أن تستقبل مثل هذه المشكلات العويصة في حياتها الجديدة . وتمنت أنها لو عاشت كامرأة لصياد عادى يكسب قوت يومه ، فكان من الممكن لها أن تحمل سلال الأسماك وتبيعها في القرى أو تقوم بأعمال أخرى ، ولكن ظروفها لم تسمح لها بذلك ولن تسمح . واحتارت جدا صاحبة قاربه ولا تدرى ما الذى يخفى لها القدر في المستقبل .

وانتصرت الأم في هذا الصراع الذهنى وقررت باي كيمي لأن تكد وتكدح وتجوع ولعل هذه هى النتيجة الراكدة ، وما هو حظها في هذا البيت ؟ وإذا أفلس جنبان كيمي فماذا تعمل ؟ ومصيرها المحتوم هو التشرد .

فإذا ذهب جنجاد تان " ببعض النقود واشتغل بأى عمل حر ونجح فيه فيكون ملاذا لها في مستقبل حياتها . وإذا استطاعت أن تعيش في هدوء فلا بد أن يعيش معها جنبان كيمي أيضا .

وذات يوم فتحت باي كيمي صندوق جنبان كيمي وأخذت من المبلغ الذى اقترضه من أوسيب " مائتي روبية ثم أعطته لابنها جنجا دتان . ولم تكن بجانبي في البيت حينئذ ولكنها رأت زوجة أبيها وابنها يتكلمان طويلا في فناء البيت ، واستطاعت أن تسمع كلامهما

من وراء شجرة النارجيل خلسة ، وسمعت بنجامن أن بابي كنجي تنصح أبرل بالاكتفاء بمائتي روبية وتعده بإرسال بقية المبلغ فيما بعد . وهكذا حصلت بنجامن على سلاح جديد تستخدمه ضد زوجة أبرل الجديدة . وما كانت تعرف أن بابي كنجي أخذت هذا المبلغ من نقود أبرل ، وكذلك قد جمعته من هنا ، وقد أخفته عن جنبان كنجي حتى في الوقت الذي كان يعاني فيه الأزمة المالية لتصليح القوارب والشباك ، ثم اضطر للاقتراض من " أوسيب " وقررت بنجامن أن تخبر أباها بذلك فورا .

ولما خرج جنبان كنجي إلى الشاطئ في صبح اليوم التالي خرجت معه بنجامن أيضا ، وعاد بعد قليل جنبان كنجي إلى البيت ثائرا وفتح الصندوق فلم يجد فيه إلا خمسمائة روبية ، وصاح في وجه بابي كنجي :

— هل أخذت شيئا من الروبيات الموجودة في الصندوق ؟

واعترفت بابي كنجي بكل شيء ، وفي جنبان كنجي نفسه شدة الغضب واهتزت عضلاته وقال لها

— اخرجي من بيتي !

وخرجت بابي كنجي صامتة ، وفرحت بنجامن من هذا المنظر وارتاحت حفيظتها .

— إذهبي إلى الشاطئ فلا تعودي إلى بيتي أبدا !

ومشت نحو الشاطئ رويدا رويدا ، وأغلق الباب وراءها ، وتاهت في الشاطئ الطويل العريض ، لقد كانت زوجة "كانتان كوران" صاحب القوارب المشهور ، وزوجة جنبان كنجي حاليا .

وانتشر خبر طرد جنبان كنجي زوجته بابي كنجي بين أهالي الساحل كلهم ، وأصبح ذلك أحدوثة الناس رجالا ونساء في كل مكان .

وجلست باي كنجي تحت شجرة من أشجار الناجيل في زاوية من ذلك الشاطئ، وإلى أين تذهب؟ وليس لها أهل ولا بيت، وأما قلب جنبان كنجي فلا يلين ولا يرق. وظن الناس أنه ليس من المناسب أن يروا امرأة متشردة في ساحلهم ولا يعملون شيئا في سبيل إنقاذها.

وتوجه أعيان الساحل الى منزل زعيم القبيلة. وكان غاضبا من اقتران باي كنجي المنحدرة من عائلة زعيم ساحل "يوناني" وزوجة صاحب القوارب "كنتاكوران" الشهير، بجنبان كنجي واعتبر هذه الواقعة إهانة في حق جميع زعماء قبائل الصيادين، ولذا قال لهم بصراحة، إنه لا يريد أن يسمع شيئا عن هذه المرأة. وما زال غاضبا في أمرها. ولكن المعمرين من أهالي الساحل ألحوا على الزعيم لأن يعمل شيئا لانقاذ امرأة متشردة في الطريق بدون مأوى واعتبروا هذا الأمر مشكلة إنسانية عامة بصرف النظر عن الاعتبارات الأخرى.

فقال زعيم القبيلة:

— اعملوا ما تشاؤون. واضربوا أيا منهما ثم اقذفوه في البحر!

وسأل "أيان كنجي" متلطفا:

— أهذا يصح رأي الزعيم؟

— ثم ماذا أعمل إذن؟

— نرجو أن تدعو جنبان كنجي وتأمره لاستدعاء زوجته.

— إني غير مستعد لذلك، وماذا أقول له؟

— ماذا نعمل إذن؟ ثم من الذي يحل مثل هذه المشكلات؟

واضطر زعيم القبيلة للنزول على مطالبة الأهالي

والحاجم . ولا بد أن يعمل شيئا ، وأن امرأة ولدت في بيت شيخ من زعماء القبائل الساحلية تنتميه في الشاطئ ، فقال الشيخ :

- هذه هي نتيجة التخلي عن الآداب المتبعة ، والتقاليد الموروثة ، وإن كانت من بيت صياد عادي فهل تواجه هذه المشكلات ؟ /

وقال الجميع : لا .

وخرجت زوجة الأب من البيت ، وصفا الجو لينجاي ، والتفتت أباها دائما ، وتريد أن تطلب منه تحقيق أمنية لها .

ولكنها تنتظر فرصة مناسبة لتفاتحه في هذا الأمر ، وهو أمر هين سهل ، وليس أحد في البيت وهو في حاجة إلى من يهتم بشئون بيته وابنته الصغيرة ، وأما متيقنة من موافقة أبيها على استدعاء أختها كرونتما إلى البيت ! ولكنها لا تجد فرصة مواتية لتصارحه به ، وهو دائما في دوامة من الأفكار ، ودب النشاط في عروقه كأنه يريد استرداد ما فاته من قوى وحيوية ، ويضع الخطط ليبدء حياة جديدة ، ولعنات الجميع دائما ، ويعتبره بالكلية مصدر الشقاء والدمار ، ومن أول يوم وضعت قدمها في هذا البيت بدأت الخطات النحس في حياته ، ولعن اللحظة التي قرر فيها الزواج بها فقال :

- لا أدري ! كيف فات عني عقلي ؟ وربما افتتنت بشعرها اللامع ولونها الجذاب وجسمها المليء .

وكان لقول عن كرونتما أيضا فإنها أحبت مسلما ، ولما جاء لها زوج خرج وراءه ولم تعد بنتا له . ولا يعتبرها في حسبانه ، ولا يفكر فيها أبدا ، وأحيانا يسأل بنجامي في غمرة الغضب واليأس ؟

- وكيف ستعيشين أنت يا بنت ؟

وارتكب عدة أخطاء في هذه الفترة ، ولكنه قد قرر الآن أن يبدأ حياة جديدة .

وأما بالي كنجي فقد أخذ نلاين من الشاطئ لتقيم في بيته مؤقتا . وكانت بنجامي غاضبة على إيواء نلاين هذه المرأة الرخيصة على مقربة منها دون أن تطردها بصدة عزل .

وازداد غضب بنجامي شدة إذ أن هذه المرأة في رعاية نلاين التي استولت على حكى عندها وقت موته ، فكيف تطيق ملجأ لهذه الشريرة ؟ وأن جنبان كنجي أيضا ليس براض عن هذه الفعلة ، ولكن يجد سببا يبررها ، فإن أخا كنجي كان دائما يضمر له الحقد .

وظنت بنجامي أن رضاها سوف يتم في هذا الموضوع ولا بد أن تستدعي أخاها قبل ذلك . وانتهزت أول فرصة فقالت لأبيها :

- أبي لماذا لا تستدعي أخي إلى البيت ؟ فإنها مسكينة طيبة القلب وكل ما يقول الناس عنها كذب محض .

وأخذت جنبان كنجي الرعشة من شدة الغضب فسأل :

- من الذي يريد أن تستدعيه إلى البيت ؟ وأما فريكو فلو أنه أفلس في تجارته ما زال موجودا في هذا الساحل ولن أسمح لعاهرة للدخول إلى بيتي .

وخافت بنجامي ولم تقل شيئا . وسأل جنبان كنجي :

- إن كنت تريدين أيضا أن تتبعي نفس الطريق فلتخرجي من الآن .

واشتد غضب جنبان كنجي لحظة بعد أخرى وصرخ في وجهها : اخرجي من هنا ، اخرجي !

عدة مرات ، حتى كاد أن يطردها بالقوة في الحال
ومنذ ذلك الحين بدأ يتكلم دائما عن كروتما وكذلك
بنجامين . ولعله هو أيضا سيتبع طريقة ؟ حرتا الكبرى
ولا كان يذكر شيئا عن بابي كنجي .
وتدخل زعيم القبيلة في هذا الأمر . وتجمع
أعيان الساحل عنده . واستدعى كلا من جنبان كنجي
وبابي كنجي . وكانت إحدى القضايا الهامة في تاريخ
الساحل . واحتشد جم غفير من الناس لسماع
القضية ومرا ولاترا . وكانت بنجامين هي الشخصية
الوحيدة التي تدعو لئلا يصل الأمر إلى القضاء .
ودعت سرا :
- يا إله البحر ! ويا أمي ! لا يتحقق صلح
في هذه القضية !
وسأل زعيم القبيلة لجنبان كنجي :
- ما هذا يا جنبان كنجي ؟ لماذا تعمل خلاف
التقاليد والعادات المتبعة ؟
ومن أخطر التهم الموجهة إلى جنبان كنجي أنه تزوج ثانية
بدون إخطار زعيم القبيلة ، وأنه لم يستأذن من
الزعيم قبل الزواج ، ولم يقدم إليه الهدايا المطلوبة .
وكان الجميع متلهفين للاستماع إلى الجواب الذي يقوله
جنبان كنجي لسؤال زعيم القبيلة في هذا الأمر بالذات .
واشترك فيه معه أناس آخرون مثل أجا كنجي .
وهم أيضا مسئولون أمام الزعيم .
وسأل الزعيم بحزم وصراحة :
- قل يا جنبان كنجي ! ما هو جوابك عليه ؟
وكان واقفا أمامه رافعا رأسه بدون مبالاة .
وبدت في وجهه آثار الصرامة والثقة ، وكرر
زعيم القبيلة سؤاله مرة أخرى ، وجاء رد سريع
مثل الصاعقة :
- إني لم أتزوج .
وكان ذلك ردا غير متوقع . واندهش الجميع
بهذه المفاجأة ، ولم يقل الزعيم ~~شيئا~~ أيضا شيئا

لفترة وجيزة . ثم سأل :

- ثم كيف جاءت هذه المرأة عندك ؟

- إنني أحضرت امرأة للخدمة . وما هو الذنب فيه ؟

وانزعج زعيم القبيلة أمام هذه الحجة . وكذلك الحاضرون . ثم توجه إلى بابي كنبي . وسألها :

- هل هذا صحيح يا امرأة ؟

وظن الجميع أنها ستنكر جميع أقوال حطبان كنبي . وكان واقفا بدون أي خوف ولا وجل : وكأنه قد عقد عزمه لمواجهة جميع الظروف والمتاعب ولن يخضع لأحد ولا لأي أمر . وكرر الزعيم نفس السؤال أمام بابي كنبي وخرجت من فمها كلمة قصيرة هادئة قد حيرت الجميع :

- نعم .

- ألم يتزوج بك حطبان كنبي ؟

- لا .

- هل كنت خادمة عنده ؟

- نعم .

وبهت زعيم القبيلة أمام اعترافاتها . وأما حطبان كنبي فما كان يتوقع مثل هذا الجواب . ونظر إليها الزعيم نظرة الازدراء ، كأنها امرأة هتكت حرمة عائلتها وتقاليدها الموروثة فقال لها :

- إنك لتستحقين كل هذه المرارة . وقد عشت مع رجل محترم ...

ولم يكمل الزعيم كلامه على هذا المنوال . وما كان يريد أن يخلي سبيل حطبان كنبي الذي نهض أمامه مرفوع الرأس ثابت الجأش ، والتفت إليه وسأل :

- لو كانت خادمة في بيتك فكيف تطرد امرأة إلى عرض الطريق لتتسكع في الشوارع ؟

وجاء الرد السريع :

– إنها قد سرقت.
فهتف الزعيم مرة أخرى. ويعرف الجميع أن هذه الأقوال صحيحة أمام القانون، وللفظ لا تتفق مع الحقيقة والواقع. وأن جنبان قد أحضر بالي كنجي إلى بيته لتعيش زوجة له. والتجأ زعيم القبيلة إلى حيلة أخرى، فهدده:
– إنك رجل متعجرف جدا، وليس هذا بجديد فيك. وقد لاحظته منك من زمان وهل تعرف عواقب ذلك؟
وسأل جنبان كنجي مستهزئا:
– ما هذا أعرف أيها الزعيم، وماذا تريد أن أعرف. فإن جنبان، أمامه البحر وفوقه السماء!
وأضاف قوله:
– لا داعي للخوف مطلقا. وكل شيء قد انتهى ولا أريد أن أخضع لأحد، ولا تجهد نفسك أيضا في هذا الأمر. ولماذا الخوف؟
"والذي يهرب الذهب هو الذي يخاف الشارع العام".
وهدده الزعيم بقوله:
– لا تضحك على أهالي الساحل.
وأجاب جنبان كنجي، قبل أن ينتهي الزعيم من كلمته وأن جسمه قد أخذته هزة غضب:
– اسكت أنت، إن كنت تريد المحافظة على كرامتك ومكانتك!
ولم يقل أحد من قبل مثل هذا الكلام لزعيم القبيلة سيما أمام ~~الجميع~~ الجمهور: وليس معناه التحدي لشخص واحد، بل هو بمثابة التحدي للمجتمع كله.
وحار الجميع في أمر جنبان كنجي. هل أصابه الجنون؟ ألا يفكر في مستقبله؟ وماذا حدث له إذن؟
وخرج جنبان كنجي من المكان بدون أن ينطق

● نطق بعد ذلك ، وتعرض زعيم القبيلة للرطانة المشوقة ، واندهش المجتمعون جميعا ، ومشت ماي كيري أيضا وراء حصان كبير ، وهل أثرت أمل شيئا من ؟ وتوقفت حائرة لما رأت باب الكوخ مغلق وراءه ، ولم يمض على ذلك ......

الفصل التاسع عشر

وفي اليوم التالي قد غابت بنيامين عن البيت، ولم يعثر عليها في أي مكان. وقال الناس إن البنت قد خرجت من بيت أبيها متضايقة من الحياة فيه مع زوجة أبيها الجديدة، وقالت النساء إنها قد طردت من بيتها، وبدأت نساء الساحل تتحدث عن بابي كنجو باحترام نظرا لموقفها تجاه جنبان كنجو أمام محكمة زعيم القبيلة، وأنها قد أنقذت موقف الحكم وأنها طيبة القلب ومخلصة في أخلاقها، ولا غرابة في ذلك لأنها نشأت في عائلة شريفة وعاشت في كنف رجل كريم.

وترقب الجميع مصير جنبان كنجو الذي أهان زعيم القبيلة علنا، وكيف يظهر الزعيم غضبه نحوه؟ ومع ذلك فقد صار قاربه ضمانا للقرض أو سيئ، ثم كيف يقضي حياته؟ ولم يعد قادرا على العمل في البحر كما كان يعمل من قبل.

وهناك إنسان آخر يحترق قلبه في هذا الساحل، ويتيه في شاطئه بدون هدف وسط القوارب المركونة والصيادين والصيادات وهو فريكوتي. وقد صار جزءا لا يتجزأ من حياة ساحل نيركونام. ويردد أحيانا أغنيته المتنوية الشهيرة. وقد أصبح لغنائه لحن خاص وتغريدة خاصة. وكأنما أنشأها فريكوتي لنفسه، وتدارك من الوجود مع صاحبها. ويقضي أيامه ولياليه جيئة وذهابا في الشاطئ، واتخذه ملجأ له. وربما لا يجد مأوى آخر!

وانهار دكان فريكوتي، وتحطم في الأرض. وقد شاهد الشاطئ دكاكين عديدة قد أفلست وأزيلت، ولكنه لم ير أصحابها بعد ذلك يتسكعون في طرقاته. وأما فريكوتي فما زال مترددا في أرجائه ولا يفارقه، وقد اتخذه ملاذا له ومأوى نهائيا.

يمشي في شاطئه وقت الأصيل كئيبا وكأنه يبحث عن شيء مفقود في رماله؟ أليس هذا صحيحا؟ ألم يفقد حياة في هذه الرمال؟ أليس له الحق لنشدان تلك الحياة المفقودة؟
وقد صار فريكوتي من قبل موضوع حديث الناس في الساحل عندما شاع الخبر أنه أحب كرونتما. ثم اختفى الخبر فجأة، وترك رجل من أصحاب الدكاكين أحبوا أو الساحل؟ ثم ذهبت تجارتهم وذهبوا معها. وليس للخمر حبهم دوامهم. ولم يعرف أحد مدى عمق حب فريكوتي لكرونتما. وهل يحب تاجر مسلم فتاة ضيارة مجرى؟ أليس هذا الحب عارا؟
ولم يعرف أحد عمق حب فريكوتي والمعاني الكبيرة الكامنة وراء قصة حبه؟ وكيف لماذا وكيف انتهت؟
وكيف يعيش فريكوتي في هذه الأيام؟
وعندما تصل القوارب إلى الشاطئ يذهب هو أيضا مع التجار ويكسب بعض المبلغ بطريق "القومسيونية"[1] لقوت يومه. وأحيانا يتوجه إلى قارب جنبان كنجي المركوز في الرمال وينظر إليه؛ وربما يعود إلى ذاكرته ذكريات الأيام الماضية؛ ويتذكر في قصة ذلك القارب. وذات يوم بينما كان يقف بجواره حضر جنبان كنجي ولا يدري من أين أتى؟ ولم يره فريكوتي منذ مدة طويلة، وكلما يراه من بعيد كان يتفادى مقابلته ويتخلى عن سبيله. وهل ارتكب فريكوتي جريمة في حق جنبان كنجي؟ وهل يشعر كل منهما بتلك الجريمة؟
ولما حضر جنبان كنجي فجأة [illegible] ارتبك فريكوتي من أول وهلة، وأن جنبان كنجي قد تغيرت ملامح وجهه، وقد غاب عنه النشاط والحزم، ويبدو من نظرات عينيه أن خلال [illegible]

قد تسرب إلى عقله وقوة عضلاته . وكذلك جبان كنجي بدوره فلا يرى أمامه فريكولي السابق . وقد ذبل شبابه ، وغابت نضارته واختفت حرارته ، وبعد برهة من وقفة الدهشة والارتباك ، وجه جبان كنجي سؤالا غريبا إلى فريكولي :

— كم روبيات لك علي ؟

وقد نسي فريكولي هذا الأمر من زمن طويل . ولم يفكر فيه مطلقا ، ولا يذكر شيئا عن ذلك .

وسأل جبان كنجي مرة أخرى :

— كم ؟

ولم يحر فريكولي جوابا ، ولا يريد شيئا من جبان كنجي . وفي ذهنه تراكمت خواطر عديدة وأفكار شتى ، ولكنه لا يجرؤ أن يصرح بها له ، وأن موقف فريكولي في ذلك الحين موقف مجرم يؤنبه ضميره . وما هي طبيعة هذا التعامل ؟ وقد أحب كروتما وأحبته حبا عذريا ، وقد تم هذا التعامل مع جبان كنجي وحكى في الوقت الذي بلغ فيه هذا الحب قمته . وأنه لم يكن يريد استرداد هذا المبلغ ، وهل كان الهدف الكامن وراءه إرضاء والديها لكي يسير تيار ذلك الحب العميق في مجراه الطبيعي المطلوب ؟ ولا يمكن أن يعتبر بمثابة رشوة لتحقيق غايته أو لتضليل والديها . فإن فريكولي لم يرد مطلقا الاستيلاء على كروتما أو التزوج بها . ولم يرغب فيه . وهل طلب سداد المبلغ عندما تزوجت كروتما برجل آخر ، وذهبت معه راضيا ؟ وإذا كان رشوة فلماذا لم يحاول استرداده ؟ وإذا كان هذا التعامل بناء على طلبها فلماذا لم يتم سرا فيما بينهم ؟

لقد أفلس فريكولي بسبب هذا القرض . وأمسى فقيرا لا يملك مأوى ولا ملبس ، ولم يبق له شيء في هذه الحياة ، وصار هائما على وجهه

بدون هدف . ولماذا لا يفكر في استرداد ما فاته في حياته بقدر المستطاع ؟ ولماذا لا يحاول القيام بتجربة في محل صغير يمارس تجارته الأولى في أضيق نطاق ؟ ولماذا لا يرغب في أن تقضي أيام حياته المستقبلة في عز وكرامة وطمأنينة ؟ وقد أصبحت كروتما الآن في كنف رجل آخر ولن تعود اليه مطلقا . وعليه أن ينسى تلك الذكريات الفاشلة . ولكنه ما زال يعيش عيشة ذلك العاشق الفاشل !

وأخذ جشبان كنجي صورة في يده ، وسأله مرة أخرى ؟

— كم لك علي ؟

ولم تقل فرتكوى بشيء ، وظل صامتا كأنه مذنب وأضاف جشبان كنجي :

— كنت أظن أنك رجل مستقيم ، ولكن لمنى خاب ظني .

وما هو الذنب الذي ارتكبه فرتكوى في حق جشبان كنجي ؟ وهل خان كروتما ؟ وهل خلق العراقيل أمام تزويج كروتما من شخص اختاره والدها لها ؟ وهل تدخل في شئون لها بعد الزواج وهل حاول ازعاجها ؟

وقد أحبها ولكن ليس عن عمد ! ولا لأجل ايصال أي ضرر لها ولا لها لكدرها ، وقد ولد حبها وأحب فتاة حبا عذريا خالصا ، ولكنه تفادى شئون حياتها ، ولم يحاول التأثير فيها ، ومع هذا كله يقف الآن أمام والدها كمذنب ارتكب ذنبا في حقه .

وقال جشبان كنجي :

— إنك قد أعطيتني النقود حينذاك لتخطف ابنتي ، أم ليس لذلك ؟

وقد اندفع جوابه بكلمة "لا" إلى شفته ، ولكنه لم ينطق به ، ألم تكن من حقه

أن ننكر هذه التهمة ؟ ولم نفعل ذلك . ثم قال جشبان كنجي :

— لما أعطيتني كل شيء فور سؤالي بلا تردد قد ظننت أنك طيب القلب وسليم النية ولكن تبين لي الآن أنك لم تكن سليم النية فيما فعلت .

وسأله جشبان كنجي وقد فتح الصرة وبدأ يعد النقود :

— وهل تعرف مدى خطورة الجريمة التي ارتكبتها ؟

ووقف فرمكوتي متحجراً لا يستطيع الحراك من مكانه وظلت عينا جشبان كنجي مسلطتين عليه ثم أضاف :

— أنت لا تعرف خطورة ذلك . وكيف تعرفها ؟ فإنك شيطان مارد ! وقد حطمت أسرة وفرقت عائلة ، ودمرت حياة أبرياء . وهل تعرف أنك قد ضيعت حياة أناس أبرياء ؟

وإن هذا السؤال الذي وجهه جشبان كنجي إلى فرمكوتي قد أعاد الأذهان إلى تاريخ أسرته منذ أول يوم خرجت فيه جكي وهي تحمل سلال الأسماك إلى القرى لتكسب مالاً لشراء القارب والشبكة . وإذا ألقى أحد نظرة عامة على ظروف تلك البداية والمراحل التي مرت بذلك المشروع والرابطة التي تحققت بين أمنية جكي وجشبان كنجي في شراء قارب وشبكة يرى أن في سؤاله هذا ومضة من الحق المر .

وقال جشبان كنجي وفي صوته ارتجاف :

— وكانت ابنتي كرتمما تمرح في هذا الساحل الشاطئ وتلهو مثل طير طليق فأحببتها ولاحقتها ومنذ ذلك اليوم قد ابتدأت خيوط هذه المأساة أليس كذلك ؟

وهذا حق ، فإذا لم يحب فرمكوتي كرتمما لما حدث

شيء من هذه المأساة . تلك العائلة التي
وضعت خططا معينة في الحياة تتمثل في تقدم
وازدهار ووفاق ، ولم تتحطم حياة جبار
نشاطها وتكافحا . ووضع هدفا معينا لمستقبل
الصغير وعائلته المحافظة على التقاليد والتقاليد
الموروثة في تاريخ الساحل . وماذا بقي لجبران اليوم ؟ وقد فقد زوجته الوفية . والآن وقد
أصبح قاربه الذي اشتراه بعرق جبينه وكدحه
المستمر على وشك الإفلات من يده وكذلك
الشاليه ، وانقطعت كل العلاقات الودية
التي كانت تعتز بها ، ولم يبق في يده الآن
إلا عمامة وشبكة وشعور رديء . وهذا
هو كل ما تبقى من الكفاح الطويل العريض الذي
قام به هو وزوجته طوال أيام حياتهما
وأمامه الآن قرض قديم يجب أن يسدده .
وقد تسرب فريكوني إلى هذه الأسرة كجرثومة
لسوس كيانها وقد أذل نضارتها . وهل كان
جبران كبير محقا في سؤاله إذن ؟ ولا بد أن
يلعن فريكوني ذلك اليوم الذي وصل فيه
لأول مرة إلى ذلك الساحل ممسكا بيد أبيه .
وكان ذلك اليوم بداية النحس لأسرة
جبران كبير . ولكن تلك الصبية التي أتت
إلى الشاطئ لجمع الأصداف من الرمال قد
بدأت تتعلق بذلك الصبي المسلم .
وسألها صدفا أحمر التقطته من الرمال :
— هل تعطيني هذا الصدف ؟
وقدمت إليه الصدف الأحمر ، وهل أعطته
مع ذلك الصدف قلبها أيضا ؟
ولكنه ليس بمذنب في شيء من هذا وذاك ،
فإنه لم يتدخل عمدا في شئون تلك الأسرة .
وقد انجذب إلى أعماقها بدون أن يشعر ، وقد
أصبح الآن عرضة لتهم عديدة . وها هو الآن

يقف صامتا في ساحة الاحترام ! ولكن من الذي
يعرف حقه ؟ وكيف نشرحه أمام الدنيا ؟ وهناك
في الوجود شخص يعرف كل الأسرار [illegible]
وما هو إلا كرومتما ، وهل هو ينفذ بصدق
من نية فريكوك ؟ وهل هو خائف منه الآن
وهل يحاول الابتعاد عن نظرته ؟
وقال جنبان كنجي !
— ما علي اليوم إلا أداء دينك الذي
الذي أعطيتني إياه لتعليم أسرتي
والاستيلاء على ابنتي . وهذه هي
نقودك فخذها !
ثم مد جنبان كنجي يده بالنقود إلى فريكوك
الذي مازال واقفا في غاية الصمت ، وقال
له جنبان كنجي مرة أخرى !
— هذه نقودك خذها !
ثم قال جنبان كنجي بصوت صارم وحازم !
— خذ !
وكان ذلك بمثابة أمر حاسم ، فامتدت إليه
يد فريكوك آليًا ووضع فيه جنبان كنجي النقود
ثم قال !
— هذا كل ما عندي من المال ، ولا أعرف
حسابك بالتحديد . وما كانت تذكره
الحكي . وإن كان أقل من المطلوب
فماذا أعمل الآن ؟
ثم مشى جنبان كنجي .
ووقف فريكوك فترة طويلة في نفس المكان
بدون حراك ، ولا يدري شيئا . ولا يفكر في
النقود التي في يده ، ولا يعرف لماذا ، ولماذا
لا يعرف لم ؟ ألم يكن هو محتاجا إلى المال ؟
وأنه يتسكع في الشارع ولا يرى مخرجا لقوت
يومه ، أليس هذا مبلغ كبير يساعد على توجيه
دفة حياته الحرجة ؟ ولكن قد رأى المال بجواره عند

ثم أضاعه، بل وأضاع حياته أيضاً. وها هو الآن أمام مبلغ ينقذ حياته ويعيد كرامته، وقد حصل على ذلك من استرداد دين قديم.

ونظر فريكولي إلى كفه فرأى أوراقاً مالية أمسك بها، وهي كادت تطير في الهواء. ولكن لا يدري أين نقوده. وماذا يفعل بها؟ وهل فكر يوماً من الأيام في استرداد هذا القرض، أليس هو من حقه؟

وسمع فريكولي فجأة قهقهة عالية والتفت مبهوتاً مرتجفاً ورأى قارب جنبان كنجي الذي اشتراه من بالي كونات كابتان كوراك، مركوناً في الرمال، ودفته متوجهة نحو البحر كأنها تتطلع إلى اليوم الذي تنزل فيه إلى مياه البحر المالح. وقد علاها العطب من طول المكث في البر، وظهرت في أضلاعها التصدعات الواسعة، وقد انزاحت ألواح خلفية من القارب. وكان ذلك القارب محظوظاً أيام أن كان في يد كابتان كوراك ثم في يد جنبان كنجي. كما كان يتقدم القوارب طائراً ويطير في عرض البحر كالطير الطليق، ويرقص فوق الأمواج الهوجاء، وها هو يشكو الآن من عدم العناية وحرقة الشمس وشدة الجفاف. وهل من منقذ ينقذه؟ والصوت يقول بلسان حاله: إلى متى أعيش مركوناً في الرمال؟ ألم أكن فخر القوارب في ساحل بالي كونام ثم في نيركونام؟ وألم أكن صاحب حظ وافر طوال حياتي؟ ومتى يأتي لي الفرج؟!

وكان مصدر تلك القهقهة العالية جنبان كنجي، وهو يطلق ضحكات من جانب قاربه مرة تلو أخرى، ضحكة الموت وضحكة اليأس والقنوط!!!

أما شيجامبي فتوجهت تواً إلى "تريكوتا بورام" حيث تقيم أختها الكبرى كروتما. مع زوجها منذ

آخر عندما ضاق بها المقام في بيت أبيها بسبب
زوجته الجديدة ؟ وما كانت كريستينا تتوقع حدثاً من
هذا القبيل . وتعانقت الأختان عناقاً حاراً وانفجرتا
بكاء بذهول المفاجأة التي جمعت بينهما بعد فراق
طويل . ولما خرجت كريستينا مع بالدي على رغم
إرادة أبيها كانت بنجامين تنادي بأعلى صوتها :
يا أختي ... يا أختي ! وما زال صدى ذلك النداء
يدوي في أذني كريستينا حيناً فآخر . وحدثت
تطورات كثيرة بعد ذلك فماتت أمهما ، وتزوج
أبوهما من جديد ، وكانت كريستينا بعيدة عن
هذه المشاهد . والآن تنضم إليها بنجامين أيضاً
وقد احتذت حذو أختها !

ونظر بالدي إلى الأختين المتعانقتين والدموع
تنهمر من عيونهما وضحكت الطفلة التي في يده
بكل براءة ، وكانت تنطق بكلمات غير مفهومة
بل ذات دلالات عميقة . وسأل بالدي :

— هل هذه بنجامين ؟ وكيف جئت
إلى هنا ؟

وقبل أن تجيب عليه أخذت كريستينا الطفلة من
يد بالدي وقدمتها إلى بنجامين قائلة :

— هذه هي خالة ابنتي !

وأمطرت بنجامين الطفلة بوابل من القبلات الحارة
وكانت تحلم بها من زمن طويل . ولم يسأل
بالدي شيئاً عن أخبار سركوزا ، كأنه
لا يريد أن يعرف شيئاً عن ذلك الساحل ،
وما هي علاقته به ؟ ... لا شيء
أما كريستينا فقد تراكمت في خواطرها عدة
استفسارات وأسئلة وهي متلهفة لأن
تعرفها ، وكذلك عند بنجامين أخبار جديدة
وعديدة لتبلغ أختها . ولكن بالدي لا يريد
أن يسمع عن أولئك الذين تريد كريستينا أن
تسمع عنهم بل ولا يحبهم ولا يرتاح إلى السماع

من أخبارهم ، ولا يريد أن يسمع بأذنيه كلمة
نيركوناما ! وربما لا يكره نيجامي الصغيرة ،
ولماذا يكرهها ؟ فإنها بريئة ، ولكن من أين أتت ؟
وما هي الأخبار التي حملتها معها ؟ ولا يدري
فربما مجرد بنت بريئة حرمت من رعاية الأبوين
بل هي تعيد إلى ذاكرة كروتما كل شيء يكرهه
بالاني ، وهي بمثابة ظل أسود قد دخل
في بيته ، وما هي الذكريات التي تخطر ببال
كروتما عندما ترى نيجامي القادمة من نيركوناما ؟
وما هي الأسئلة التي توجهها إليها ؟
وخلق مجيء نيجامي جوا قاتما في بيت بالاني
وأثار الذكريات الماضية التي كادت الأيام
أن تسدل عليها ستارا من النسيان ، وظهرت
ابتسامة تلك الطفلة كلمعان في السحب
السوداء ، وبدأت هي أيضا تبكي
بلا توقف عادة ، وكلما تسمع بكاءها تقول نيجامي
لكروتما :
— لا تبكي يا أختي !
ثم تهدأ وتبدأ حتى تكف عن البكاء ، وأرادت
كروتما أن تعرف أمورا كثيرة عن نيجامي ولكن
وجود بالاني يمنعها عن الاستمرار في السؤال
عن أناس يكرههم ، وعن أمور لا تعجبه ،
وكلما تنتهز كروتما فرصة تغيب بالاني عن
البيت للسؤال عن أشياء كثيرة تزداد رغبتها
هي في أن تعرف الأمور التي تريد أن تعرفها
كروتما من أخبار نيجامي !
وهل يعاتب بالاني في ذلك ؟ فإنه
زوج وأب ورب أسرة ، وقد تابت
كروتما عن كل شيء ، وتعهدت أمامه ألا
تعود إلى سابق عهدها أبدا ، ولكن قلبها قد
تلوث مرة من قبل ! وما هو الدليل على أن
ذلك الشاب لم يعد متمكنا في هذا القلب ؟

وعلى فرض صدق توترها وانصراف ذهنها كليا عنه، أليس من الطبيعة أن يشك زوج مسئول في مثل هذه الأمور الحساسة؟ وهل تسأل كروتما شيئا عن فريكوتي؟ وماذا تكون طبيعة ذلك السؤال؟

وصار البيت مسرحا لتصارع ذهني عنيف بين كروتما وبالدني. وكل يتربص من الآخر، وتتوتر أعصاب الزوجين لأدنى سبب. وما هو مصدر هذا التصارع؟ عدم مواتاة الفرص للاستفسار عما يختلج في ذهنها، وتشوقه للعلم بشيء؟!

وذات مرة سألتها بنجامين في غاية السر:

- إنك قاسية القلب يا أختي!
- لماذا؟
- إلى الآن لم تسأليني شيئا عن أخبار الوالد.

فقالت كروتما:

- اسكتي فإن صهرك سيسمعه.

وخرج بالدني مساء ذلك اليوم إلى الشاطئ قبل الوقت المعتاد كل يوم.

وأخذ معه الصنارة ومعدات الصيد، وتناول وجبة العشاء عقب غروب الشمس. وكانت كروتما وطفلتها تنظران إليه حتى يغيب عن البصر وحيته طفلته بيديها الصغيرتين كما تفعله كل يوم. ولكن لاحظت كروتما تغيرا في العادة المتبعة من جانب بالدني فإنه لم يرد تحية طفلته بنفس الشاكلة كالمعتاد. وغاب قاربه عن الأبصار وهو مندفع إلى عرض البحر.

وانفردت في البيت الشقيقتان وصفا لهما الجو للحديث المر. وبدأت بنجامين تقص على كروتما كل ما حدث في بيتهما بعد أن غادرته كروتما، من موت أمهما الحنون، واستدعاء أبيها لها عند ثلاثين، وتزوجه بهما من جديد

ووصية حكى بذلك، وغيرها من الأخبار.
ثم قالت بنجاس:
— وقد جاء فريكوتي موداللي، يوما إلى البيت ليقابل والدتنا.
وفجأة غيرت كروتما مجرى الكلام وهي خائفة من هذا الموضوع فسألت بنجاس:
— لماذا لا تهتمين بهذا الموضوع؟ ألا تريدين أن تسمعيه؟
وسألت كروتما فورا كأنها لم تسمع كلام بنجاس:
— لماذا لم تخبريني عن نبأ موت أمنا؟
— ورأى الجميع أن لا داعي إليه.
— الجميع؟
— نعم. وقال الجميع أنك متوحشة وقاسية القلب. وأنهم على حق إلى حد ما فإنك قد أسأت المعاملة مع أبينا. وإنني أعرف أن قلبك قاسي للحب وللحنين.
ثم تحدثت عن زوجة أبيها. وفي معرض الكلام عنها، قالت بنجاس إننا قد فقدنا القوارب والشباك. ووضعوا الوالد ضمانا لتوسيب وأخذ منه الفلوس، وأعطت زوجة أبينا هذا المبلغ إلى ابنها. ثم فعلت تلك القصة.
وهكذا سمعت كروتما أنهم قد فقدوا قاربهم والشباك. وقد رأت كروتما ذلك القارب الذي يطير في عرض البحر كالطير وفي دفته أبوها. وكان ذلك القارب وتلك الشبكة من إنتاج عرق جبينه والدها طوال حياتها. وقد أحبت هي أيضا ذلك القارب حبا جما. وصار الآن ~~من ملك~~ ملكا للآخرين. وبكت كروتما، وسألت:
— فكيف يعيش أبونا إذن يا بنت؟
— لا أدري ماذا نفعل؟
وقد نفذ هذا الكلام إلى أعماق قلب كروتما،

وزاد الطين بلة كلام بنجامين عن مستقبل حياة أبيها بدون اكتراث ولا اهتمام، فقالت كروتما بدون أن تشعر :

- ماأقسى قلبك يابنجامين !

وعلقت عليه بنجامين بقولها :

- لماذا ؟

- فإنك قد خرجت من البيت بدون أن تعرفي شيئا عن مصير أبينا، ولا تدرين كيف يعيش هو في هذه الظروف ؟ ومن عنده الآن لرعايته ؟

- لا تتحدثين كثيرا في هذا الأمر. فما الذي فعلته أنت من قبل ؟

وأن بنجامين محقة في كلامها. وهل هي مخطئة فيما فعلت ؟ وربما كانت هي مخطئة ولكن هناك فرق بين الحالتين. فإن كروتما قد تركت أمها وأباها مضطرة تحت وطأة ظروف خاصة، عكس ظروف بنجامين. وقالت بنجامين :

- إذا لم تخرجي من البيت حينذاك لم يحدث شيء من هذا. وكنت تستطيعين أن تعيشي ربة لبيتنا مثل أمنا.

وتمنت كروتما أنها لو لم تفعل ذلك. وإلا لكانت الأمور كلها تجري على ما يرام. وماذا تعرف هذه الطفلة المسكينة ؟ وإذا لم تخرج كروتما من البيت في ذلك اليوم فماذا كانت عواقب تلك الأسرة ؟ وأردفت بنجامين طويلة اللسان كلامها :

- لما وجدت زوجا نسيت كل شيء وهربت وراءه. أليس كذلك يا أختي ؟

وتدفقت إلى طرف لسان كروتما جملة ذات معنى خطير : لا، أبدا ما فعلت كذلك، ولكنها شتت تلك الجملة في كلمات متقطعة غير مفهومة، وكيف تقول ذلك وهي تعيش في كنف بالإخ...

وتأكل من كسب يده، وتعيش في بيته، وهو الآن غاضب عنها. فلا يصح أن تقول إنها لم تخرج حباً فيه ولا رغبة فيه، وإطاعة لرأيه. وأليس من حقها أن تطيعه وتمشي وراءه؟ وفي الواقع قد خرجت من ذلك البيت لإنقاذ حياتها وشرفها لا أقل ولا أكثر.

وفي أثناء الكلام تحدثت بنجاسي عن المتاعب التي لاقاها جبان كنجي وعن إصابته بذهول في ذهنه، وضعف في عقله. ثم قالت غاضبة:

— تقول تلك المرأة السيئة أن كروتما كانت تحب شاباً مسلماً وتقصد الرحيل.

وأضافت تقول:

— فأصبح الأب المسكين يذهول في عقله.

وتحدثت كروتما بشدة الحزن، وطاش عقلها وانهدت أعصابها واغرورقت عيناها، ومضت بنجاسي في كلامها. وهل معنى هذا أن قصة حبها مع فريكوت مازال حديث الناس في الحي وقد عرفها الآن أبوها أيضاً، وهل يعفو عنها أبوها؟

ودخلت بنجاسي مرة أخرى إلى قصة فريكوت وشرحت قصته المؤلمة فقالت:

— قد أفلس تماما يا أختي، وهو يعاني الآن الجوع والحرمان، ويتيه في الشاطئ كأنه قد مسه الجنون، وأنه في حالة سيئة للغاية!

ولم تطلب منها كروتما الإسهاب في هذه القصة، وكذلك لم تستفسر عنه. ولا شك أنها في الواقع تواقة لسماع هذه القصة، وإن كانت في ظروف أخرى فكانت تسألها عن أخبار فريكوت من عند نفسها.

ولعلها تتذكر الآن منظر ذلك الصبي الذي

رأته لأول مرة في الشاطئ وقد جاء إليه ممسكا بيد والده لابسا الطربوش والقميص الأصفر وفي عنقه منديل من الحرير، وقد أهدت إليه حينذاك صدفا التقطتها من الرمال. ولعل كل دور من أدوار مرحلة ذلك الحب قد مر بخاطرها الآن، وكان ذلك بداية انهيار حياة ذات معنى.

وانطلق من فم كروتما هذا السؤال:

- أما زال كوتشومور الذي يغني جالسا على القارب حتى الآن؟

وأجابت بنجامين:

- نعم. أحيانا يغني هناك.

وهل تفهم بنجامين معنى ذلك الغناء؟ وربما لم تفهمه بعد. وسألت كروتما أيضا:

- هل يراك أحيانا؟

- نعم.

- وهل كان يسألك عن أحوالي؟

- حينما يراني يبتسم.

وهبت كروتما من ذهولها بكلمة صدرت من صوت غريب:

- لا. بل يسأل عنك!

فإذا هو ذا بالذي واقف أمامها. ونهضت كروتما واقفة وكذلك بنجامين. وانكشف سر كروتما نهائيا.

- ٥ ٢ -

الفصل العشرون

لقد حدثت تحولات خطيرة فى نظرة كروتما كو الحياة . وبدت آثار ملموسة لتطور كلى فى عقليتها . وكأنها خالجت فى ذهنها خيوط نظام جديد فى حياتها الزوجية والعائلية . وما هو الدافع الرئيسى إلى هذا التحول الكلى المفاجئ ؟ وقررت أنها تواجه المشكلات بشجاعة وعزم . ولعلها كانت من قبل راغبة فى الحياة ، ولم تكن لها إرادة قوية وثقة بنفسها !

وهل كان وصول بنجامى هو السبب الحقيقى لهذا التحول ؟ إذ كان لاكتشاف أسرارها أثره فى اتجاهها الذهنى ؟ فلم تعد خائفة بعدما ظهرت بصورتها الحقيقية ، وتكشفت خفاياها وخباياها أمام زوجها وأبيها ؟ وهل تسرب اليأس من مواصلة حياة زوجية هادئة آمنة إلى قلبها ؟ أو لأنها وجدت فى بنجامى شريكة متاعبها ومشكلاتها ؟

وكررت لزوجها فى ذلك اليوم أيضا وعودها السابقة وتعهداتها ، وصارحته بكل شىء . وسألها بالذى عن طبيعة العلاقة بينها وبين فريكوتى ، وهل كانت تتعدى حدود كونهما يلعبان ويمرحان فى الشاطئ أيام طفولتهما ؟ وأجابت كروتما بكل صراحة وجلاء : " أنها لم تفعد مطلقا " . وسألها :

— هل كنت فى حب معه ؟

وأثار هذا السؤال ذكريات الأيام الطويلة العريضة فى ذهنها ، ومثلت أمام عينها صورة فريكوتى التائه الذى فقد كل شىء لأجلها ، ومشى فى شاطئ " نيركونا م " مرددا أغنية المشهورة . وجعلها فى أذنها قوله عقب الزواج : إننى أواصل ترديد هذه الأغنية دائما لكى يصل صداها إلى شاطئ " نيركونا يونا " .

وتذكرت سؤاله الخالد :

" وعندما يأتى القارب والشبكة هل تبيعون لنا الأسماك

- هل تسمح لي بأن أزور نيركونام ؟
ثم شرحت له حال جيبان كبير السن، ثم قالت :
- ليس هناك أحد يعتني بوالدي.

ولم يقل بالدي شيئا. وفي مساء ذلك اليوم خرج بالدي من البيت إلى الشاطئ كالمعتاد وفي يده الصنارة والطعمة، ووراءها كروتما تحمل في إحدى يديها عشاءه، وفي الأخرى طفلتها الرضيعة. ونزل بقاربه إلى البحر، وحيته طفلته بيديها كما تفعل كل يوم، ثم بقيت كروتما قليلا في الشاطئ ناظرة إلى عرض البحر، وقد حول الشفق الأحمر أفقه إلى قطعة من الذهب الخالص، وسط الأفق البنفسجي خطا أسود في مياه البحر الزرقاء ووراءه سر كامن ... وسر خطير ... يضمره صدر الكائنات !

ورأت قارب بالدي يطير بجناح السرعة إلى عرض البحر الذي لا يرى شاطئه الآخر. وهو واقف في دفته ويحرك مجدافه بقوة فائقة. ولأول مرة يستعيد بالدي نشاطه في تحريك المجداف بعد أن ترك العمل في القوارب.

وها هي الآن تنهض قواه الكامنة وتنشط خواطره النائمة، ولكن عضلاته الآن قد وهنت بحيث لا تستطيع أن تتحملها، وأن مجدافه قصير وقاربه صغير، وتوجه بالدي صوب ذلك الخط الأسود، ولا يدري أن المياه تتدفق إلى قاربه، ويغوص أحيانا في تضاريس الأمواج الزاخرة.

ولم يسمع أحد فوران تلك القوى الثائرة في عرض البحر، وأن قاربه الصغير يطير بين السماء والماء في زئير وأنين.

وما هي تلك القوة التي أثارت كوامنه ؟ وما هي تلك القوة التي تستطيع أن تعيدها إلى مكانها مرة أخرى بدون أن تثور وتنفجر ؟ وانطلقت

قوى عديدة من مرقدها ! وهو مندفع فى تيارها !
وتجمع حول قاربه عدد من أفيال ~~البحر~~ البحر الرائعة .
رفع أحدها قارب بالالف على ظهره واندفع إلى
الأمام ، وارتفع القارب عن سطح المياه ، وظن
بالالف أنه سيتحطم إلى شطرين ، وطار الشرر
من عينيه وصاح بأعلى صوته ، وعض على نواجذه
وحرك مجدافه بشدة فانطلق القارب من ظهر
فيل البحر ، ولم ينقلب ولم يتحطم ، وغاص الفيل
إلى قاع البحر . وواصل بالالف سيره فى عرض
البحر نحو الخط الأسود ، بل إلى السر الكامن وراء
السر العميق !!
وكانت الطفلة تبكى فى الشاطئ على خلاف عادتها
كأنها ترى أباها منطلقا نحو الرؤية كمن أصابه الجنون !
ولم يسمع بالالف ذلك البكاء لأن مجرى الرياح
فى عرض البحر كان عكسيا ، ولكن صرخته التى كسرت ظهر
فيل البحر ~~[illegible]~~ قد حملته الرياح إلى شاطئه ، وهل
سمعتها كروتما ؟ كلا ، فلم تسمعها ، ولم تدرك ~~[illegible]~~
عواقب فكرها ، فإن قلبها ليس ببرىء مثل قلب
تلك الطفلة الطاهرة .
~~[illegible]~~ بالالف ~~قد وصل~~ سيره إلى ~~[illegible]~~
مكان السر الكامن وراء ذلك الخط الأسود ،
ورأى الهلال من أفق سطح البحر . ودخل فى عالم
جديد ، عالم فوقه سماء زرقاء مليئة بسحب كثيفة
وتحته صفحات فضية منشورة على سطح البحر الأزرق
وقد أخذه الخوف حينذاك ، فإن الأفق قد
أحاطه من كل الجوانب . وأين المفر ؟ وضاق
أمامه الفضاء ! وليس أمامه إلا الانطلاق
السريع حتى يحطم ذلك السور المقام حوله من
الجهات الأربع !
وسبحت أفاعى البحر إلى قاربه . ~~[illegible]~~ تسعى
فى الصفحات الفضية المنشورة فوق المياه الزرقاء
وتتلاعب فى حافة قاربه بكل حرية وأمان .

ورأى يالاني حيتان تتعانقان فى قاع قاربه تحت
قدميه، ورأى موجا هائجا يندفع نحوه من الأفق
المواجه لدفة قاربه. وتمنى أن يخرقه بقاربه الصغير
ولكن الموج قد حمل على رأسه ذلك القارب الصغير
ابتسامة ثم قذف به ~~بقاربه~~ وراءه، واستقر بقاربه فى سطح البحر
الهادئ، وليست هناك الأمواج، ورأى السكون
فى كل مكان، وخيل إليه أن لسانا طويلا يمتد إليه
من جهة الجنوب الغربي من قاع البحر، ووجد قاربه
ينساق نحوه رويدا رويدا. ولا تطاوع له دفته،
وتفلت زمام المجداف من يديه، وإنه "دوامة" مرافقة
وتبتلع كل ما فى سطح البحر إلى قاعه بقوة دافعة جبار
وهل تبتلع تلك الدوامة قارب يالاني
أيضا إلى قاع البحر؟ وحرك مجدافه بكل ما أوتيه من
قوة ضد تيارها، وضوء القمر يرسل أشعته الفضية
فى كل مكان، وكان سرب من غربان البحر يرقد فى
أرجوحة سطحه بهدوء وأمان. وهبت الغربان
من مرقدها وطارت إلى الفضاء، ولم تهب خوفا
من قارب يالاني.
ولكنها سمعت ضجة فى البحر، وأن ضجة
أحدثها "قرش" كبيرا يبتلع صنارة يالاني.
وأنه صياد ماهر، ويعرف كيف يمارس مهنته حتى فى
تلك الأوقات.

* * *

وبدأت كروتما وبنجامى تتجاذبان أطراف الحديث.
وكان الحديث يدور حول أبيهما، وأما أخبار جاك وفريكوتى
فلا تعنيهما الآن لأنها صارت فى خبر كان، وتبحث
اليوم ابنتا جيمان كنجى الشاطر عن مشاكل حياته
وحياتهما، وقد أحاطها سوء الحظ من كل النواحي،
وأصبحت حالة أبيهما مسألة حياة أو موت بالنسبة
لهما. وفى أثناء الكلام قد قلب بنجامى النعاس

وراحت في نوم عميق. ولم تنم كروتما، وكانت الرياح الباردة تهب من الشاطئ بدون انقطاع، وأن صداها يهمس في أذنيها بشدة، وخيل إلى كروتما أن نغمات فريكولي قد اختلطت بهبوبها، وانصتت إليه تستمتع أذنيها حينا فآخر. وهكذا انساقت بدون أن تشعر إلى فريكولي الذي هو موضوع حياتها وجزء من كيانها.

وقد سار زوجها وحيدا إلى عرض البحر للاصطياد، وأن مصيره في يد زوجته التي في الشاطئ، وعليها - حسب الأسطورة الشائعة، والتقاليد المتبعة - أن تدعو له وتحافظ على عفافها وشرفها كما حقه، حتى يعود سالما غانما. وها هي الآن زوجته يا إلهي تفكر في فريكولي. ولكن ليس عن عمد، بل قد انساقت إليه انسياقا لا شعوريا، وهل يكفي هذا الخرق الأسطورة؟ ووضع حياة زوجها في كفة القدر، وأنها تعتقد أن فريكولي رجل طيب سليم النية، وهو يحبها حبا خالصا من أعماق قلبه؛ وهذه هي حقائق ثابتة وواقعية - لا يتسرب إليها أدنى شك، ولا تستطيع أن تنساه في هذه الحياة؛ ولن تنساه، وقد ملك فريكولي قلبها، كما ملكت هي قلبه إلى الأبد.

ولا يؤنبها ضميرها على هذا الاعتقاد، ولا تجد أي تصارع في خلجات قلبها، وتنتظر وصول فريكولي. وأنه سيصل إليها، وستسمع نداءه فتلبيه فورا. ولربما لا تنام. ولربما وحده ينبض قلب كروتما!

وتنبهت كروتما من غفوتها، وهل ناداها أحد من الخارج؟

- كروتما!

وهمس في أذنيها هذا الصوت مرة أخرى، كأنه يأتي من بعيد. وهل سمعت نداء في الواقع؟ أم كان من أحلام اليقظة؟ وها هي الآن تسمع مرة ثالثة:

- كروتما

وما كان يدعوها في الليالي من باب البيت بهذا الاسم
إلا شخص واحد، ويدعوها بالاسم يوميا عند عودته
من البحر. وقد حان وقت عودته.

— كروتما!

وهل هذا صوت بالاسم نفسه؟ ثم من يأتي الدار
في هذا الوقت ويدعوها؟ ولبث النداء!

— نعم

ولم يطلب منها فتح الباب كالمعتاد، ولكنها قامت من مكانها
وفتحت الباب. وكانت الرياح تهب بسرعة فائقة،
وتتلاعب بأوراق أشجار الجوز الهندي فتحدث دويا
رهيبا ومخيفا. وأن أشعة ضوء القمر قد ألبست
جلالا قشيبة لتلك الأشجار، فلم تر أحدا في فناء
الدار. ومشت نحو الشاطئ لتنظر إلى البحر.

ورأت شخصا يقف على مقربة منها جامدا،
وكان فريكوتي! ولم تخف ولم تصرخ، ووقفت
أمامه كأنها فتحت الباب وعرفت تلك النداوة،
ومشى فريكوتي نحوها في هدوء وتؤدة.
فنظرت كروتما بدقة إلى صورته، فلم يعد الآن
«كوتشو مودالالي» السابق، وقد نحف جسمه
وذبل زهره وتغير لونه. وهل تخاف من قربه الآن؟
وهل تنظر إلى صدرها وجسمها؟ كلا. وقد زال
منها اليوم ذلك الخوف مطلقا، وليس في صدرها الآن
الرجل ~~الفاتن~~ الفاتن، وقد أصبحت أما وزوجة.
ولكن هل من ضرر أن تنفرد برجل فتتحدث إليه،
وأن زوجها في البحر؟ وهل هي الآن خائفة من
هذا؟ أو لم تنفرد به من قبل في الليالي المقمرة؟
وأليس لها حق إنساني لإدخال السرور ولو لحظة
في قلب محطم؟
ووقف كل منهما في مكانه لحظات يتبادلان نظرات
عابرة بل عميقة ذات معان كبيرة. وأمامها رجل
قد تحطمت بسرعة حياته، وضاعت لأجلها تجارته
وممتلكاته! ولكنها لعلى يقين تام بأنه يحبها من أعماق

قلبه فى جميع الظروف ، ويعفو عنها دائما ، ويتحمل لأجلها كل شىء .

ونسيت كروتما خلال تلك اللحظات القليلة كل شىء فى حياتها . ولم تعتبر نفسها فاشلة ، وأنها صاحبة ثروة خالدة لم تحظ بها امرأة أخرى . وهى تحت رعاية رجل قوى ، وأن حياتها فى أمان ، وأصبحت حياتها ذات معنى وقيمة . ولا تتعرض للجوع ولا تخاف ضررا من الخارج . وأن زوجها بالذى ذو عزم وإرادة ، وكذلك تجد أمامها رجلا كبيرا ... كبيرا دائما وهى محبوبة إلى الأبد ...

وانضمت كروتما من خلال يدى فريكولى الممتدتين إلى صدره ... وتلاصق الوجدان ، وهمس فريكولى فى أذنها :

- كروتما !

- نعم !

وامتدت راحتاه فى جسدها . ودعاها فريكولى :

- كروتما ! ثانية

ولبت مرة أخرى لشدائه لها ولخضوعها .

- نعم .

- تظنين من أكون أنا لك ؟

وأخذت وجهه بيديها ، وحملقت فيه ثم سألت بكل صراحة وعزم :

- من تكون أنت لى ؟ أنت كنز حياتى !

واتحدا مرة أخرى وبدأت تضغط فى أذنيه وإلى الأرض الهمسات وهما فى عناق شديد ، ولا يعرفان كيف يفترقان !

★ ★ ★

وما زال " بالدى " يواصل عراكه مع القرش الضخم الذى صاده بصنارته فى عرض البحر ، ولم يصد أحد قرشا كبيرا مثله من قبل فى ذلك الساحل . وضرب

القرش عقب ابتلاعه الشص ضربا شديدا ، وهاج
المكان كله بقوة ضربته ، ثم ركض إلى الأمام فرآه
بالالى فوق سطح الماء ، وفي فمه الشص . وأن
بالالى أول صياد اصطاد أكبر سمكة في ذلك الساحل
وصرخ بأعلى صوته فرحا وسرورا . وعليه الآن أن
يتخذ فورا قرارا نهائيا : وهل يحاول جذب الصنارة
وإيقاف اندفاع السمكة ، أو يسمح لها لأن تجري
في طريقها قليلا ؟ وإذا استقر الشص في فمها
جيدا فيكفي مجرد جذب الصنارة بقوة ؟ ولكن
ربما يضرب القارب بذنبه بشدة فيكسر ، وإذا
تركت لحريتها فإلى أين تتجه ، وإلى مدى تجري ؟
وقد وصل بالالى فورا إلى أعماق البحر ،
بحيث لا يرى الشاطئ ، ولا يتمكن من تحديد جهته ،
ونظر بالالى إلى السماء ، وقد أمسك بإحدى
يديه الصنارة ، وبأخرى المجداف ؛ لكي يعرف الجهة
بواسطة النجوم ، ولم يجد النجم الذي يريده باديا
في السماء ، وقد غطته السحب المتقطعة .
وما زال القارب يجري باندفاع شديد ،
ويشق سطح المياه برفق ، فليست هناك أمواج
ولا أعاصير هوجاء . وقد بدا لون البحر حالكا
ومخيفا ، ونظر إلى المياه ليحدد جهة الشاطئ
من مجراها ، ولكن بدون جدوى .
وأن القرش يجر قاربه بسرعة البرق إلى
الأمام ، وإلى أين ؟ وإلى متى ؟
وعض بالالى على نواجذه وصاح :
— قف هنا . ولا تستعجل لأن تذهب بي
إلى مملكة إله البحر !
وجذب حبل الصنارة بقوة . وتوقف سير القارب
وقرعه بالالى صائحا :
— قف هناك هكذا ... قف !
وضرب القرش بذنبه ضربة الموت وهو على قرب
من قاربه . وجذب بالالى حبله مرة أخرى فقفزت

السمكة فوق الماء ثم سقطت على سطحه.

ورأى بالدي أن قاربه وقع في تيار جارف يرسم دائرة واسعة في سطح البحر. ولما نظر بالدي الهمام إلى مجراه، فوجد نفسه في حافة دوامة رهيبة، وأن قاربه يرسم دائرة أخرى أوسع. وما زال ممسكا بحبل صنارته بشدة. فنظر مرة أخرى إلى السماء فوجد نجومها خافية عن عينيه وراء السحب الكثيفة.

ولما أرجع بالدي مرة أخرى بصره إلى حواليه من دفة قاربه رأى كأن جبالا قد أحاطت به، وينزل هو وقاربه إلى الهوة عميقة، وكأن دفته إلى السماء!

وقد اتخذ إله البحر عرشه مملكته في الدرك الأسفل من قاع البحر. وسمع بالدي كثيرا عن أسطورة ~~إله البحر~~ مملكة إله البحر وقصره، وأن الطريق إليه دوامة كبيرة تستطيع أن تبتلع البحر كله.

وخيل إلى بالدي أن ارتفاع الجبال المحيطة به يزداد شيئا فشيئا، وأرخى قليلا حبل الصنارة ولكن القارب يندفع إلى الهوة السحيقة بسرعة فائقة. وهل غاص بالدي في تلك الدوامة؟ وهل خرق حدود تلك الجبال؟ وسمع دويا جبارا لم يسمع مثله في حياته في البحر. ولا يدري مصدر ذلك الدوي وجهته. وكانت عاصفة هوجاء تتوجه صوبه، وارتفعت الأمواج مثل الجبال الشامخة وزخرت المياه بحيث لم يمر بتجربة مثلها حتى في أحلك أيام العواصف والزوابع. واستدارت تلك الأمواج حوله حتى وقع في دائرة محكمة لا يمكن الإفلات منها.

وكان بالدي يواجه العواصف الهوجاء، ويخرق الأمواج الزاخرة بقواربه ليلا ونهارا، وأبرقت السماء وأرعدت، وأطلق بالدي عنان حبل الصنارة وإذا جذبه بقعر القارب، فتكسره

الأمواج، ومسح سمكة البحر لتجر قاربه
إلى حيث شاءت!
وكلما ترتفع دفة القارب فوق رأس موجة هائجة ينقذف بالدافع إلى فوق ليخفف وطأة القارب وعندما يستقر القارب فوق قمة الموجة يثبت قدميه في قاعه. والبحر يزمجر في وجه الصياد المسكين!
ويرغو في وجهه سخطا وغيظا، وتزيد هذا الصراع شدة وضجة تلك الرياح العاصفة، ويصفق له الرعد. ويالهول لهذا المشهد الرهيب! وهل أطلق البحر هذه القوى الصارمة كلها للانتقام من هذا الإنسان الضعيف؟ أليس في إمكانه أن يجلبه إلى الهوة السحيقة بطريق أقرب ووسيلة أسهل؟
وربما وصلت هذه الأمواج الزاخرة إلى الساحل واكتسحت منازله، وأهلك أهاليه، ولعل حيات البحر السامة قد سعت في الشاطئ، ورأى بالأفق شبحا مخيفا يتوجه نحوه من بعيد، وهل هو قمة موجة هائجة أخرى؟ أم هو رأس حيوان بحري مفترس يفتح فاه ليبتلعه؟ وهل خارت قوى ذلك الصياد المحنك؟ وقفز خائفا إلى فوق عندما قربت إليه موجة هائجة. ولكن جسمه قد تثاقل، وأظلمت في عينيه السماء وتجمدت المياه حوله، وصرخت في أذنيه العواصف وأنذرت بحرب شعواء، وارتفع قاربه فوق موجة زاخرة فانقلب على ظهره، وعلق بالدفة ظهر القارب المقلوب، وأنشب أظافره عليه لئلا يترامى في أحضان البحر، وتنفس بالدفة بشدة فصاح:

- كروتما !

وتغلب على صياحه ثورة تلك العاصفة الهوجاء ، وكان صوته دويا جبارا يشق عنان السماء .

ولماذا نادى بالدى كروتما فى تلك اللحظة الرهيبة ؟ أليس فيه سر ؟ ألم تكن حياة الصياد الذى يقاوم الأمواج والعواصف فى عرض البحر ودقيقة فى يد امرأته التى فى البيت ؟ وأنه يطلب منها لتعمل لانقاذه ، وتدعو لأجله كما كانت تفعل سيدة الأسطورة ! أو لم يعد صياد الأسطورة سالما بعد أن وقع فى زوجة مثلا لفضل عفاف زوجته ودعائها فى السؤال ؟ أوليس لبالدى أيضا حق الايمان بهذه الأسطورة ؟ فإن زوجته أيضا تدعو له فى الشاطىء ، وقد ذكرت له حتى قبيل خروجه إلى البحر أنها لم تفسد ، وتعهدت بالمحافظة على عفافها وشرفها ! فلماذا اليأس إذن ؟ ولماذا يشك فى وفائها بوعودها ؟

واشتدت وطأة العاصفة ، وتغلبت على بالدى ، وقدمت موجة أخرى تهيج وتزمجر . ونطق بالدى الجد كرو ... » فواجهته تلك الموجة هجوما عنيفا . وقد تحالفت العاصفة والرعد والبرق معها لتحطيمه ، ودخل فى جولة نهائية للمعركة ، وأطلق جميع قواه ضد هذه الطاقات المتحالفة القاسية التى لا تعرف الرحمة ولا الرأفة ، وصعدت المياه إلى عنان السماء ، وصار البحر كله غارا رهيبا ، وتحركت الأعاصير أمام عينيه ، وارتفع القارب مرة أخرى على

رأس إحدى الموجات الأثيمة . وبالدالي منبطح
على ظهره ، وهل يرفع رأسه مرة أخرى ؟ وهل
انتهى كل شيء ؟ وهل أسدل الستار على المشهد
الأخير لرحلته المهزلة ؟ وها هو ذا قارب
بالدالي ينزل رويدا رويدا كعمود ممدود إلى قاع البحر
السحيق !

وصحت السماء قليلا ، ولمع فيها نجم واحد
وهو النجم الذي يدل الطريق أمام الصيادين في عرض
البحار، ولكن نوره كان خافتا .

* * *

واستيقظ البحر في صباح اليوم التالي كالمعتاد،
ودب النشاط اليومي في كل مكان بسواحل كأنه لم يحدث
شيء .

وقال بعض الصيادين المعمرين الذين استيقظوا
في أوقات الليل أنهم لاحظوا آثار الأعاصير
الشديدة في عرض البحر ، ووصلت الأمواج إلى
ساحات بعض البيوت في الساحل ، ورأوا
حيات البحر تسعى في رمال الشاطئ .

وفي الشاطئ وقفت سنجامى تبحث عن
زوجها أختار بالدالي الذي لم يعد إلى
الآن بعد أن خرج للصيد في الليلة البارحة
وكذلك لم تجد أختار كروتما في الصباح
على فراشها ، وصارت سنجامى تغدو وتروح
في الشاطئ ، شاردة الفكر، وسارحة النظر،
وهي تبكي وتردد: طفلي كروتما الرضيعة التي
ترتفع إلى أمها وأبيها ،

وبعد يومين قذف البحر على الشاطئ
جثتي رجل وامرأة متعانقين ...
وهما جثتا فريكوس وكروتيا !
وفي نفس اليوم قذفت الأمواج
هناك على شاطئ « جيريا أبيكال »
قرشاً ضخماً ، وفي فمه صنارة !

Translator's Foreword

Chemmeen (The shrimps) is the best novel so far written in 'Malayalam' language of India. The vigor of characterisation and the realistic study of social conditions of the humble fisher-folk of a sea shore in Kerala, raised the work to the position of a masterpiece of its kind.

This novel has received the Sahitya Akademi* Award for 1957 and it is recommended to UNESCO for translation into foreign languages. The English version of this novel is published in America and England, as part of the UNESCO collection of representative works of the world literature.

My thanks are due to the I.C.C.R., for their offer enabled me to translate this great novel from its original language Malayalam, which is my mother tongue, into modern Arabic.

I hope this work will give to its Arab readers a glimpse into the contemporary expression of Indian literature.

A.M. Mohiaddin Alwaye
Cairo. 28.12.1965.

---

* The National Academy of Letters of India.

Indian Novel
(Malayalam)

CHEMMEEN

(The Shrimps)

By:

Thakazi Sivasankara Pillai

Translated into Arabic

By:

A.M. Mohiaddin Alwaye